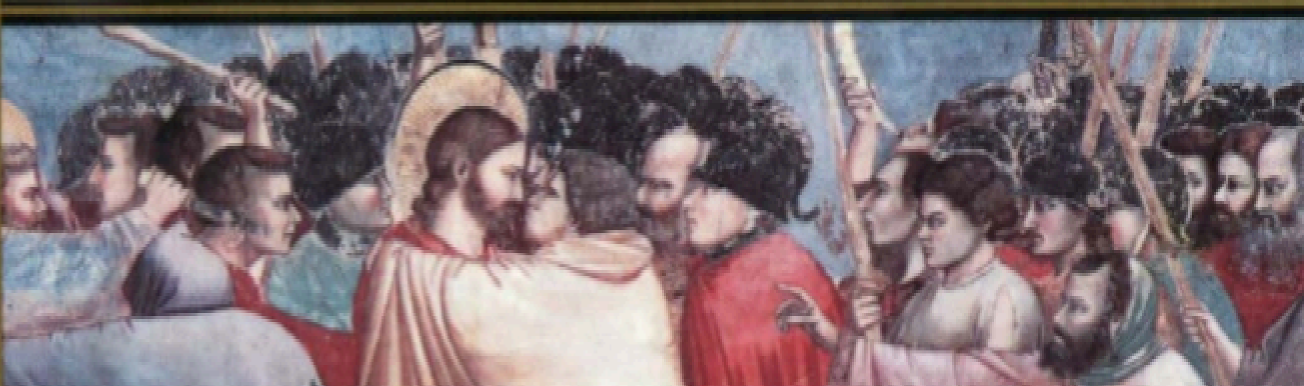
THE ORIGIN OF SATAN

"Arresting...brilliant...this book illuminates the angels with which we must wrestle to come to the truth of our bedeviling spiritual problems." —*Boston Globe*



ELAINE PAGELS

National Book Award–Winning Author of *The Gnostic Gospels*

إشادة لـ

إيلين باجلز

أصل الشيطان

"لقد حقق باجلز شيئًا مهمًا،فالأعمال الأكاديمية المدروسة التي تتميز أيضًا بالأصالة والمغامرة ليست شائعة. أصل الشيطان هو مثل هذا العمل، ويجب أن نكون ممتنين في المقابل /'— نيويورك ريفيو للكتب

"مضيئ ومجزي . . . عمل علمي مقروء للغاية . . . نموذج من سعة الاطلاع والإيجاز ."- نيوزداي "رائع وقيم. "- الأمة

"واضح ومعلل عن كثب. . . تظل باجلز دائمًا كاتبًة حيويًة تميز الآثار الإنسانية للنصوص الباطنية والنزاعات العلمية ."- شيكاغو تريبيون

"أحد المترجمين الفوريين الرائدين اليوم لعالم المسيحية المبكرة. . . إنها تُظهر ببراعة كيف يرتبط اللاهوت الغامض بالسياق الاجتماعيالذي تم تصوره ".
—- صحيفة ميلووكي جورنال سنتينل

"يحقق نجاحًا رائعًا." — سان فرانسيسكو كرونيكل

إيلين باجلز

أصل الشيطان

إيلين باجلز هي أستاذة الدين في Harrington Spear Paine في جامعة برينستون. حصلت الأستاذة باجلز على درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد في عام 1970 وقامت بالتدريس في كلية برنارد، حيث ترأست قسم الدين، وفي جامعة كولومبيا. كانت مسؤولة عن تحرير العديد من النصوص من نجع حمادي وكتبت أربعة كتب أخرى: إنجيل يوحنا في التفسير الغنوصي -، بولس الغنوصي: التفسير الغنوصي لرسائل بولس، الأناجيل الغنوصية ، وآدم، حواء، والثعبان. فازت الأناجيل الغنوصية بجائزة دائرة نقاد الكتاب الوطنية وجائزة الكتاب الوطنية. حصلت البروفيسورة باجلز على زمالة ماك آرثر في عام 1981. تعيش وتدرس في برينستون، نيو جيرسي.

كتب أخرى لـ إيلين باجلز

آدم وحواء والثعبان،

الأناجيل الغنوصية

إنجيل يوحنا في التفسير الغنوصي

بولس الغنوصي: التفسير الغنوصي لرسائل بولس

أصل الشيطان

أصل
الشيطان

إيلين   باجلز

Vintage Books.
قسم من شركة راندوم هاوس المحدودة. نيويورك

الطبعة الأولى من الكتب العتيقة، مايو 1996

قامت مكتبة الكونغرس بفهرسة طبعة راندوم هاوس على النحو التالي:

باجلز، إيلين.

أصل الشيطان / إيلين باجلز. — الطبعة الأولى.

p. cm.

يتضمن الكتاب مراجع ببليوغرافية وفهرس.

ردمك 0-679-40140-7

1. الشيطان - التعاليم الكتابية. 2. الكتاب المقدس. الأناجيل NT - النقد والتفسير وما إلى ذلك. 3. المسيحية ومعاداة السامية. I. العنوان.

BS2555.6.D5P34 1995

235.47- dc20 95-7983

رقم الإيداع الدولي القديم: 0 679-73118-0

طبع في الولايات المتحدة الأمريكية

10 9 8 7 6 5

To Sarah and David
بكل الحب

شكر وتقدير

يستند هذا الكتاب إلى أبحاث تم تقديمها في الأصل، في معظمها، في منشورات علمية (مذكورة في بداية ملاحظات كل فصل) وتم مراجعتها لجعلها في متناول الجميع. خلال السنوات الست من البحث والكتابة، قمت بالتشاور مع العديد من العلماء والأصدقاء. أود أولاً أن أشكر جون جاجر، وروز ماري رويتر، وكريستر ستيندال، الذين ساهمت أبحاثهم وجهودهم بشكل كبير في تسليط الضوء على هذه القضايا. أتوجه بالشكر الجزيل لزملائي وأصدقائي الذين قرأوا المخطوطة وقدموا التصحيحات والنقد: جلين باور سوك، وإليزابيث ديجز، وهوارد كلارك كي، وكينت جريناوالت، ووواين ميكس، وشارون أولدز، ويوجين شوارتز، وآلان سيجال، وبيتر ستيرن، وإس. ديفيد سبيرلينج؛ وأولئك الذين قدموا تعليقات وانتقادات على أجزاء من العمل أثناء تقدمه، بما في ذلك جون جاجر، وفيرنون روبنز، وجيمس روبنسون، الذين قرأوا الأقسام المتعلقة بمصادر العهد الجديد؛ وستيفن مولاني، الذي قرأ وعلق على المصادر المقدمة في الفصل الأول؛ وجون كولينز، ولويس فيلدمان، وبول هانسون، ومارثا هيملفارب، وهيلموت كوستر، ودورون مندلز، وجورج نيكلسبيرج، الذين قرأوا وعلقوا على المصادر المقدمة في الفصل الثاني؛ وبيتر براون، الذي قرأ وعلق على المقالة التي استند إليها جزء من الفصل السادس. ولا شك أن كل واحد من هؤلاء الزملاء سوف يختلف مع بعض استنتاجاتي، وهو ما يتوجب علي أن أتحمل مسؤوليته. بدأت الأبحاث المتعلقة بهذا الكتاب عندما كنت زائرًة في كلية الدراسات التاريخية بمعهد الدراسات المتقدمة

في عامي 1990 و1991، واستأنفت هناك في عامي 1994 و1995. إنني ممتنة للغاية لأعضاء تلك المدرسة على كرم ضيافتهم وتوفير البيئة الهادئة والزمالة التي يوفرها المعهد لي وللعديد من الآخرين. أود أن أشكر بشكل خاص روث سيمونز، نائب رئيس جامعة برينستون، وجيفري ستاوت، رئيس قسم الأديان، وروبرت غونينج، عميد الكلية، لتمكينهم من الحصول على إجازة لإكمال البحث والكتابة في عامي 1994 و1995، وصندوق العلوم الإنسانية الوطني على الزمالة التي دعمتني خلال ذلك العام.

أود أن أشكر زملائي في قسم الدين

بجامعة برينستون، سواء على المحادثات التي ساهمت كثيرًا في هذه العملية أو على لطفهم وتفهمهم خلال هذه السنوات، وأود أيضًا أن أشكر طلاب الدراسات العليا الذين كافحوا من خلال النصوص اليونانية معي في ندوتنا: جدعون بوهاك، روبرت كرو، نيكولا دينزي، أوبيري هندريكس، آن ميريديث، شارون هيفيتز، وجويل ووكر.

هناك بعض الأشخاص الذين لا أستطيع أن أتخيل كتابة هذا الكتاب بدون مشاركتهم. لقد كان من حسن حظي وشرف لي أن أعمل مع جيسون إبستاين كمحررة، وأقدر بشدة الرؤية الثاقبة والذكاء والشغف بالوضوح الذي جلبته إلى هذه العملية، إلى جانب دعمه المتحمس. عملت هيلين راندرسون على المخطوطة طوال العملية، وقدمت تعليقات ثاقبة ونقدًا تحريريًا إلى جانب إعدادها الماهر للمخطوطة. لقد قدم جون بروكمان وكاتينكا ماتسون التشجيع للمشروع منذ البداية، وساهموا بطرق لا حصر لها. وأنا ممتن أيضًا لآن ميريديث لتعاونها في العثور على مواد البحث، وكذلك لحكمها الممتاز في العديد من القضايا التي ناقشناها. لقد استمتعت بالعمل مع فرجينيا أفيري، التي ساهمت اقتراحاتها التحريرية في تحسين النص؛ وأود أيضًا أن أشكر جوي دي مينيل على كل ما ساهمت به.

وأخيرًا، أنا ممتنة للعديد من الأصدقاء الذين ساعدني وجودهم

ودعمهم الشخصي بطرق معروفة لكل منهم على تجاوز هذه السنوات الصعبة منذ وفاة زوجي، وأذكر على وجه الخصوص مالكولم دايموند، وإليزابيث ديجز، وسارة

دوبن فون، كينت جريناوالت، أخي وزوجة أخي، رالف وجين هيسي، كريستين هيوز، إليزابيث ونيكولا خوري، إميلي ماكولي، شارون وديفيد أولدز، ألبرت رابوتو، كاثي مورتو، ومارجوت ويلكي.

المحتويات

مقدمة

في عام 1988، عندما توفي زوجي بعد عشرين عامًا من الزواج في حادث أثناء رياضة السير، أدركت أنني، مثل العديد من الأشخاص الذين يحزنون، كنت أعيش في حضور كائن غير مرئي - أعيش، أي، مع شعور واضح بشخص مات. خلال السنوات التالية، بدأت أفكر في الطرق التي تعطي بها التقاليد الدينية المختلفة شكلًا للعالم غير المرئي، وكيف ترتبط تصوراتنا التخيلية لما هو غير مرئي بالطرق التي نستجيب بها للأشخاص من حولنا، والأحداث، والعالم الطبيعي. كنت أفكر أيضًا في الطرق المختلفة التي يتعامل بها الناس من التقاليد اليونانية واليهودية والمسيحية مع سوء الحظ والخسارة. يعزو الكتاب اليونانيون من هوميروس إلى سوفوكليس مثل هذه الأحداث إلى الآلهة والإلهات والقدر والمصير - عناصر متقلبة وغير مبالية برفاه الإنسان مثل "قوى الطبيعة" (وهو مصطلحنا لهذه القوى).

في العالم الغربي القديم، الذي أنا مؤرخة له، افترض كثير من الناس ـ وربما أغلبهم ـ أن الكون مأهول بكائنات غير مرئية، وأن وجودها يؤثر على العالم المرئي وسكانه البشر. تصور المصريون القدماء والإغريق والرومان آلهة وإلهات وكائنات روحية من أنواع عديدة، في حين تحدث بعض اليهود والمسيحيين، الذين يبدو أنهم موحدون، بشكل متزايد عن الملائكة، الرسل السماويين من الله، وتحدث البعض عن الملائكة الساقطين والشياطين. وكان هذا صحيحًا بشكل خاص منذ القرن الأول من العصر المشترك فصاعدًا.

أصل الشيطان

لقد أدركت أن التحول من الوثنية إلى اليهودية أو المسيحية يعني، قبل كل شيء، تغيير تصور الإنسان للعالم غير المرئي. حتى يومنا هذا، تتطلب المعمودية المسيحية من الشخص أن يتخلى رسميًا عن "الشيطان وجميع أعماله" وأن يقبل طرد الأرواح الشريرة. لم يتم تعميد الوثني المتحول إلا بعد اعترافه بأن جميع الكائنات الروحية التي كانت تحظى بالاحترام والخوف في السابق باعتبارها إلهية كانت في الواقع مجرد "شياطين" - أرواح معادية تناضل ضد الإله الواحد، إله الخير والعدل، وضد جيوشه من الملائكة. إن التحول إلى يهودي أو مسيحي أدى إلى استقطاب وجهة نظر الوثنيين للكون، وأضفى عليها طابعًا أخلاقيًا. هل اعتبر عالم اللاهوت اليهودي مارتن بوبر تأصيل الكون أخلاقياً أحد الإنجازات العظيمة للتقاليد اليهودية، والتي انتقلت فيما بعد إلى المسيحيين والمسلمين؟ على سبيل المثال، يصر سفر التكوين على أن البراكين لم تكن لتدمر مدينتي سدوم وعمورة لولا أن جميع سكان هاتين المدينتين - جميع السكان الذين يهم الراوي، أي الذكور البالغين - كانوا أشرارًا، "صغارًا وكبارًا، حتى آخر إنسان" (تكوين 19: 4).

عندما بدأت هذا العمل، افترضت أن التصورات اليهودية والمسيحية للكائنات غير المرئية كانت تتعلق في المقام الأول بإضفاء الصفة الأخلاقية على الكون الطبيعي، كما زعم بوبر، وبالتالي بتشجيع الناس على تفسير الأحداث التي تتراوح من المرض إلى الكوارث الطبيعية باعتبارها تعبيرات عن "إرادة الله" أو الحكم الإلهي على الخطيئة البشرية. لكن بحثي قادني إلى اتجاهات غير متوقعة وكشف عن صورة أكثر تعقيدًا. إن المسيحيين مثل جوستن الشهيد (140م)، أحد "آباء الكنيسة"، يعزون الضيق ليس إلى "إرادة الله" ولكن إلى خبث الشيطان. ويسمح تلميذه تاتيان بحدوث الحوادث في العالم الطبيعي، بما في ذلك الكوارث، والتي يقول عنها إن الله يقدم العزاء، ولكن نادرًا ما يقدم تدخلًا معجزيًا. وعندما شرعت في التحقيق في الروايات اليهودية والمسيحية عن الملائكة والملائكة الساقطين، اكتشفت أنهم كانوا أقل اهتمامًا بالعالم الطبيعي ككل وأكثر اهتمامًا بعالم العلاقات الإنسانية على وجه الخصوص.

عند إعادة قراءة الروايات الكتابية وغير الكتابية عن الملائكة،

لقد تعلمنا أولاً ما أشار إليه العديد من العلماء: أنه في حين أن الملائكة تظهر غالبًا في الكتاب المقدس العبري، فإن الشيطان، إلى جانب الملائكة الساقطين أو الكائنات الشيطانية الأخرى، غائب تقريبًا. لكن

ومن بين بعض الجماعات اليهودية في القرن الأول، بما في ذلك بشكل بارز الأسينيين (الذين اعتبروا أنفسهم متحالفين مع الملائكة) وأتباع يسوع، بدأت الشخصية التي تسمى بشكل مختلف الشيطان، وبعلز بوب، أو بليعال أيضًا تكتسب أهمية مركزية. في حين أن إنجيل مرقس، على سبيل المثال، يذكر الملائكة فقط في الإطار الافتتاحي (1: 13) وفي الآيات الأخيرة من المخطوطة الأصلية (16: 5-7)، فإن مرقس ينحرف عن التقليد اليهودي السائد من خلال إدخال "الشيطان" في المشهد الافتتاحي الحاسم للإنجيل، ويستمر في وصف دعوة يسوع بأنها تنطوي على صراع مستمر بين روح الله والشياطين، الذين ينتمون، على ما يبدو، إلى "مملكة" الشيطان (انظر مرقس 3: 23-27). وقد تم دمج مثل هذه الرؤى في التقاليد المسيحية، وخدمت، من بين أمور أخرى، لتأكيد هوية المسيحيين مع الله وتشويه سمعة خصومهم - أولاً اليهود الآخرين، ثم الوثنيين، وفي وقت لاحق المسيحيين المنشقين الذين يطلق عليهم اسم الزنادقة. هذا هو ما يتحدث عنه هذا الكتاب.

إن التأكيد على هذا العنصر في أناجيل العهد الجديد لا يعني، بطبيعة الحال، أن هذا هو موضوعها الأساسي. أليست الأناجيل تتحدث عن الحب؟ صرخ أحد الأصدقاء أثناء مناقشتنا لهذا العمل. من المؤكد أنها تدور حول الحب، ولكن بما أن القصة التي يروونها تتضمن الخيانة والقتل، فإنها تتضمن أيضًا عناصر من العداء التي تستحضر صورًا شيطانية. يركز هذا الكتاب على هذا الموضوع.

ما يذهلنا في الشيطان هو الطريقة التي يعبر بها عن الصفات التي تتجاوز ما نعتبره عادة بشريًا. إن الشيطان يثير أكثر من الجشع والحسد والشهوة والغضب التي نحددها مع أسوأ دوافعنا، وأكثر مما نسميه الوحشية؛ التي تنسب إلى البشر تشابهًا مع الحيوانات ("الوحوش"). لقد وصفت التقاليد الممتدة لآلاف السنين الشيطان بأنه روح. كان في الأصل أحد ملائكة الله، لكنه كان ساقطًا. وهو الآن يقف في تمرد علني ضد الله، وفي غضبه المحبط يعكس جوانب من مواجهاتنا مع الآخر. وقد ادعى كثير من الناس أنهم رأوه متجسداً في أوقات معينة في أفراد ومجموعات تبدو مسكونة بشغف روحي شديد، شغف يجذب حتى أفضل صفاتنا، مثل القوة والذكاء والإخلاص، لكنه

يحولها نحو الدمار ويستمتع بإلحاق الأذى. يبدو أن الشر، في أسوأ حالاته، ينطوي على ما هو خارق للطبيعة ـ ما ندركه، بارتجاف، باعتباره العكس الشيطاني لوصف مارتن بوبر لله بأنه "مختلف تماما". ومع ذلك ـ من الناحية التاريخية، على أي حال ـ فإن الشيطان، إلى جانب زملائه الشيطانيين مثل بيليعال ومستيما (الذي يعني اسمه العبري "الكراهية")، لم يظهروا من العدم. وبدلاً من ذلك، كما سنرى، نشأت مثل هذه الشخصيات من الاضطرابات التي شهدتها فلسطين في القرن الأول، وهي البيئة التي بدأت فيها الحركة المسيحية في النمو.

لا أنوي أن أفعل هنا ما فعله علماء آخرون بشكل جيد بالفعل: فقد بحث الباحث الأدبي نيل فورسيث، في كتابه الأخير الممتاز ”العدو القديم”، في الكثير من الخلفية الأدبية والثقافية لشخصية الشيطان؛[2] كما درس والتر وينك والمحلل النفسي كارل جوستاف يونغ وبعض أتباعه التداعيات اللاهوتية والنفسية للشيطان.[3] وحاول جيفري بيرتون راسل وآخرون التحقيق في أوجه التشابه عبر الثقافات بين شخصية الشيطان وشخصيات مثل الإله المصري ست أو القوة الشريرة الزرادشتية أهري مان.[4] ولكن ما يثير اهتمامي بدلاً من ذلك هو التداعيات الاجتماعية على وجه التحديد لشخصية الشيطان: كيف يتم استدعاؤه للتعبير عن الصراع البشري وتوصيف الأعداء البشر داخل تقاليدنا الدينية.

في هذا الكتاب، أدعوك إلى التفكير في الشيطان باعتباره انعكاسًا لكيفية إدراكنا لأنفسنا ولمن نسميهم "الآخرين". لقد اتخذ الشيطان، بعد كل شيء، من كونه "الآخر" نوعًا من الاعتراف؛ ولذلك فإن الشيطان يحدد بشكل سلبي ما نعتبره إنسانًا. إن الممارسة الاجتماعية والثقافية المتمثلة في تعريف بعض الأشخاص باعتبارهم "آخرين" في علاقة بمجموعتك الخاصة قد تكون، بطبيعة الحال، قديمة قدم البشرية نفسها. زعم عالم الأنثروبولوجيا روبرت ريدفيلد أن النظرة العالمية للعديد من الشعوب تتكون أساسًا من زوجين من التناقضات الثنائية: إنسان/غير إنسان، ونحن/هم.[5] وكثيرًا ما يرتبط هذان التناقضان، كما يذكر جوناثان ز. سميث، بحيث أن "نحن" تساوي "إنسان" و"هم" تساوي "غير إنسان". [6] إن التمييز بين "نحن" و"هم" موجود في أقدم الأدلة التاريخية المتوفرة لدينا، على الألواح السومرية والأكادية القديمة، كما هو موجود في لغة وثقافة الشعوب

العالم كله. إن مثل هذه التمييزات مشحونة، في بعض الأحيان بالانجذاب، وربما في كثير من الأحيان بالنفور - أو كليهما في آن واحد. الكلمة المصرية القديمة التي تعني "مصري" تعني ببساطة "إنسان"؛ أما الكلمة اليونانية التي تعني "غير يوناني"، أي "بربري"، فهي تحاكي الكلام المعسول الذي يستخدمه أولئك الذين لا يتحدثون اليونانية - وبما أنهم يتحدثون بشكل غير مفهوم، فإن اليونانيين يسمونهم "بربريين".

ومع ذلك، فإن هذه الممارسة العالمية تقريبًا المتمثلة في وصف شعبك بالبشر و"نزع الصفة الإنسانية" عن الآخرين لا تعني بالضرورة أن الناس يشككون أو ينكرون إنسانية الآخرين. في كثير من الأحيان، كما يشير ويليام غرين، فإن أولئك الذين يطلقون على أنفسهم والآخرين هذه التسمية ينخرطون في نوع من الكاريكاتير الذي يساعد في تحديد هويتهم الجماعية وتعزيزها:

> لا يكتشف المجتمع الآخرين فحسب، بل يصنعهم من خلال اختيار وعزل وتأكيد جانب من حياة شعب آخر، وجعله يرمز إلى اختلافهم.

إن الصراع بين المجموعات ليس بالأمر الجديد بطبيعة الحال. ما قد يكون جديداً في التقاليد المسيحية الغربية، كما سنرى، هو كيف أن استخدام الشيطان لتمثيل أعداء المرء يؤدي إلى صراع نوع معين من التفسير الأخلاقي والديني، حيث "نحن" شعب الله و"هم" أعداء الله، وأعداءنا أيضاً. ويتم تشجيع أولئك الذين يتبنون هذا الرأي على الإيمان، كما حذر يسوع أتباعه، بأن "كل من يقتلكم يظن أنه يقدم خدمة لله" (يوحنا 16: 2). لقد أثبت هذا التفسير الأخلاقي للصراع فعاليته بشكل غير عادي طوال التاريخ الغربي في تعزيز هوية الجماعات المسيحية؛ ويظهر التاريخ نفسه أيضًا أنه يمكن أن يبرر الكراهية، وحتى المذابح الجماعية.

لقد ساعدني البحث الذي أجريته من أجل تأليف هذا الكتاب على إدراك جوانب من المسيحية أجدها مزعجة. خلال السنوات القليلة الماضية، أثناء إعادة قراءة الأناجيل، أذهلني كيف أن رؤيتهم للصراع الخارق للطبيعة تعبر عن الصراع ورفعه إلى أبعاد كونية. يكشف هذا البحث، إذن، عن بعض خطوط الصدع في التقاليد المسيحية التي سمحت بتشويه سمعة الآخرين عبر التاريخ المسيحي - خطوط الصدع التي تعود إلى ما يقرب من ألفي عام إلى أصول الحركة المسيحية. أثناء كتابة هذا الكتاب، تذكرت كثيرًا

مقولة لسورين كيركيجارد: "هل العلاقة اللاواعية أقوى من العلاقة الواعية؟"

على سبيل المثال، على مدى ما يقرب من ألفي عام، افترض العديد من المسيحيين أن اليهود قتلوا يسوع وأن الرومان كانوا مجرد عملاء مترددين لهم، وأن هذا لا يورط الجناة فحسب، بل (كما يصر متى) كل ذريتهم في الشر. وعلى مر القرون، استوعب عدد لا يحصى من المسيحيين الذين استمعوا إلى الأناجيل، إلى جانب أقوال يسوع المتناقضة تمامًا، الارتباط بين قوى الشر وأعداء يسوع اليهود. سواء كانوا أميين أو متعلمين، فإن أولئك الذين سمعوا قصص الإنجيل، أو رأوها مصورة في كنائسهم، افترضوا عمومًا دقتها التاريخية وصلاحيتها الدينية. ومع ذلك، ومنذ القرن التاسع عشر على وجه الخصوص، بدأ عدد متزايد من العلماء في تطبيق التحليل الأدبي والتاريخي على الأناجيل ـ وهو ما يسمى بالنقد العالي. وأشار تحليلهم النقدي إلى أن مؤلفي إنجيل متى وإنجيل لوقا استخدموا إنجيل مرقس كمصدر لبناء أناجيلهم الموسعة. افترض العديد من العلماء أن إنجيل مرقس هو الأكثر موثوقية تاريخيًا لأنه كان الأبسط في الأسلوب وكُتب في وقت أقرب إلى زمن يسوع من غيره. ولكن ربما لم تكن الدقة التاريخية هي الاعتبار الأول لدى كاتبي الأناجيل. وقد أظهر تحليل آخر كيف تم نسج مقاطع من الكتابات النبوية ومزامير الكتاب المقدس العبري في روايات الأناجيل. اقترح برنابا ليندرز وآخرون أن الكُتّاب المسيحيين غالبًا ما وسعوا المقاطع الكتابية إلى حلقات كاملة "أثبتت"، على نحو يرضي العديد من المؤمنين، أن

الأحداث التي تنبأ بها الأنبياء وجدت اكتمالها في مجيء يسوع.[9]

لقد أدرك أولئك الذين قبلوا مثل هذا التحليل الآن أن إنجيل مرقس، كما يوضح جيمس روبنسون، ليس مجرد سرد تاريخي مباشر؛ بل هو في الواقع أطروحة لاهوتية تتخذ شكل السيرة التاريخية.[111] وإدراكًا منهم أن مؤلفي إنجيل متى وإنجيل لوقا راجعا إنجيل مرقس بطرق مختلفة، حاول العلماء التمييز بين المواد المصدرية التي يقبلها كل منهما من التقاليد السابقة ـ الأقوال والحكايات والأمثال ـ وما أضاف كل كاتب لتفسير تلك المواد. كان البعض يأمل في اختراق الروايات المختلفة

واكتشاف "يسوع التاريخي"، واستعادة أقواله وأفعاله الحقيقية من المواد الهامشية التي تحيط بها. لكن آخرين اعترضوا على ما أسماه ألبرت شفايتزر "البحث عن يسوع التاريخي"،[11] مشيرين إلى أن أقدم الأناجيل قد كُتبت بعد أكثر من جيل من وفاة يسوع، والأناجيل الأخرى كُتبت بعد جيلين تقريبًا، وأن فرز المواد "الأصيلة" في الأناجيل كان مستحيلاً تقريبًا في غياب الأدلة المستقلة.

وفي الوقت نفسه، قدم العديد من العلماء الآخرين أدلة تاريخية من المشناه، وهو أرشيف قديم للتقاليد اليهودية، إلى جانب مصادر يهودية أخرى، وكذلك من التاريخ الروماني والقانون والإجراءات الإدارية.[12] وكانت إحدى القضايا الرئيسية التي ظهرت من هذه الدراسات النقدية هي السؤال التالي: ما هو الأساس التاريخي، إن وجد، لادعاء الأناجيل بأن اليهود كانوا مسؤولين عن موت يسوع؟ وما يجعل هذا السؤال ذا أهمية حيوية هو ادعاء الأناجيل أن هذا الفعل كان مستوحى من الشيطان نفسه. أشارت مجموعة من العلماء إلى التناقضات بين إجراءات السنهدرين الموصوفة في المشناه وفي روايات الأناجيل عن "محاكمة يسوع أمام السنهدرين"، وشككوا في دقة الروايات في مرقس ومتى. أعلن سيمون بيرنفيلد في عام 1910 أن "المحاكمة بأكملها أمام السنهدرين ليست سوى اختراع من تاريخ لاحق"، [1]* وهي وجهة نظر وجدت مؤخرًا مدافعين عنها بين المحللين الأدبيين المسيحيين.[14] مشيرين إلى أن التهمة الموجهة إلى يسوع وشكل الإعدام رومانيان بشكل مميز، جادل العديد من العلماء، بمن فيهم بول وينتر في كتابه المؤثر "محاكمة يسوع"، الذي نُشر عام 1961، بأن الرومان هم من أعدموا يسوع، لأسباب سياسية، وليس دينية.[15] آخرون، بمن فيهم مؤخرًا المؤرخ الروماني فيرجوس ميلار، وضعوا مصداقية أكبر في روايات لوقا أو يوحنا، والتي تشير إلى أن السنهدرين عقد جلسة استماع بشأن يسوع فقط، وليس محاكمة فعلية.[16]

ولكن في الآونة الأخيرة، جددت مجموعة من العلماء الحجج

لإظهار أنه، على حد تعبير جوزيف بلينزلر،

> فإن أي شخص يتعهد بتقييم محاكمة يسوع كحدث تاريخي وقانوني، وإعادة بنائه من روايات الأناجيل،

> يجب أن يصل إلى نفس النتيجة التي توصل إليها الدعاة المسيحيون الأوائل أنفسهم، وهي أن المسؤولية الرئيسية تقع على الجانب اليهودي (التأكيد مضاف). [1]

ولكن العلماء الذين يتبنون وجهات نظر أكثر تشككا بشأن "المصداقية التاريخية" لهذه الروايات يؤكدون على "المسؤولية الرومانية" عن إعدام يسوع[1]، وهو الأمر الذي يقترحون أن كتاب الأناجيل كانوا يميلون إلى التقليل من أهميته حتى لا يستفزوا الرومان في أعقاب الحرب اليهودية الفاشلة ضد روما؟ [8]

وأنا أتفق كفرضية عمل على أن إعدام يسوع ربما كان مفروضًا من قبل الرومان بسبب أنشطة اعتبروها مثيرة للفتنة - ربما لإثارة المظاهرات العامة و(هكذا اعتقدوا على ما يبدو) لادعائه أنه "ملك اليهود". ومع ذلك، ظهر يسوع بين قومه كشخصية نبوية متطرفة، حيث أثار تعليمه العام، على الرغم من شعبيته بين الحشود، غضب وقلق بعض القادة اليهود، وخاصة سلطات الهيكل، الذين ربما سهلوا القبض عليه واعتقاله.

ولكن هذا الكتاب ليس في المقام الأول محاولة لاكتشاف "ما حدث بالفعل" - ناهيك عن إقناع القارئ بهذه النسخة أو أي نسخة أخرى من "ما حدث" - لأنه، بصرف النظر عن السيناريو الذي تم رسمه بإيجاز أعلاه، أجد المصادر مجزأة للغاية وعرضة لتفسيرات مختلفة للإجابة على هذا السؤال بشكل قاطع. وبدلاً من ذلك، أحاول أن أظهر كيف تعكس الأناجيل ظهور حركة يسوع من النزعة الفئوية التي سادت بعد الحرب في أواخر القرن الأول. كل مؤلف يصوغ سردًا للاستجابة لظروف معينة، وكل منهم يستخدم قصة يسوع "للتفكير" في موقف مباشر، ويتماهى مع يسوع وتلاميذه، ويصور أولئك الذين يعتبرون معارضين على أنهم أعداء ليسوع[1]. ولإثبات ذلك، أعتمد على ثروة من الأعمال الحديثة التي كتبها علماء التاريخ والأدب، وكثير منهم يناقشون (ويختلفون في كثير من الأحيان حول) مسألة متى وكيف انفصل أتباع يسوع [1] عن بقية المجتمع اليهودي.

في هذا الكتاب أضيف إلى المناقشة شيئًا لم

أجده في أي مكان آخر - ما أسميه التاريخ الاجتماعي للشيطان؛ أي أنني أظهر كيف أن الأحداث التي رواها الأناجيل عن يسوع، المدافعين عنه،

وأعدائه بالدراما الخارقة للطبيعة التي يستخدمها الكتاب لتفسير هذه القصة - الصراع بين روح الله والشيطان. وبما أن المسيحيين عندما يقرؤون الأناجيل قد حددوا أنفسهم بشكل مميز مع التلاميذ، فقد حددوا أيضًا منذ حوالي ألفي عام خصومهم، سواء كانوا يهودًا أو وثنيين أو زنادقة، بقوى الشر، وبالتالي مع الشيطان.

إنجيل مرقس والحرب اليهودية

في عام 66 ميلادي، اندلعت ثورة ضد روما بين يهود فلسطين. كان الجنود اليهود، الذين تم تجنيدهم في البداية من الريف من قبل قادة الثورة، يقاتلون بأي نوع من الأسلحة يمكنهم العثور عليها. ولكن مع انتشار الثورة إلى المدن والبلدات، انقسم السكان اليهود. رفض البعض القتال: ففي أورشليم، حاول الحزب الكهنوتي وحلفاؤه من سكان المدينة الحفاظ على السلام مع روما. ومن بين الذين انضموا إلى الثورة، كان الكثيرون منهم مقتنعين بأن الله كان إلى جانبهم: وكان الجميع عازمين بشدة على تطهير أرضهم من الهيمنة الأجنبية. بعد مرور ثلاث سنوات على بدء الحرب، سار الإمبراطور المستقبلي فسبازيان وابنه الإمبراطور المستقبلي تيتوس نحو أورشليم بما لا يقل عن ستين ألف جندي مشاة وفرسان مدربين تدريبًا جيدًا ومجهزين تجهيزًا كاملاً وحاصروا المدينة؛

وبعد نحو عشرين عامًا، كتب المؤرخ اليهودي جوزيف بن ماتياس، المعروف باسمه الروماني فلافيوس جوزيفوس، الذي كان حاكمًا للجليل قبل الانضمام إلى القتال ضد روما، وصفًا لما أسماه "ليس فقط أعظم حرب في عصرنا، بل واحدة من أعظم الحروب المسجلة على الإطلاق". [1]يوسيفوس هو المرجع الوحيد المتبقي لهذه الأحداث. ولم تنجو روايات أخرى عن الحرب. على الرغم من كونه مؤرخًا حيويًا، إلا أن يوسيفوس كان أيضًا متحيزًا. وُلِد يوسيفوس في عائلة كهنوتية ثرية من سلالة ملكية، وسافر إلى روما عندما كان في السادسة والعشرين من عمره تقريبًا - قبل عامين من الحرب - للتدخل لدى الإمبراطور نيرون نيابة عن العديد من

الكهنة اليهود المعتقلين. وقد أثارت ثروة روما وقوتها العسكرية إعجاب الشاب، الذي تمكن من مقابلة أحد الممثلين المفضلين لدى نيرون - وهو يهودي، كما صدف الأمر - ومن خلاله، زوجة نيرون، بوبيا. وافقت بوبيا على المساعدة في مهمته، وعاد يوسيفوس إلى فلسطين. ويقول في سيرته الذاتية:

> لقد وجدت الحركات الثورية قد بدأت بالفعل، وكان هناك حماس كبير لاحتمال الثورة من روما. وبناء على ذلك، حاولت أن أوقف أولئك الذين يبشرون بالفتنة... وحثثهم على أن يضعوا أمام أعينهم أولئك الذين كانوا يقاتلون ضدهم؛ وأن يتذكروا أنهم كانوا أقل شأنا من الرومان، ليس فقط في المهارة العسكرية، بل وفي الحظ السعيد أيضا. ورغم أنني حاولت بإصرار وإلحاح أن أثنيهم عن هدفهم، وتوقعت أن النتائج ستكون كارثية بالنسبة لنا، إلا أنني لم أقنعهم. لقد ساد الجنون العظيم لهؤلاء الرجال اليائسين.[2]

يقول يوسيفوس إنه أينما سافر، وجد يهودا - المصطلح العبري لما كان يسميه الآخرون فلسطين - في حالة من الاضطراب. كرّس قادة حرب العصابات، مثل يوحنا جيشالا وأتباعه، أنفسهم للقتال من أجل الحرية باسم الله. في ربيع عام 67، اقتحم رجال يوحنا المقاتلون أورشليم بعد أن هزموا الرومان في جيشالا، مدينتهم الإقليمية. ويقول يوسيفوس إنهم حثوا الناس هناك على الانضمام إلى الثورة، فاجتذبوا عشرات الآلاف، و"أفسدوا قسمًا كبيرًا من الشباب، وحركوهم إلى الحرب". [3] وعارض آخرون، الذين وصفهم يوسيفوس بأنهم أكبر سناً وأكثر حكمة، الثورة بشدة. أدى وصول يوحنا والثوار الآخرين إلى أورشليم من الريف إلى تصعيد الصراع من خلال أسر "أقوى رجل في المدينة بأكملها"، الزعيم اليهودي أنتيباس - أمين صندوق المدينة - ورجلين آخرين مرتبطين أيضًا بالسلالة الملكية. واتهم المتمردون أسراهم الثلاثة بالالتقاء بالعدو أثناء التخطيط لتسليم أورشليم للرومان، ووصفوهم بأنهم "خونة لحريتنا المشتركة" وذبحوهم.[4]

يقول يوسيفوس أنه خدم في سن الثلاثين حاكمًا

للجليل، قبل أن ينضم إلى الحرب ضد روما تحت ضغط

من مواطنيه، لكنه لا يفسر لماذا انتهك مبادئه الخاصة، على الرغم من أنه يقول إنه في البداية تظاهر بالموافقة على المتمردين حتى لا يثير شكوكهم. يصف بالتفصيل معاركه ضد الرومان، وكيف نجا بالكاد من مذبحة رومانية في مدينة جوتاباتا المهزومة. وبعد أن نجح في الاختباء أولاً ثم في النجاة من اتفاق انتحاري عقده مع زملائه اللاجئين، وقع يوسيفوس في قبضة الرومان. أمام فسبازيان، القائد الروماني، أعلن يوسيفوس أن الله قد أوحى إليه أن فسبازيان سيصبح حاكمًا على روما. لم يقتنع فسبازيان، بل افترض أن هذه كانت خدعة من يوسيفوس لإنقاذ حياته. ولكن بعد اغتيال نيرون، وصعود ثلاثة أباطرة آخرين وسقوطهم في غضون أشهر، أصبح فسبازيان الإمبراطور. وكان من أوائل أعماله أنه أمر جنوده بتحرير يوسيفوس من السجن. ومنذ ذلك الحين سافر يوسيفوس برفقة فسبازيان كمترجم ووسيط. وعاد إلى القدس مع تيتوس ابن فسبازيان عندما تولى الجنرال الشاب قيادة الحرب من والده من أجل الزحف على المدينة المقدسة.

يقول يوسيفوس إنه بحلول ذلك الوقت، كانت هناك ثلاث فصائل قد قسمت المدينة: الحزب الكهنوتي الذي كان يعمل من أجل السلام؛ والثوار من الريف؛ وكان يتنافس ضد كلا الحزبين حزب ثانٍ معادٍ للرومان، بقيادة شخصيات بارزة من أورشليم، "رجال بقوة عظيمة"، والذين أرادوا، وفقًا ليوسيفوس، الحفاظ على سلطتهم ضد المتطرفين من الريف المحيط. حتى قبل وصول الجيوش الرومانية، يقول يوسيفوس، كانت هذه "الفصائل الثلاث الخائنة" تتقاتل فيما بينها، بينما "كان أهل المدينة... مثل جسد عظيم ممزق إلى أشلاء". [5] كان يوسيفوس نفسه، في خدمة القائد الروماني أثناء الحصار، واقفا بين نارين: فقد كان مكروهاً بشدة من قبل العديد من أبناء شعبه باعتباره خائناً، وكان الرومان يشتبهون به بالخيانة كلما واجهوا نكسة.

يصف يوسيفوس بالتفصيل حصار أورشليم، بما في ذلك أهوال المجاعة التي سببتها الحصارات الرومانية، حيث يقول: "كان الأطفال يسحبون من أفواههم نفس اللقم التي كان آباؤهم يأكلونها، والأمر الأكثر إثارة للشفقة هو أن الأمهات فعلن ذلك بأطفالهن الرضع". [6] حتى كبار السن

والأطفال تعرضوا للتعذيب لسرقة الطعام. وأخيرًا، عندما لم تعد الجيوش اليهودية قادرة على الصمود، دخل الجنود الرومان المدينة واقتحموا الهيكل العظيم. دخل تيتوس ومساعدوه، بدافع الفضول على ما يبدو، إلى قدس الأقداس، الغرفة المقدسة التي كان يُحفظ فيها تابوت العهد. نهب الغزاة الرومان الخزانة، واستولوا على أثاثها الذهبي الثمين، والأبواق الذهبية، والمنارة الضخمة ذات السبعة فروع؛ ثم أشعلوا النار في الهيكل وشاهدوه يحترق.

وفي وقت لاحق من تلك الليلة، احتفلوا بانتصار تيتوس، وانتصارهم قاموا بتدنيس حرم الهيكل من خلال التضحية هناك لآلهتهم. وبعد أن دمروا الجيوش اليهودية، قاموا باغتصاب ونهب وقتل الآلاف من سكان أورشليم وتركوا المدينة في حالة خراب. لا شك أن يوسيفوس، الذي كتب من فيلته الرومانية المنعزلة بعد مرور ما بين عشرة إلى خمسة عشر عامًا، كان يأمل ليس فقط في التعبير عن حزنه، بل أيضًا في تبرئة نفسه من التعاون مع أولئك الذين دمروا أورشليم عندما كتب،

> "يا أيتها المدينة البائسة، ما هذا البؤس العظيم الذي عانيته من الرومان عندما طهروك من كراهيتك الداخلية!"

ومهما كانت دوافع يوسيفوس، فإن كتاباته تنقل انطباعًا قويًا عن الفصائل التي قسمت أورشليم، وكذلك عن الدمار المروع الذي عانى منه سكان المدينة.

ما يجعل هذه الأحداث مهمة لغرضي في هذا الكتاب هو أن الإنجيل المسيحي الأول قد كتب على الأرجح خلال العام الأخير من الحرب، أو العام الذي انتهت فيه.[8] لا نعرف أين كتب ومن كتبه؛ فالكتاب مجهول، على الرغم من أن التقليد ينسبه إلى مرقس، وهو زميل أصغر سناً للرسول بطرس. ما نعرفه هو أن كاتب إنجيل مرقس كان على علم جيد بالحرب وانحاز إلى جانب في الصراعات التي أثارتها، سواء بين الجماعات اليهودية أو بين اليهود والرومان.

كان مرقس يكتب، بعد كل شيء، عن معلم يهودي كاريزمي، يسوع الناصري، الذي أعدم قبل خمسة وثلاثين عامًا على يد بيلاطس البنطي، الحاكم الروماني ليهودا، على ما يبدو بتهمة التحريض على الفتنة ضد روما. ومن بين كل أتباعه إدعى فيما بعد

أنه يعرفه، الاتهامات وصلبه هي الحقائق الأساسية التي يتفق عليها أتباع يسوع وأعداؤه. لا يوجد أي من الروايات الباقية عن يسوع معاصر لحياته، على الرغم من أن العديد من الناس رووا وأعادوا سرد قصص عنه، ورووا أقواله وأمثاله. وقد كتبت عشرات ـ وربما مئات ـ من الروايات عن يسوع، بما في ذلك الروايات المخفية منذ زمن طويل والتي وجدت بين ما يسمى بالأناجيل السرية التي اكتشفت في نجع حمادي في صعيد مصر عام 1945 .[4]) ولكن من بين هذه الروايات العديدة، لم يتضمن العهد الجديد سوى أربعة أناجيل. إن الغالبية العظمى من الذين رووا وكتبوا عن يسوع فعلوا ذلك كمعجبين مخلصين له، وبعضهم حتى كعابدين له. لكن آخرين، ومنهم يوسيفوس نفسه، وكذلك السيناتور الروماني تاسيتس، الذي كتب حوالي عام 115 ميلادية، يذكرون يسوع وأتباعه بعداء أو ازدراء.[10] ومع ذلك، فإن جميع هؤلاء تقريبًا، المدافعين والمعارضين على حد سواء، وضعوا يسوع الناصري والحركة التي بدأها في سياق "الاضطرابات الأخيرة في يهودا".

بحسب مرقس، احتج يسوع على اعتقاله "كـ لص

" (مرقس 14: 48). يقول مؤلف إنجيل لوقا، الذي كتب بعد حوالي عشرة إلى خمسة عشر عامًا، إن يسوع اتُهم، مثل أولئك المصلوبين معه، بأنه لص (لوقا 23: 40).[11] هذا المصطلح اليوناني (UsteS) الذي يُترجم حرفيًا إلى "لص" أو "قطاع طرق"، كان في أوائل القرن الأول مصطلحًا شاملًا لشخص غير مرغوب فيه، أو مثير للمشاكل، أو مجرم. ومع ذلك، فإن يوسيفوس، في كتاباته بعد الحرب اليهودية ضد روما، يستخدم المصطلح في أغلب الأحيان لوصف أولئك اليهود الذين كانوا يحرضون أو يشاركون في أنشطة معادية للرومان أو في الحرب ضد روما نفسها.[12] وأنا أتفق مع العديد من العلماء الآخرين على أن من غير المرجح أن يكون يسوع نفسه ثوريًا،[1] على الرغم من أن كلًا من الأناجيل الأربعة يشير إلى أن القادة اليهود الذين أحضروه إلى بيلاطس اتهموه بالادعاء بأنه "ملك اليهود". وبحسب مرقس، فإن جنود بيلاطس، على علم بالتهمة، سخروا من يسوع وأساءوا معاملته باعتباره ملكًا محتملًا لليهود؛ ويبدو أن نفس التهمة كانت منقوشة على صليبه كتحذير للآخرين بأن روما ستقتل بالمثل أي شخص متهم بالتمرد.

الروايات التي نعرفها باسم أناجيل العهد الجديد

التي كتبها بعض أتباع يسوع الذين عاشوا خلال

الحرب، ومن كانوا يعلمون أن العديد من إخوانهم اليهود ينظرون إليهم باعتبارهم أقلية مشبوهة؟" لقد كتبوا رواياتهم الخاصة عن بعض الأحداث المهمة المحيطة بالحرب، والدور الذي لعبه يسوع في الأحداث التي سبقتها، على أمل إقناع الآخرين بتفسيرهم. لا يمكننا أن نفهم أناجيل العهد الجديد بشكل كامل حتى ندرك أنها، بهذا المعنى، أدب حرب. كما ذكرنا سابقًا، فإن الإنجيل الذي نسميه مرقس (على الرغم من أننا لا نعرف تاريخيًا من كتب هذه الأناجيل بالفعل، فأنا أستخدم نسبها التقليدي) قد كُتب إما أثناء الحرب نفسها، ربما أثناء فترة هدوء مؤقتة في حصار أورشليم، أو مباشرة بعد الهزيمة، في عام 70 م.[14] كتب متى ولوقا بعد ذلك بعشرة إلى عشرين عامًا، كل منهما استخدم مرقس كأساس له ووسّع رواية مرقس بمزيد من الأقوال والقصص. يعتقد معظم العلماء أن يوحنا كتب إنجيله، ربما في الإسكندرية، بعد جيل من الحرب، حوالي عام 90-95 ميلادي،[15]

كان هناك واحد فقط من أتباع يسوع، الذي تم دمج كتاباته فيما بعد

في العهد الجديد - بولس الطرسوسي - كتب قبل الحرب، ولم يستطع بالطبع أن يقول أي شيء عن يسوع فيما يتعلق بها. لا يذكر بولس الكثير مما يتعلق بسيرة يسوع، مكررًا فقط القليل من "أقوال الرب" (أعمال الرسل 20: 35).[16] ما أثار اهتمام بولس بشأن موت يسوع لم يكن الصلب كحدث حقيقي، بل ما رآه كمعنى ديني عميق له - كما يقول، "مات المسيح من أجل خطايانا" (1 كورنثوس 15: 3)، أنه أصبح ذبيحة كفارة، والتي، كما اعتقد بولس، غيرت العلاقة بين إله إسرائيل والجنس البشري بأكمله. إذا كان بولس يعلم التهم الموجهة إلى يسوع - أنه كان واحداً من العديد من الجليليين الذين اعتبرهم يوسيفوس مثيري الشغب[17] لتحريضهم على التمرد ضد روما - فمن الواضح أنه اعتبر هذه التهم باطلة بشكل واضح أو غير ذات صلة بحيث لا تحتاج إلى دحض. توفي بولس حوالي عام 64-65 ميلادي في روما، وأُعدم، مثل يسوع، بأمر من القضاة الرومان.

لقد غيرت الأحداث الكارثية التي وقعت بين عامي 66 و 70 ميلادية العالم الذي يعيش فيه اليهود إلى الأبد، ليس فقط في أورشليم، حيث حلت الأنقاض المتفحمة محل الهيكل الرائع، بل أيضًا بالنسبة لليهود في جميع أنحاء العالم المعروف. حتى أولئك الذين لم يروا أورشليم قط عرفوا أن مركز عالمهم قد تحطم. لقد

أدت مصاعب الهزيمة وإذلالها إلى تفاقم الانقسامات القديمة داخل المجتمعات اليهودية المتفرقة، والتي استمر بعضها في جميع أنحاء شرق البحر الأبيض المتوسط ما يصل إلى مائتي عام، منذ الوقت الذي طردت فيه جيوش الزعيم اليهودي يهوذا المكابي السلالات السورية التي أسسها الإسكندر الأكبر وأعادت الدولة اليهودية. وفي الفترة ما بين عامي 65 و 70 ميلادية، كانت هذه الانقسامات أكثر وضوحاً بين أولئك الذين دعوا إلى الحرب مع روما، والحزب الكهنوتي، الذي عمل على الحفاظ على السلام الهش. وفي أعقاب الحرب ضد روما، تغيرت علاقات القوة بين مختلف المجموعات داخل المجتمعات اليهودية المنتشرة في جميع أنحاء العالم من الإسكندرية وأنطاكية إلى روما لمواجهة الوضع المتغير. وفي أورشليم نفسها، بعد أن زال الهيكل وقُتل أو هرب الآلاف، فقدت الطبقة الكهنوتية الكثير من نفوذها بينما تنافست أحزاب أخرى على المناصب.

وقد أدت الحرب وتداعياتها إلى انقسام أتباع يسوع أيضًا فيما يتعلق بالمجتمعات اليهودية الأخرى. لقد رفض أتباع يسوع القتال في الحرب ضد الرومان، ليس لأنهم اتفقوا مع يوسيفوس وغيره على أن الرومان لا يقهرون، أو لأنهم كانوا يأملون في الحصول على ميزة مالية أو سياسية. اعتقد أتباع يسوع أنه لا جدوى من محاربة الرومان لأن الأحداث الكارثية التي تلت تثبيته على الصليب كانت علامات النهاية - علامات على أن العالم كله سوف يتحطم ويتحول (مرقس 13: 4-29). وأصر البعض على أن ما رأوه - أهوال الحرب - يثبت في الواقع دعوته "توبوا، لأن ملكوت الله قريب" (مرقس 1: 15). ويشارك مرقس الاعتقاد السائد بين أتباع يسوع[1] بأن يسوع نفسه تنبأ بهذه الأحداث التي ستحطم العالم - تدمير الهيكل وتدنيسه:

> وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ مِنَ الْهَيْكَلِ قَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: "يَا مُعَلِّمُ انْظُرْ مَا هَذِهِ الْحِجَارَةُ وَهَذِهِ الأَبْنِيَةُ؟" فَأَجَابَ يَسُوعُ: "أَتَنْظُرُ هَذِهِ الأَبْنِيَةَ الْعَظِيمَةَ؟ لاَ يُتْرَكُ حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ... فَمَتَى نَظَرْتُمْ "رِجْسَةَ الْخَرَابِ" الَّتِي قَالَ عَنْهَا دَانِيآلُ النَّبِيُّ قَائِمَةً حَيْثُ لاَ يَنْبَغِي - لِيَفْهَمِ

الْقَارِئُ - فَحِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ (مرقس 13:1-14)

وهذا بالضبط ما حدث الآن. واعتقد آخرون - بل وتجرأ بعضهم على القول - أن هذه الكوارث ذاتها حدثت كعقاب غاضب من الله على شعبه بسبب جريمة رفض المسيح الذي أرسله الله إليهم.

على أية حال، يصر مرقس على أن أتباع يسوع لم يكن لديهم أي خلاف مع الرومان، بل مع القادة اليهود - مجلس الشيوخ، السنهدرين، إلى جانب الكتبة والكهنة في أورشليم - الذين رفضوا مسيح الله. يقول مرقس أن هؤلاء القادة رفضوا الآن مرقس وإخوانه المؤمنين، ووصفوهم إما بالمجانين أو الممسوسين بالشياطين، وهي نفس التهم التي وجهوها إلى يسوع نفسه.

يتخذ مرقس موقفًا تصالحيًا تجاه الرومان، على الرغم من أنه كان معروفًا أن الحاكم الروماني، بيلاطس البنطي، حكم على يسوع بالموت. ومع ذلك، فإن مشهدي المحاكمة المدرجين في هذا الإنجيل يتهمان الزعماء اليهود فعليًا بقتل يسوع، بينما يبرئان الرومان إلى حد ما. يخترع مرقس فعليًا "بيلاطس" جديدًا - رجل طيب النية ومتحفظ، حريص على تحقيق العدالة، ولكن كما يصوره مرقس، كان مرعوبًا من رؤساء الكهنة داخل قاعة مجلسه ومن حشود الصراخ في الخارج، لدرجة أنه قام بإعدام رجل يشتبه في أنه قد يكون بريئًا.

ويصف كتاب آخرون من القرن الأول، يهود ورومان، رجلاً مختلفًا تمامًا. حتى يوسيفوس، على الرغم من تعاطفه مع الرومان، يقول إن الحاكم أظهر ازدراءً لرعيته اليهود، واستولى بشكل غير قانوني على أموال من خزانة الهيكل، وقمع الحشود الجامحة بوحشية.[18] يصف مراقب معاصر آخر، فيلو، وهو عضو محترم ومؤثر في المجتمع اليهودي بالإسكندرية، بيلاطس بأنه رجل "قاسٍ وعنيد وجبار"، اشتهر، من بين أمور أخرى، بأمره "بإعدامات متكررة دون محاكمة".[19]

إن دوافع مرقس فيما يتعلق ببيلاطس ليست بسيطة. وبقدر ما يوجه

مرقس روايته إلى الغرباء، فإنه حريص على تهدئة الشكوك الرومانية من خلال إظهار أن أتباع يسوع لا يشكلون تهديدًا للنظام الروماني، تمامًا كما لم يكن يسوع نفسه يشكل تهديدًا. ربما كان مرقس أيضًا يريد تحويل القراء غير اليهود. ومع ذلك، فإن مرقس مهتم

في المقام الأول بالصراعات داخل المجتمع اليهودي - وخاصة الصراعات بين مجموعته وأولئك الذين يرفضون ادعاءاتها بشأن يسوع.

وعلى الرغم من العداء والشكوك التي أثارها هو وحركته

بين اليهود والأمميين، بما في ذلك الرومان بالطبع، فقد كتب مرقس ليعلن "بشارة يسوع الناصري مسيح إسرائيل" (1: 1). ومع ذلك فإن مرقس يعرف أنه لتبرير مثل هذه الادعاءات عن يسوع، يتعين عليه أن يجيب على الاعتراضات الواضحة. لو كان يسوع قد أُرسل كملك ممسوح من الله، فكيف كان من الممكن للحركة التي بدأها أن تفشل فشلاً ذريعاً؟ كيف يمكن لأتباعه أن يتخلوا عنه ويختبئوا، بينما ألقى الجنود القبض عليه كمجرم عادي؟ لماذا رفض كل شعبه تقريبًا الادعاءات المتعلقة به - ليس فقط سكان المدن في الجليل ولكن أيضًا الحشود التي اجتذبها في رحلاته في جميع أنحاء يهودا و أورشليم؟ ألم يكن يسوع نفسه، بعد كل شيء، مثيراً للفتنة، وقد لطخته ذكرياته الماضية بارتباطه بالحرب الفاشلة، حيث تم اعتقاله وصلبه باعتباره متمرداً؟ في محاولة للإجابة على هذه الأسئلة، يضع مرقس الأحداث المحيطة بيسوع في سياق ليس فقط الصراع ضد روما، بل الصراع بين الخير والشر في الكون. ويشير إلى أنه لا يمكن فهم الأحداث الصارخة في حياة يسوع وموته، بمعزل عن صراع القوى الخارقة للطبيعة التي يراها مرقس تجري على الأرض في حياة يسوع. ينوي مرقس أن يروي قصة يسوع من منظور ديناميكياتها الخفية والأعمق - أن يرويها، إذا جاز التعبير، من وجهة نظر الله.

ما حدث، كما يقول مرقس، هو هذا: كان يسوع الناصري، بعد معموديته، خارجًا من مياه نهر الأردن عندما

"رَأَى السَّمَاوَاتِ قَدِ انْشَقَّتْ وَالرُّوحَ مِثْلَ حَمَامَةٍ نَازِلاً عَلَيْهِ."وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ: "أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ!". (1: 10-11). لقد مسحت قوة الله يسوع لتحدي قوى الشر التي تهيمن الآن على العالم، ودفعته إلى صراع مباشر مع تلك القوى.[20] يؤطر مرقس روايته في بدايتها وفي ذروتها بحلقات ينتقم فيها الشيطان وقواه الشيطانية من الله من خلال العمل على تدمير يسوع. يبدأ مرقس بوصف كيف نزل روح الله على يسوع عند معموديته، و"أخرجه في الحال إلى البرية،

" وَكَانَ هُنَاكَ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْماً يُجَرَّبُ مِنَ الشَّيْطَانِ. وَكَانَ مَعَ الْوُحُوشِ. وَصَارَتِ الْمَلاَئِكَةُ تَخْدِمُهُ.[1]" (1: 12-13). يقول مرقس أنه منذ تلك اللحظة، حتى بعد أن غادر يسوع البرية وعاد إلى المجتمع، كانت قوى الشر تتحداه وتهاجمه في كل منعطف، وكان يهاجمهم في المقابل وينتصر. وقد اعتمد متى ولوقا، اللذان كتبا بعد حوالي عشرة إلى عشرين عامًا، هذا السيناريو الافتتاحي وشرحاه. كل واحد منهم يحول الأمر إلى دراما من ثلاثة إغراءات، أي ثلاث مواجهات متزايدة الشدة بين الشيطان وروح الله، الذي تعمل من خلال يسوع. يُظهِر لوقا أن الشيطان، الذي هُزِم في هذه المحاولات الأولى للتغلب على يسوع، انسحب " فَارَقَهُ إِلَى حِينٍ." (لوقا 4: 13). ثم يقول لوقا ما يلمح إليه مرقس ومتى - أن الشيطان عاد شخصيًا في صورة يهوذا الإسخريوطي لتدمير يسوع، وبدأ الخيانة التي أدت إلى اعتقاله وإعدامه (لوقا 22: 3). تصور جميع أناجيل العهد الجديد، مع اختلافات كبيرة، إعدام يسوع[1] باعتباره ذروة الصراع بين الخير والشر - بين الله والشيطان - الذي بدأ عند معموديته.

على الرغم من أن الشيطان نادرًا ما يظهر على المسرح في هذه الأناجيل،

إلا أنه يلعب دورًا محوريًا في الدراما الإلهية، لأن كتاب الأناجيل يدركون أن القصة التي يجب أن يرووها لن يكون لها معنى بدون الشيطان. كيف يمكن لأي شخص، بعد كل شيء، أن يدعي أن رجلاً خانه أحد أتباعه، وأعدم بوحشية بتهمة الخيانة ضد روما، لم يكن فقط، بل لا يزال، المسيح المعين من قبل الله، إلا إذا كان أسره وموته، كما تصر الأناجيل، ليس هزيمة نهائية بل مجرد مناوشة تمهيدية في صراع كوني واسع النطاق يلف الكون الآن؟ المعركة النهائية لم تبدأ بعد، ناهيك عن الفوز بها، ولكنها وشيكة. وكما حذر يسوع محققه في محاكمته، فسوف يتم تبرئته قريبًا عندما يعود "ابن الإنسان" في سحاب السماء (مرقس 14: 62)؛ وهنا يذكر مرقس يسوع بإحدى رؤى النبي دانيال، حيث يأتي "مثل ابن الإنسان" (أي الإنسان)، "مع سحاب السماء" ويصبح حاكمًا لمملكة الله (دانيال 14: 62). 7 :13-14). ربما قرأ العديد من معاصري مرقس نبوءة دانيال على أنها تتنبأ بقدوم الفاتح الذي سيهزم حكام إسرائيل الأجانب.

في حين أن إنجيل مرقس قد يبدو للوهلة الأولى وكأنه سيرة ذاتية تاريخية،

إلا أنه ليس بهذه البساطة، فمرقس لا ينوي كتابة التاريخ، كما فعل يوسيفوس، بل في المقام الأول لإقناع الناس بدقة روايته للأحداث الأخيرة وجعلها مفهومة على المستوى البشري. وبدلاً من ذلك، يريد مرقس أن يوضح ما تعنيه هذه الأحداث بالنسبة لمستقبل العالم، أو كما يطلق عليه العلماء، من الناحية الأخروية. يقوم مرقس وزملاؤه بدمج الشكل السيرة الذاتية مع موضوعات الصراع الخارق للطبيعة المستعارة من الأدب اليهودي الرؤيوي لخلق نوع جديد من السرد. تحمل هذه الأناجيل قناعة قوية لدى كاتبيها بأن إعدام يسوع، الذي بدا وكأنه يشير إلى انتصار قوى الشر، كان في الواقع ينذر بفنائهم النهائي ويضمن انتصار الله النهائي.[21]

لقد فضّل العديد من المسيحيين ذوي العقلية الليبرالية تجاهل

وجود الملائكة والشياطين في الأناجيل. ومع ذلك، فإن مرقس يقصد من وجودهم أن يعالج السؤال المؤلم الذي أثارته أحداث العقود السابقة: كيف يمكن لله أن يسمح بمثل هذا الموت والدمار؟ بالنسبة لمرقس ورفاقه، فإن قضية العدالة الإلهية تتضمن، قبل كل شيء، قضية العنف البشري. يريد كاتبو الأناجيل إيجاد وتحديد الطرق المحددة التي تعمل بها قوى الشر من خلال أشخاص معينين لإحداث تدمير عنيف، وفوق كل شيء، على حد تعبير متى، "الدم البار الذي سفك على الأرض، من دم هابيل البريء إلى دم زكريا بن برخيا" (23: 35) - العنف الذي تجسد في إعدام يسوع، والذي يراه متى بمثابة ذروة كل الشرور. إن موضوع الحرب الكونية يهدف في المقام الأول إلى تفسير العلاقات الإنسانية - وخاصة الصراعات البشرية للغاية - في شكل خارق للطبيعة. وتصبح شخصية الشيطان، من بين أمور أخرى، وسيلة لوصف أعداء المرء الحقيقيين باعتبارهم تجسيدًا للقوى المتعالية. بالنسبة للعديد من قراء الأناجيل منذ القرن الأول، فإن التناقض الموضوعي بين روح الله والشيطان قد إثبات صحة موقف أتباع يسوع وحوّل أعداءهم إلى شيطان.

ولكن كيف تحدد شخصية الشيطان العدو؟ ما هو الشيطان وكيف يظهر على الأرض؟ نادرًا ما تربط أناجيل العهد الجديد الشيطان بالرومان، ولكنها تربطه باستمرار بأعداء يسوع اليهود، وفي المقام الأول يهوذا الإسخريوطي ورؤساء الكهنة والكتبة. ومن خلال

وضع قصة يسوع في سياق الحرب الكونية، عبّر كاتبو الأناجيل، بطرق مختلفة، عن تعاطفهم مع الأقلية المحاصرة من اليهود الذين آمنوا بيسوع، وعن حزنهم لما اعتبروه ارتدادًا من جانب أغلبية إخوانهم اليهود في زمن يسوع، وكذلك في زمنهم. وكما سنرى، فإن أتباع المسيح لم يخترعوا ممارسة شيطنة الأعداء داخل جماعتهم، على الرغم من أن المسيحيين (والمسلمين من بعدهم) حملوا هذه الممارسة إلى أبعد مما حملها أسلافهم اليهود، وبعواقب وخيمة.

ولكن من هم أعداء يسوع في الواقع؟ ما نعرفه تاريخيًا يشير إلى أنهم كانوا الحاكم الروماني وجنوده. كانت التهمة الموجهة إلى يسوع وإعدامه رومانية بامتياز. وكانت السلطات الرومانية، التي كانت دائمًا تراقب أي تلميح للفتنة، قاسية في قمعها. وتشير المؤرخة ماري سمولوود إلى أن محاصرة مثيري الشغب وقتلهم، وخاصة أولئك الذين أشعلوا المظاهرات العامة، كان إجراء روتينيا للقوات الرومانية المتمركزة في يهودا.[22] وخلال القرن الأول، اعتقل الرومان وصلبوا آلاف اليهود المتهمين بالفتنة ــ وفي كثير من الأحيان، كما يقول فيلو، دون محاكمة. ولكن كما تشير الأناجيل، كان ليسوع أيضًا أعداء بين إخوانه [7] اليهود، وخاصة كهنة أورشليم وحلفائهم المؤثرين، الذين شعروا بالتهديد بسبب أنشطته.

والنقطة الحاسمة هنا هي: لو أن أتباع يسوع اعتبروا أنفسهم من الأغلبية اليهودية وليس من أقلية معينة، لكانوا قد رووا قصته بطريقة مختلفة تماما ــ وبقدر أعظم من المصداقية التاريخية. ربما كانوا يروونها، على سبيل المثال، بأسلوب وطني تقليدي، كقصة رجل دين يهودي ملهم استشهد على يد أعداء إسرائيل التقليديين، أو القمع الأجنبي من نوع أو آخر. على سبيل المثال، سفر دانيال التوراتي، الذي يروي قصة النبي دانيال، الذي على الرغم من تهديده بموت رهيب - أن تمزقه الأسود - إلا أنه تحدى ملك بابل باسم الله وشعب إسرائيل (دانيال 6 :1-28). يروي سفر المكابيين الأول قصة الكاهن متاثياس الذي تحدى الجنود السوريين عندما أمروه بعبادة الأصنام. اختار متاثياس الموت على أن يخون إخلاصه لله.[23]

ولكن على النقيض من مؤلفي سفر دانيال أو سفر المكابيين الأول، اختار كاتبو الأناجيل أن ينأوا بأنفسهم عن الأغلبية اليهودية وأن يركزوا بدلاً من ذلك على الصراع الداخلي اليهودي ـ وتحديداً على نزاعهم مع أولئك الذين قاوموا ادعاءاتهم بأن يسوع هو المسيح. في الأناجيل، كما سنرى، تميل شخصية الشيطان إلى التعبير عن هذا التحول الدرامي في إلقاء اللوم من "الأمم"[1] ـ أي الغوييم، بالعبرية ـ إلى أفراد شعب يسوع نفسه. إن التنوع في كل إنجيل، كما يصور نشاط المعارضة الشيطانية ـ أي أولئك الذين يُنظر إليهم على أنهم أعداء ـ يعبر، في اعتقادي، عن مجموعة متنوعة من العلاقات، والتي غالبًا ما تكون متناقضة إلى حد كبير، بين مجموعات مختلفة من أتباع يسوع والمجموعات اليهودية المحددة التي يعتبرها كل كاتب خصومه الأساسيين. أريد تجنب التبسيط المفرط. ومع ذلك فمن المحتمل أن يكون من العدل أن نقول إنه في كل الأحوال فإن قرار وضع قصة يسوع في سياق صراع الله ضد الشيطان يميل إلى التقليل من دور الرومان، وإلقاء اللوم بشكل متزايد على أعداء يسوع اليهود.

ولكن هذا لا يعني أن كاتبي الأناجيل كانوا يقصدون تبرئة الرومان فحسب. من المؤكد أن مرقس كان يدرك أنه خلال فترة وجوده، ولثلاثين عامًا تقريبًا بعد الحرب، ظل الرومان حذرين من تجدد الفتنة. كان أعضاء المجموعة الموالية لرجل مثير للفتنة مدانًا معرضين للخطر، وربما كان مرقس يأمل في إقناع هؤلاء الغرباء الذين قد يقرؤون روايته بأن يسوع وأتباعه لم يشكلوا أي تهديد للنظام الروماني. ولكن في رواية مرقس، يظل الرومان، حتى القلائل الذين تم تصويرهم بتعاطف إلى حد ما، غرباء إلى حد كبير. يروي مرقس قصة يسوع في السياق الذي يهمه أكثر ـ داخل المجتمع اليهودي. وهنا، كما هو الحال في أغلب المواقف الإنسانية، كلما كان الصراع حميميًا، أصبح أكثر شدة ومرارة.

يبدأ مرقس روايته بسرد قصة معمودية يوحنا ليسوع، ويروي أنه في لحظة المعمودية نزلت قوة الله على يسوع، و"وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ!." (1: 11). في تلك اللحظة، اختفى كل البشر من رواية مرقس، وكما رأينا، فإن روح الله تدفع يسوع إلى البرية لمواجهة الشيطان والحيوانات البرية والملائكة. وفي سرده لهذه الحلقة، كما لاحظ جيمس روبنسون، لا ينحرف مرقس عن الأحداث في العالم البشري،

ولكن ما يشير إليه مرقس هو أنه يريد ربط هذه الأحداث بالصراع بين الخير والشر في الكون.[24] وبالتالي، تنتقل رواية مرقس مباشرة من صراع يسوع الانفرادي مع الشيطان في البرية إلى ظهوره العلني الأول في كنيس كفرناحوم، حيث

> دخل المجمع فورًا يوم السبت وبدأ يعلّم. فتعجبوا من تعليمه، لأنه كان يعلم كمن له سلطان وليس كالكتبة (1: 22).

هناك يلتقي يسوع برجل ممسوس بروح شريرة، الذي، عندما أحس بقوة يسوع الإلهية، يتحداه: "ما لنا ولك يا يسوع الناصري؟ هل أتيت لتهلكنا؟" (1 :24). بحسب مرقس، جاء يسوع ليشفي العالم ويستعيده لله؛ ولكي يتمكن من تحقيق ذلك، يجب عليه أن يتغلب على القوى الشريرة التي اغتصبت السلطة على العالم، والتي تقمع البشر الآن. لذلك، يقول مرقس،

> فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: "اخْرَسْ وَاخْرُجْ مِنْهُ!" فَصَرَعَهُ الرُّوحُ النَّجِسُ وَصَاحَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَخَرَجَ مِنْهُ. فَتَحَيَّرُوا كُلُّهُمْ حَتَّى سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً قَائِلِينَ: "مَا هَذَا؟ مَا هُوَ هَذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ؟ لأَنَّهُ بِسُلْطَانٍ يَأْمُرُ حَتَّى الأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ فَتُطِيعُهُ!" فَخَرَجَ خَبَرُهُ لِلْوَقْتِ فِي كُلِّ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالْجَلِيلِ. (1 :25-28).

وحتى في هذه الحلقة الأولى، أدركت الحشود المذهولة أن يسوع يمتلك "سلطة خاصة"، أي القدرة على الوصول المباشر إلى قوة الله. تتجلى قوة يسوع بشكل خاص في العمل، حيث أن مرقس لا يسجل هنا ما علمه يسوع. حتى في هذا التحدي العلني الأول لقوى الشر، يُظهِر مرقس كيف أن قوة يسوع تضعه في تناقض - وسرعان ما تضعه في صراع مباشر - مع الكتبة الذين يُبجَّلون عادةً باعتبارهم سلطات دينية. إن ما يقصده مرقس هو إثبات أن يسوع، كما يقول، " لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ." (1: 22).

في هذا الفصل الافتتاحي، يؤكد مرقس أن يسوع شفى "فَشَفَى كَثِيرِينَ كَانُوا مَرْضَى بِأَمْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ " و"وَأَخْرَجَ

شَيَاطِينَ كَثِيرَةً[1] (1 :34). كان يجوب الجليل "يكرز في المجامع ويطرد الشياطين"، لأنه، كما يشرح لسمعان وأندراوس ويعقوب ويوحنا الذين اجتمعوا حوله، "لهذا جئت أفعل" (1: 38).

وأثناء ظهوره العلني التالي، كما يروي مرقس، شعر الكتبة على الفور بالإهانة لما اعتبروه اغتصابًا للسلطة الإلهية. في هذه الحلقة، يتحدث يسوع إلى حشد من الناس متجمعين معًا بشدة، وعندما جاء أربعة رجال يحملون رجلاً مشلولًا،

> وَإِذْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ الْجَمْعِ كَشَفُوا السَّقْفَ حَيْثُ كَانَ. وَبَعْدَ مَا نَقَبُوهُ دَلَّوُا السَّرِيرَ الَّذِي كَانَ الْمَفْلُوجُ مُضْطَجِعاً عَلَيْهِ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: "يَا بُنَيَّ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ." (2 :4-5).

من خلال إعلانه عن المغفرة، يدعي يسوع الحق في التحدث باسم الله - وهو ادعاء أغضب الكتبة، كما يقول مرقس:

> لماذا يتكلم هذا الرجل بهذه الطريقة؟ إنه تجديف! فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده؟ (2 :7).

وبحسب مرقس، فإن يسوع، على علم بردة فعل الكتبة، قام على الفور بعملية شفاء لإثبات سلطته لمنتقديه:

> وعلى الفور قال يسوع، مدركًا في روحه أنهم هكذا شككوا في أنفسهم، "لماذا تسألون هكذا في قلوبكم ؟ . . . ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا" - قال للمفلوج - "أقول لك: قم، خذ سريرك، واذهب إلى بيتك". فقام في الحال وأخذ فراشه وخرج أمام الجميع، حتى دهش الجميع... وقالوا: "ما رأينا مثل هذا قط!" (2 :8-12، التأكيد مضاف).

عندما ظهر يسوع لأول مرة معلناً "توبوا فقد اقترب ملكوت الله!"، لا بد أنه بدا في نظر العديد من معاصريه كأحد الأسينيين الذي انسحب إلى البرية

احتجاجًا على الحياة اليهودية العادية. ومن كهوف الصحراء حيث عاشوا في عزلة رهبانية، ندد الاسينيون بالزعماء الأرستقراطيين الكهنة المسؤولين عن معبد أورشليم - رجال مثل يوسيفوس وأولئك الذين كان معجبًا بهم - باعتبارهم أملًا فاسدًا تمامًا بسبب استيعابهم لطرق غير اليهود، وتعاونهم مع المحتلين الرومان. اعتبر الأسينيون أن الوعظ بالتوبة ودينونة الله القادمة يعني أن اليهود يجب أن يفصلوا أنفسهم عن مثل هذه التأثيرات الملوثة والعودة إلى الالتزام الصارم بشريعة الله - وخاصة قوانين السبت والكوشير التي ميزتهم عن بلاط الأمم باعتبارهم شعب الله المقدس. .[25]

ولكن إذا كان يسوع يبدو وكأنه من أتباع الطائفة الأسينية، فإن أفعاله تنتهك

معيار النقاء الذي اعتبره الإسينيون مقدسًا. بدلاً من أن يفصل نفسه عن الناس الذين نجسوا أنفسهم "بالسير في طرق الأمم" (يوبيل 1: 9)، اختار يسوع أحد تلاميذه جامع ضرائب - وهي فئة كرهها اليهود الآخرون باعتبارها من الاستغلاليين الذين تعاونوا مع الرومان المكروهين. في الواقع، يقول مرقس: "وكان كثير من العشارين يتبعونه" (2: 15). وبدلاً من الصيام، مثل غيره من اليهود المتدينين، كان يسوع يأكل ويشرب بحرية. وبدلاً من مراعاة قوانين السبت بدقة، عذر يسوع تلاميذه عندما خالفوها:

> وفي يوم السبت كان يسوع يمر بين الزروع، وفيما هم في الطريق، ابتدأ تلاميذه يقطفون سنابل. فقال له الفريسيون: انظر، لماذا يفعلون ما لا يحل في السبت؟ فقال لهم: أما قرأتم قط ما فعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه، كيف دخل بيت الله... وأكل الخبز المقدس... وأعطى الذين معه أيضاً؟ (2 :23-26).

هنا يجرؤ يسوع على الادعاء، كسابقة لتصرف تلاميذه العفوي على ما يبدو، بأن الملك داود نفسه هو من خرق قوانين الطعام المقدسة أثناء حالة الطوارئ في زمن الحرب.

مدعيًا السلطة الإلهية والملكية التي تنتهك في الوقت نفسه قوانين الطهارة، كان يسوع، في بداية نشاطه العام،

يثير غضب كل الأحزاب تقريبًا بين معاصريه، بدءًا من تلاميذ يوحنا المعمدان إلى الكتبة والفريسيين.

وفي المرة التالية التي دخل فيها يسوع المجمع يوم السبت، يقول مرقس:

> ثُمَّ دَخَلَ أَيْضاً إِلَى الْمَجْمَعِ وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ. فَصَارُوا يُرَاقِبُونَهُ: هَلْ يَشْفِيهِ فِي السَّبْتِ؟ لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ.فَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي لَهُ الْيَدُ الْيَابِسَةُ: "قُمْ فِي الْوَسَطِ!" ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: "هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ قَتْلٌ؟". فَسَكَتُوا. فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ حَزِيناً عَلَى غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ وَقَالَ لِلرَّجُلِ: " مُدَّ يَدَكَ". فَمَدَّهَا فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى. (3 :1-5).

وبدلاً من تأجيل الشفاء ليوم واحد، اختار يسوع عمداً أن يتحدى منتقديه من خلال القيام به في يوم السبت. وعند رؤية ذلك، قال مرقس:

> فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ لِلْوَقْتِ مَعَ الْهِيرُودُسِيِّينَ [حزب الملك هِيرُودِسُ] وَتَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ. (3 :6).

بالنسبة لمرقس فإن المعنى السري لهذا الصراع واضح. إن الذين أساء إليهم وأغضبهم تصرفات يسوع لا يعرفون أن يسوع مدفوع بروح الله لمحاربة قوى الشر، سواء كانت هذه القوى تظهر نفسها في الوجود الشيطاني غير المرئي الذي يصيب الناس ويمتلكهم، أو في خصومه البشر الحقيقيين. عندما تآمر الفريسيون والْهِيرُودُسِيِّونَ لقتل يسوع، فإنهم هم أنفسهم، كما يشير مرقس، كانوا بمثابة عملاء للشر. وكما يروي مرقس القصة، لم يكد يسوع يستخدم قوة الشيطان حتى "وَتَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ." (3: 6).

ويشير مرقس إلى أن يسوع يدرك أن القادة الذين يعارضونه يحركهم قوى غير مرئية.

يعارضونه ويتم تنشيطهم بواسطة قوى غير مرئية. وبعد أن اتحد هذا التحالف القوي ضده مباشرة، رد يسوع بتكليف مجموعة قيادية جديدة، "الاثني عشر"، ومن المفترض أنه عيّن

قائدًا واحدًا لكل من أسباط إسرائيل الاثني عشر الأصلية. يأمرهم يسوع بالتبشير ويعطيهم "السلطان على إخراج الشياطين" (3: 13).

إن هذا التصعيد في الصراع الروحي يثير على الفور معارضة متصاعدة - معارضة تبدأ في المنزل، داخل عائلة يسوع نفسه. يقول مرقس أنه عندما "ذهب يسوع إلى بيته ... خرجت عائلته ... ليمسكوه، لأنهم قالوا: إنه مجنون [أو: خارج عن نفسه]" (3: 21).[26] ثم اتهم "الكتبة الذين نزلوا من أورشليم" يسوع نفسه بأنه "مسكون ببعلزبول؛ وبرئيس الشياطين يخرج الشياطين" (3: 22). عارض يسوع:

"كَيْفَ يَقْدِرُ شَيْطَانٌ أَنْ يُخْرِجَ شَيْطَاناً؟ وَإِنِ انْقَسَمَتْ مَمْلَكَةٌ عَلَى ذَاتِهَا لاَ تَقْدِرُ تِلْكَ الْمَمْلَكَةُ أَنْ تَثْبُتَ. وَإِنِ انْقَسَمَ بَيْتٌ عَلَى ذَاتِهِ لاَ يَقْدِرُ ذَلِكَ الْبَيْتُ أَنْ يَثْبُتَ. وَإِنْ قَامَ الشَّيْطَانُ عَلَى ذَاتِهِ وَانْقَسَمَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَثْبُتَ بَلْ يَكُونُ لَهُ انْقِضَاءٌ. لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَ قَوِيٍّ وَيَنْهَبَ أَمْتِعَتَهُ إِنْ لَمْ يَرْبِطِ الْقَوِيَّ أَوَّلاً وَحِينَئِذٍ يَنْهَبُ بَيْتَهُ." (3 :23-27).

وبحسب مرقس، يبدو أن "بيت إسرائيل" هو الذي يراه يسوع كبيت منقسم، مملكة منقسمة. يتجادل يسوع علانية ضد الشيطان، الذي يعتقد أنه استولى على بيت الله، الذي جاء ليطهره ويستعيده: يريد يسوع "ربط هذا العدو" و"نهب بيته".

أما بالنسبة لاتهام الكتبة ليسوع بأنه ممسوس من قبل "رئيس الشياطين"، فإنه يلقي عليهم نفس الاتهام بأنه ممسوس من قبل الشيطان ويحذرهم من أنهم بقولهم هذا يخطئون بشدة إلى درجة ختم إدانتهم (3: 28-30). فإنه يقول إن من ينسب عمل روح الله إلى الشيطان يرتكب الخطيئة الوحيدة التي لا تُغفر:

"اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ جَمِيعَ الْخَطَايَا تُغْفَرُ لِبَنِي الْبَشَرِ وَالتَّجَادِيفَ الَّتِي يُجَدِّفُونَهَا. وَلَكِنْ مَنْ جَدَّفَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَيْسَ لَهُ مَغْفِرَةٌ إِلَى الأَبَدِ بَلْ هُوَ مُسْتَوْجِبٌ دَيْنُونَةً أَبَدِيَّةً». لأَنَّهُمْ قَالُوا: «إِنَّ مَعَهُ رُوحاً نَجِساً»." (3 :28-30).

يضع مرقس عمدًا هذه المشاهد التي تصور صراع يسوع مع الكتبة بين حلقتين تصوران صراع يسوع مع عائلته. وبعد ذلك مباشرة، يقول النص اليوناني لمرقس إن أفراد العائلة، الذين سبق أن أعلنوا عنه مجنونًا وحاولوا القبض عليه (3: 21)، يأتون الآن إلى البيت حيث كان يخاطب حشدًا كبيرًا ويطلبون رؤيته. يسوع ينكرهم:

> فَجَاءَتْ حِينَئِذٍ إِخْوَتُهُ وَأُمُّهُ وَوَقَفُوا خَارِجاً وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَدْعُونَهُ. وَكَانَ الْجَمْعُ جَالِساً حَوْلَهُ فَقَالُوا لَهُ: «هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ خَارِجاً يَطْلُبُونَكَ»*[1] ثُمَّ نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى الْجَالِسِينَ وَقَالَ: «هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي! لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللَّهِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي»." (3 :31-35).

وبعد أن أسس عائلة جديدة، وعين اثني عشر قائدًا جديدًا لإسرائيل ليحلوا محل القادة القدماء، فقد أعاد يسوع، كما يقترح مرقس، تشكيل شعب الله. من هذه النقطة فصاعدًا، يميز يسوع بشكل حاد بين أولئك الذين اختارهم، الدائرة الداخلية، و"أولئك الذين هم خارجها". [1] إنه لا يزال يجذب حشودًا هائلة، ولكن أثناء تعليمهم، فإنه يقدم أمثالًا محيرة، ويخفي معناها الكامل عمدًا عن الجميع باستثناء أقربائه:

> وَابْتَدَأَ أَيْضاً يُعَلِّمُ عِنْدَ الْبَحْرِ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ ...فَكَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَثِيراً بِأَمْثَالٍ. وَلَمَّا كَانَ وَحْدَهُ سَأَلَهُ الَّذِينَ حَوْلَهُ مَعَ الاِثْنَيْ عَشَرَ عَنِ الْمَثَلِ. فَقَالَ لَهُمْ: "قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا سِرَّ مَلَكُوتِ اللَّهِ. وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ فَبِالأَمْثَالِ يَكُونُ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ لِكَيْ يُبْصِرُوا مُبْصِرِينَ وَلاَ يَنْظُرُوا وَيَسْمَعُوا سَامِعِينَ وَلاَ يَفْهَمُوا لِئَلاَّ يَرْجِعُوا فَتُغْفَرَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ." (1:4-12, تمت إضافة التأكيد).

على الرغم من أنه ينتقد التلاميذ كثيرًا - في 8: 33 يتهم حتى بطرس بلعب دور الشيطان - إلا أن يسوع يشاركهم أسرارًا يخفيها عن الغرباء، لأن هؤلاء، كما يقول، نقلاً عن إشعياء، يعانون من عمى روحي لا يمكن اختراقه. [2]

بعد أن انتقده الفريسيون وكتبة أورشليم لعدم عيشه "حسب تقاليد الشيوخ" لأنه وتلاميذه يأكلون دون غسل أيديهم، هاجم يسوع منتقديه بدلاً من الدفاع عن فعله، ووصفهم بـ"المنافقين" واتهمهم بأنهم يقدرون تقاليدهم الخاصة بينما يخالفون وصايا الله. ثم يشكك علنًا في شريعة الكوشير نفسها - ويشرح معناها مرة أخرى لتلاميذه وحدهم:

> ثُمَّ دَعَا كُلَّ الْجَمْعِ وَقَالَ لَهُمُ: «اسْمَعُوا مِنِّي كُلُّكُمْ وَافْهَمُوا. لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَارِجِ الإِنْسَانِ إِذَا دَخَلَ فِيهِ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ لَكِنَّ الأَشْيَاءَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. وَلَمَّا دَخَلَ مِنْ عِنْدِ الْجَمْعِ إِلَى الْبَيْتِ سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ عَنِ الْمَثَلِ. فَقَالَ لَهُمْ: «أَفَأَنْتُمْ أَيْضاً هَكَذَا غَيْرُ فَاهِمِينَ؟ أَمَا تَفْهَمُونَ أَنَّ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الإِنْسَانَ مِنْ خَارِجٍ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ إِلَى قَلْبِهِ بَلْ إِلَى الْجَوْفِ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْخَلاَءِ؟. ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإِنْسَانِ ذَلِكَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. لأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ: زِنىً فِسْقٌ قَتْلٌ...سِرْقَةٌ طَمَعٌ خُبْثٌ مَكْرٌ ... جَمِيعُ هَذِهِ الشُّرُورِ تَخْرُجُ مِنَ الدَّاخِلِ وَتُنَجِّسُ الإِنْسَانَ.” (7 :14-23).

هنا يريد مرقس أن يوضح أنه على الرغم من أن يسوع يتخلى عن قوانين الكوشير التقليدية ("الطهارة")، إلا أنه يدعو بدلاً من ذلك إلى تطهير "القلب" - أي الدوافع والرغبات والخيال.

والآن بعد أن أبعد يسوع ليس فقط الكتبة والفريسيين والهيرودسيين، بل أيضًا أقاربه والعديد من سكان بلدته، سافر مع مجموعته الصغيرة من التلاميذ، يبشر الحشود. وعلى الرغم من أنه كان يتوقع ما ينتظره في أورشليم، حيث سيتحدى الحزب الكهنوتي على أرضه، إلا أن يسوع قاد أتباعه بحزم إلى هناك، وسار أمامهم، بينما " وَكَانُوا يَتَحَيَّرُونَ. وَفِيمَا هُمْ يَتْبَعُونَ كَانُوا يَخَافُونَ. " (10: 32). وفي طريقه، أخبر الإثني عشر بالتحديد من هم المسؤولون عن موته الوشيك:

> "هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ

فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ" (10 :33).

تشتد المعارضة ليسوع بعد دخوله أورشليم. وبعد أن أعد موكبًا رسميًا للدخول إلى المدينة، تم الإشادة بيسوع علنًا، في تحدٍ للرومان، باعتباره الرجل الذي يأتي لاستعادة إمبراطورية إسرائيل القديمة: "مباركة مملكة أبينا داود الآتية! "ثم دخل مع أتباعه إلى الهيكل العظيم وأقام هناك مظاهرة علنية مذهلة:

وَجَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ. وَلَمْ يَدَعْ أَحَداً يَجْتَازُ الْهَيْكَلَ بِمَتَاعٍ. (11 :15-16).

والآن يستشهد يسوع بأقوال النبيين إشعياء وإرميا، وكأنه يتكلم باسم الرب نفسه ضد أولئك الذين يسمحون بالمعاملات المالية في ساحة الهيكل:

وَكَانَ يُعَلِّمُ قَائِلاً لَهُمْ: «أَلَيْسَ مَكْتُوباً [4]: بَيْتِي بَيْتَ صَلاَةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ الأُمَمِ؟ وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ»[1]. ولكن رؤساء الكهنة والكتبة سمعوا فطلبوا كيف يهلكوه، لأنهم خافوه، لأن الجمع كله بهت من تعليمه (11: 17-18).

عندما طلب رؤساء الكهنة والكتبة، بالإضافة إلى أعضاء المجلس اليهودي، معرفة السلطة التي يتصرف بها، رفض يسوع الإجابة. وبدلاً من ذلك، فإنه يروي مثل إشعياء عن غضب الله على إسرائيل (12: 1-12) بطريقة شفافة للغاية لدرجة أن رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ أدركوا أنه يرويها "ضدهم" (12: 12). تظهر المشاهد التالية يسوع وهو يتجادل أولاً مع الفريسيين و الهيروديين، الذين فشلوا في خداعه ليجعله يصدر تصريحات معادية للرومان (12: 13-15)، ثم مع الكتبة (12: 35). وأخيرًا يحذر حشدًا كبيرًا:

«تَحَرَّزُوا مِنَ الْكَتَبَةِ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ الْمَشْيَ بِالطَّيَالِسَةِ وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ، وَالْمَجَالِسَ الأُولَى فِي الْمَجَامِعِ وَالْمُتَّكَآتِ الأُولَى فِي الْوَلاَئِمِ. الَّذِينَ يَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ وَلِعِلَّةٍ يُطِيلُونَ الصَّلَوَاتِ. هَؤُلاَءِ يَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ». (12 :38، 40).

ثم عندما خرج يسوع من الهيكل، يقول مرقس، إنه رد على إعجاب تلاميذه [1] المذهول بالأماكن المقدسة، بالتنبؤ بخراب الهيكل: "لاَ يُتْرَكُ حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ"[1] (13: 2). عندما سأله بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس على انفراد عما يعنيه، جلس يسوع معهم على جبل الزيتون مقابل الهيكل وشرح لهم. ويتنبأ بسلسلة من الكوارث المروعة (هذه أحداث يتذكرها معاصرو مرقس في عصرهم، وخاصة أحداث الحرب بين عامي 66 و 70): "الحروب وشائعات الحرب"، والمجاعة، والحماس العام للمسيحيين الكذبة. يحذر يسوع بلغة مبطنة أنه عندما يرون "التدنيس الخراب المقام حيث لا ينبغي أن يكون" - التدنيس الوثني للهيكل - يجب عليهم الفرار إلى الجبال (13: 7-14).
يقصد مرقس أن يجد أتباع يسوع، الذين يعيشون في أوقات عصيبة، العزاء في معرفة أن قائدهم قد تنبأ بمعاناتهم، بسبب ولائهم له ("من أجلي")، والنبذ والانتقام، والكراهية والخيانة، وحتى - ربما بشكل خاص - من أفراد عائلاتهم:

"فَانْظُرُوا إِلَى نُفُوسِكُمْ. لأَنَّهُمْ سَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ وَتُجْلَدُونَ فِي مَجَامِعَ وَتُوقَفُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِي شَهَادَةً لَهُمْ...وَسَيُسْلِمُ الأَخُ أَخَاهُ إِلَى الْمَوْتِ وَالأَبُ وَلَدَهُ وَيَقُومُ الأَوْلاَدُ عَلَى وَالِدِيهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ. وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي." (13: 9-13).

ماذا يفعل المؤمن في مواجهة الخيانة والعزلة والخطر المميت؟ يقول مرقس أن يسوع أوصى أتباعه بأن "يصبروا حتى النهاية". والآن يجب على مرقس أن يخبرنا كيف كان يسوع نفسه.

"لقد صمد حتى النهاية من خلال الاعتقال والمحاكمات في المحاكم اليهودية والرومانية والتعذيب والإعدام، وبالتالي أعطى لأتباعه المعرضين للخطر مثالاً لكيفية التحمل. يقول مرقس أنه قبل الفصح بيومين، "كان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقبضون على يسوع سراً ويقتلونه، لأنهم قالوا: ليس في العيد لئلا يكون شغب في الشعب"، لأن الشعب بقي إلى الآن مع يسوع. وبعد فترة وجيزة من وفاته، كان يهوذا الإسخريوطي على دراية واضحة بالعداء الذي أثاره سيده بين الناس ذوي النفوذ، فذهب "إلى رؤساء الكهنة لكي يسلمهم [يسوع] إليهم، ولما سمعوا فرحوا وعرضوا عليه أموالاً" (14: 1-11).

يقول مرقس إن يهوذا قاد في الليل "حشدًا من رؤساء الكهنة والكتبة وخدام الهيكل يحملون السيوف والهراوات" إلى جثسيماني، وهي حديقة على جبل الزيتون، للقبض على يسوع. فقاتل أحد رجاله بالسيف، فأصاب عبد رئيس الكهنة، واحتج يسوع على معاملته "كاللص" (وهو المصطلح الذي يستخدمه يوسيفوس وغيره عادة لوصف "المتمرد"). وأما بقية أتباعه فتركوه وهربوا، فأمسك يسوع. "أحضره الرجال المسلحون إلى رئيس الكهنة"، على ما يبدو إلى مقر إقامته. على الرغم من أنه لم يكن يُسمح تقليديًا لمجلس السنهدرين بالاجتماع في الليل، إلا أن مرقس يخبرنا أنه في الليلة التي تم فيها القبض على يسوع، "اجتمع جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة" في مقر إقامة رئيس الكهنة لمحاكمة قضيته في إجراء رسمي.

يقدم مرقس الآن المشهد الأول من مشهدين للمحاكمة - "المحاكمة أمام السنهدرين"، والتي يتبعها "المحاكمة أمام بيلاطس". يفترض معظم العلماء أنه حتى لو حدثت هذه الأحداث، فإن أتباع يسوع لم يكونوا ليشهدوا ما حدث سواء عند ظهوره أمام المجلس اليهودي أو عند استدعائه من قبل الرومان.[28] ولكن مرقس لا يهتم بسرد التاريخ. من خلال تقديم هذه المشاهد، يريد مرقس أن يُظهر - قبل كل شيء - أن التهمة المعروفة ضد يسوع - الفتنة - لم تكن باطلة فحسب، بل كانت من اختراع أعداء يسوع اليهود؛ علاوة على ذلك، يقول مرقس، أن الحاكم الروماني نفسه أدرك هذا وحاول عبثًا إنقاذ يسوع! وبحسب مرقس، فإن السنهدرين كان قد حكم مسبقًا في القضية. وكانت المحاكمة مجرد ذريعة من أجل "إعدامه" (14: 55). بعد سماع سلسلة من الأكاذيب

وبينما كان رئيس الكهنة يطرح التهم ويشهد زوراً، واتهمه البعض بتهديده بهدم الهيكل، كان رئيس الكهنة يستجوب يسوع ويطالبه بالإجابة على التهم الموجهة إليه. لكن يسوع بقي صامتا. وأخيراً سأل رئيس الكهنة: «هل أنت المسيح ابن المبارك؟» (14 :61). هنا، ولأول مرة في إنجيل مرقس، يعترف يسوع علنًا بهويته الإلهية لأشخاص آخرين غير تلاميذه، ويستمر في تحذير متهميه من أنهم سيشهدون قريبًا على تبرئته: "أَنَا هُوَ. وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ وَآتِياً فِي سَحَابِ السَّمَاءِ" (14: 62). ثم يتابع مرقس، رئيس الكهنة يمزق ثوبه ويقول: «لقد سمعتم تجديفه». ما هو قراركم؟ "فحكم عليه الجميع بأنه مستحق الموت" (14: 64).

وقد علق العديد من العلماء على عدم معقولية هذه الرواية من الناحية التاريخية.[29] فهل أجرى السنهدرين محاكمة انتهكت ممارساته القانونية الخاصة فيما يتعلق باستجواب الشهود، وتجريم الذات، وإجراءات قاعة المحكمة، وإصدار الحكم؟ على الرغم من أننا لا نعرف الكثير عن إجراءات السنهدرين في زمن يسوع،[30] فهل اجتمع هذا المجلس في الليل فعلاً، على عكس ما يبدو أنه سابقته؟ إذا كان الأمر كذلك، فلماذا يواصل مرقس إضافة نسخة ثانية من اجتماع المجلس لمناقشة هذه القضية - وهو اجتماع يعقد في صباح اليوم التالي، وكأن شيئًا لم يحدث في الليلة السابقة؟ فبعد أن ينهي مرقس روايته الأولى الأكثر تفصيلاً، يتسرب منه ما يصبح الآن تكراراً: " وَلِلْوَقْتِ فِي الصَّبَاحِ تَشَاوَرَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْكَتَبَةُ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ فَأَوْثَقُوا يَسُوعَ وَمَضَوْا بِهِ وَأَسْلَمُوهُ إِلَى بِيلاَطُسَ." (15: 1).

لا يمكننا بالطبع أن نعرف ما حدث بالفعل، ولكن رواية مرقس الثانية، والتي تتفق مع رواية لوقا، تبدو أكثر ترجيحا - أن المجلس انعقد في الصباح، وقرر إبقاء السجين قيد الاحتجاز وتسليمه إلى بيلاطس لمواجهة التهم. [1] يقدم إنجيل يوحنا، بالاعتماد على مصدر مستقل عن إنجيل مرقس، رواية أخرى أعيد بناؤها تعطي تفسيرًا معقولًا لهذه الأحداث.[32] ووفقًا ليوحنا، فإن رؤساء الكهنة، الذين شعروا بالقلق من الحشود التي اجتذبها يسوع، خافوا من وجوده في أورشليم خلال عيد الفصح.

وقد يؤدي ذلك إلى إشعال المظاهرات العامة، "فيأتي الرومان ويدمرون مكاننا المقدس وأمتنا" (11: 48). إن الصراع المدني الذي سبق الحرب اليهودية، كما عرف يوحنا ومعاصروه جيدًا، قد أكد صحة مثل هذه المخاوف بشأن الأعمال الانتقامية الرومانية المحتملة.

يتفق العديد من علماء العهد الجديد الذين حللوا رواية ظهور يسوع أمام السنهدرين على أن مرقس (أو أسلافه) ربما كتبوا النسخة الأولى للتأكيد على النقطة الأساسية: أن بيلاطس لم يصدق إلا على حكم يهودي سابق، ونفذ حكم إعدام لم يأمر به ولم يوافق عليه بنفسه - بل حكم نطقت به القيادة اليهودية بأكملها بالإجماع.[33]

ولكن هذا لا يعني أن مرقس كان مدفوعًا بالحقد تجاه القادة اليهود. في الواقع، يتوقف مرقس بعيدًا عن المدى الذي سيذهب إليه متى ولوقا ويوحنا في إلقاء اللوم على القادة اليهود بشأن الصلب، على الرغم من أن الميل إلى إلقاء اللوم عليهم كان قد بدأ بالفعل قبل زمن مرقس وكان له تأثيره على روايته. ومع ذلك، كان مرقس وإخوانه المؤمنين، باعتبارهم أتباعًا لمجرم مدان، يعرفون أن مثل هذا الولاء من شأنه أن يثير الشكوك ويدعو إلى الانتقام. وكان القضاة الرومان قد ألقوا القبض على العديد من الأعضاء البارزين في الحركة وأعدموهم، بما في ذلك بطرس وبولس. وليس من المستغرب إذن، كما يقول أحد المؤرخين، أن مرقس أراد

> التأكيد على مسؤولية الأمة اليهودية عن موت يسوع، وخاصة قادتها... كان ميل [مرقس] دفاعيًا وليس عدوانيًا. كان حريصًا على تجنب ذكر أي شيء من شأنه إثارة العداء الروماني تجاه المثل العليا التي كان يدافع عنها، أو حتى إثارة الشك فيها... ولذلك سعى الإنجيلي إلى إخفاء حقيقة أن يسوع قد أُدين وأُعدم بتهمة التحريض على الفتنة.[34]

وتتضمن رواية مرقس أيضًا دافعًا إيجابيًا مهمًا. يقصد مرقس أن تعكس "المحاكمة أمام السنهدرين" الوضع المحفوف بالمخاطر الذي يواجهه هو وإخوانه المؤمنون الآن فيما يتعلق بزعماء المجتمعات اليهودية أثناء وبعد

الحرب. [35] في هذه الرواية عن شجاعة يسوع أمام قضاته، يقدم مرقس لأتباع يسوع نموذجًا لكيفية التصرف عندما يتم تقديمهم هم أيضًا للمحاكمة.

ينسج مرقس في هذه الرواية قصة متناقضة - قصة تلميذ يسوع الرئيسي، بطرس، الذي أنكر يسوع في حالة من الرعب، كمثال على كيفية عدم التصرف أثناء المحاكمة. فبينما وقف يسوع أمام السنهدرين واعترف بمهمته الإلهية، مجازفًا بجرأة - ومتقبلًا - حكم الموت، ادعى بطرس أنه لم يعرف يسوع. يقول مرقس إن بطرس، بعد أن تبع يسوع خلسةً إلى مسرح المحاكمة، كان واقفًا يدفئ يديه عند النار عندما قال له أحد الخدم: "وَأَنْتَ كُنْتَ مَعَ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ!" (14: 67). لكن بطرس ينكر هذا ("لَسْتُ أَدْرِي وَلاَ أَفْهَمُ ..." "إِنِّي لاَ أَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ") ثلاث مرات، مع تزايد العنف واللعن والشتائم، وأخيرا يهرب. وبعد أن أدرك بطرس ما فعله، "انهار وبكى" (14: 72).

يعلم مرقس أن أولئك الذين يعترفون علنًا بقناعتهم بأن يسوع هو "المسيح ابن الله" (14: 61) قد يعرضون أنفسهم لخطر الإساءة والسخرية وحتى التهديد بحياتهم. ربما كان مصطلحا المسيح وابن الله غير متوافقين مع العصر في زمن يسوع؛ ولكن لا بد أن العديد من معاصري مرقس قد أدركوا أنهما الطريقة التي اعترف بها المسيحيون في عصرهم بإيمانهم. في هذا المشهد الدرامي، يواجه مرقس جمهوره مرة أخرى بالسؤال الذي يكتنف روايته بأكملها: من يعترف بالروح في يسوع على أنه إلهي، ومن لا يعترف؟ من يقف إلى جانب الله ومن يقف إلى جانب الشيطان؟ من خلال مقارنة اعتراف يسوع الشجاع مع إنكار بطرس، يرسم مرقس صورة دراماتيكية للاختيار الذي يواجه أتباع يسوع: يجب عليهم أن يختاروا أي جانب في حرب لا تسمح بأي أرض محايدة.

بعد أن حاول مرقس أن يُظهر أن القضية برمتها المتعلقة بيسوع كانت في الأساس صراعًا يهوديًا داخليًا خرج عن نطاق السيطرة، يقدم الآن نسخته من "محاكمة يسوع أمام بيلاطس". يعتقد العديد من العلماء أن كل ما كان يعرفه مرقس في الواقع هو أن يسوع قد صلب كملك محتمل لليهود أثناء إدارة بيلاطس كحاكم لليهودية. وبينما يأخذ مرقس في الاعتبار هذه الحقيقة التي لا تقبل الجدل، فإنه يعتزم التقليل من أهميتها.

فكر إذن في كيفية سرد مرقس للقصة. عندما علم بيلاطس أن السجين متهم بالتمرد السياسي، حاول استجوابه. " هل ليس لديك إجابة لتقولها؟ "انظر كم من التهم يوجهونها إليك" (15: 4)، يقول مرقس أنه عندما رفض يسوع الإجابة على أسئلته، فإن بيلاطس، بدلاً من إظهار الغضب أو حتى نفاد الصبر، "اندهش" (15: 5). مرقس يذهب إلى أبعد من ذلك. ويزعم مرقس أنه يعرف تقييم الحاكم الخاص للقضية، ويقول إن بيلاطس "أدرك أنهم أسلموه حسدًا" (15: 10). ولكن بدلاً من اتخاذ القرار وإصدار الأوامر، لم يتخذ بيلاطس أي إجراء. ثم سمع هتافات الجمع في الخارج، فخرج إليهم وسألهم ماذا يريدون: «أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود؟» لكن الحشد طالب بدلاً من ذلك بإطلاق سراح باراباس، الذي وصفه مرقس بأنه أحد المتمردين المسجونين، والذي "ارتكب جريمة قتل في التمرد" (15: 7). يبدو أن بيلاطس غير متردد، فهو يريد أن يرفض ولكنه يخاف من معارضة طلب الجموع. وكأنه عاجز، يسأل الحشد مرة أخرى عما يجب فعله: "ماذا أفعل بالرجل الذي تدعونه ملك اليهود؟" (15 :12). عندما صرخ الحشد مطالبًا بصلْب يسوع، كان بيلاطس في الواقع يتوسل إلى رعيته من أجل العدالة: "لماذا، أي شر فعل؟" (15 :14). ولكن الصراخ استمر، وبيلاطس، "مريدًا أن يرضي الجمع" (15: 15)، أطلق سراح باراباس، وبعد أن أمر بجلد يسوع، وافق على طلبهم بصلبه. ولكن بحسب مرقس، فإن بيلاطس لم يصدر حكمًا أبدًا، ولم يأمر بتنفيذ الإعدام مطلقًا. وكما يروي مرقس القصة، حتى داخل حجرة بيلاطس، كان رؤساء الكهنة هم المسؤولين: فهم الذين يوجهون الاتهامات وهم الذين يثيرون الحشود، التي أجبرت بعنفها بيلاطس المتردد على إعدام يسوع. إن بيلاطس الذي يظهر في الأناجيل، كما لاحظنا، لا علاقة له ببيلاطس التاريخي - أي بالرجل الذي نعرفه من مصادر تاريخية وسياسية أخرى من القرن الأول، يهودية ورومانية، كحاكم وحشي. وكما لاحظ ريموند براون في دراسته الدقيقة لسرديات آلام المسيح، فإن صور بيلاطس، باستثناء التقليد المسيحي، تتراوح بين العدائية الشديدة والسلبية.[36] كان فيلو، وهو عضو متعلم ومؤثر في المجتمع اليهودي في الإسكندرية، عاصمة مصر،

معاصرا لبيلاطس. في أحد كتاباته، سفارته إلى غايوس، يصف تجاربه كعضو في وفد رسمي أُرسل إلى روما لتمثيل مصالح المجتمع اليهودي الإسكندري لدى الإمبراطور الروماني غايوس كاليجولا. في سياق روايته، يشير فيلو إلى وضع المجتمع اليهودي[7] في يهودا، ويصف الحاكم بيلاطس بأنه رجل "عنيد، قاسٍ، وغير مرن"، ويسرد كسمات نموذجية لإدارته "الجشع، والعنف، والسرقة، والاعتداء، والسلوك المسيء، والإعدامات المتكررة دون محاكمة، والوحشية اللامتناهية[7]". [37] يكتب فيلو لإقناع الحكام الرومان بدعم امتيازات المجتمعات اليهودية، كما يدعي أن الإمبراطور تيبيريوس كان قد فعل ذلك. في هذه الرسالة، يرى فيلو أن بيلاطس هو صورة لكل ما يمكن أن يحدث من خطأ في الإدارة الرومانية للمقاطعات اليهودية.

وتؤكد شهادة فيلو جزئيًا ما كتبه يوسيفوس في تاريخ نفس العصر. وكما رأينا، كان يوسيفوس، مثل فيلو، رجلاً يتمتع بخبرة سياسية كبيرة؛ وباعتباره حاكمًا يهوديًا سابقًا للجليل في عهد الرومان، فإنه يكتب تاريخه تحت الرعاية الرومانية بنبرة متعاطفة مع المصالح الرومانية. ومع ذلك، سجل يوسيفوس عدة حلقات تُظهر ازدراء بيلاطس للحساسيات الدينية اليهودية. على سبيل المثال، أدرك أسلاف بيلاطس أن اليهود يعتبرون صور الإمبراطور وثنية، فشرعوا في ممارسة اختيار وحدة عسكرية للحامية الرومانية في أورشليم لا تحمل راياتها مثل هذه الصور. ولكن عندما تم تعيين بيلاطس حاكماً انتهك هذه السابقة عمداً. أولاً أمر الحامية الموجودة بالمغادرة؛ ثم قاد إلى أورشليم وحدة بديلة كانت أعلامها تحمل صورًا إمبراطورية، وحدد توقيت وصوله ليتزامن مع الأعياد اليهودية الكبرى، يوم الكفارة وعيد المظال. ويبدو أن بيلاطس [7] كان يعلم أنه يرتكب انتهاكًا للمقدسات في نظر رعيته، لأنه حرص على الوصول إلى أورشليم ليلًا، بعد أن أمر بتغطية الرايات بالقماش أثناء السفر.

ولما سمع أهل أورشليم أن بيلاطس وجنوده أدخلوا إلى المدينة المقدسة صوراً اعتبروها وثنية، تجمعوا في الشوارع احتجاجاً. فتبع جمع كثير بيلاطس إلى قيصرية ووقفوا خارج داره،

متوسلين إليه أن يزيلها. وبما أن الرايات كانت دائمًا ترافق الوحدة العسكرية، فقد كان هذا بمثابة مطالبة بيلاطس بسحب الحامية. وعندما رفض بيلاطس، استمرت الحشود في التظاهر. وبعد خمسة أيام، قرر بيلاطس، المنزعج ولكن المصمم، إنهاء المظاهرات بالقوة. وقبل أن يقدم للمتظاهرين جلسة استماع رسمية، استدعاهم للمثول أمامه في الملعب. هناك جمع بيلاطس الجنود، وأمرهم بمحاصرة الحشد، وهدد بقتل المتظاهرين ما لم يستسلموا. وإلى دهشة بيلاطس، أعلن اليهود أنهم يفضلون الموت على أن تنتهك شريعتهم. في هذه المرحلة استسلم بيلاطس وسحب الوحدة. كما علقت ماري سمولوود:

> لقد حقق اليهود انتصارًا حاسمًا في الجولة الأولى ضد حاكمهم الجديد، ولكنهم الآن عرفوا أي نوع من الرجل كانوا يواجهونه، وبعد ذلك أصبح أي شيء يفعله عرضة للشك... ولكن كان هناك المزيد ليتبع .[58]

كما احترمت السلطات الرومانية أيضًا حساسية اليهود من خلال حظر الصور التي اعتبرتها وثنية من العملات المعدنية التي تم سكها في يهودا. لم تُنتهَك هذه الممارسة إلا في عهد بيلاطس: فقد عُثر على عملات معدنية تحمل رموزًا عبادة وثنية يعود تاريخها إلى الفترة من 29 إلى 31 ميلاديًا. فهل أمر بيلاطس بهذا التغيير، كما يعتقد الباحث الألماني إي. ستوفر، لإجبار رعيته على التعامل مع رموز الثقافة الوثنية؟ [39] يقترح ريموند براون أن بيلاطس ببساطة "قلل من شأن حساسية اليهود" في مثل هذه الأمور.[41]

فقرر بيلاطس بعد ذلك بناء قناة مائية في أورشليم. ولكن لتمويل المشروع، استولى على أموال من خزانة الهيكل، وهو عمل من أعمال التدنيس حتى من وجهة النظر الرومانية، حيث كانت أموال الهيكل تعتبر مقدسة بموجب القانون.[41] وقد أثار هذا الهجوم المباشر على الهيكل وخزانته معارضة شديدة. عندما زار بيلاطس أورشليم مرة أخرى، قوبل بمظاهرات أكبر من أي وقت مضى؛ والآن أصبحت الحشود الغاضبة مسيئة وتهديدية. وتوقعًا للمتاعب، أمر بيلاطس الجنود بارتداء ملابس مدنية، وإخفاء أسلحتهم، والاختلاط بالناس. وعندما رفض الحشد التفرق، أشار للجنود بتفريقهم بالقوة. لقد قُتل العديد من الناس،

ودُوس آخرون حتى الموت في المذبحة التي أعقبت ذلك.[42] حتى إنجيل لوقا، الذي يقدم صورة حميدة بشكل مدهش لبيلاطس في سرد المحاكمة، يذكر في مكان آخر كيف أخبر الناس يسوع عن بعض الجليليين "الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم" (13: 1).

وفي أواخر ولاية بيلاطس كحاكم، دفعت حوادث استفزازية أخرى القادة اليهود إلى الاحتجاج لدى الإمبراطور تيبريوس ضد هجمات بيلاطس على دينهم. في عام 31م، أغضب بيلاطس رعيته بوضع دروع ذهبية في قصر هيرودس في أورشليم. لا يمكننا أن نكون متأكدين مما أدى إلى الاحتجاج؛ يقترح الباحث ب. س. ماكجيني أن الدروع كانت مخصصة للإمبراطور "الإلهي"، وهو الوصف الذي كان من شأنه أن يثير غضب العديد من اليهود.[43] وواجه بيلاطس مرة أخرى احتجاجًا شعبيًا: تجمع حشد بقيادة أربعة من أمراء هيرودس. عندما رفض بيلاطس إزالة الدروع، ربما مدعيًا أنه كان يتصرف فقط احترامًا للإمبراطور، كما يقول يوسيفوس، أجابوا: "لا تتخذ [الإمبراطور] تيبريوس ذريعة لإهانة الأمة؛ فهو لا يغسل أيًا من عاداتنا ليتم التخلص منها". [44] ولما أصرّ بيلاطس، رفع أمراء اليهود دعواتهم إلى قيصر، فانتهر بيلاطس وأمره أن يرفع الدروع عن أورشليم. ويشير أحد المعلقين مؤخرًا إلى أن

> التنمر الذي مارسه خصوم بيلاطس اليهود على بيلاطس في قضية الدروع يشبه إلى حد كبير التنمر الذي مارسه بيلاطس في رواية يوحنا عن آلام المسيح، بما في ذلك التهديد بالاستئناف إلى الإمبراطور.[4]

ومع ذلك فإن وصف هذه الاحتجاجات بأنها "تنمر" يبدو غريباً؛ فما هو السبيل الذي كان متاحاً لشعب خاضع لسلطة الحاكم لتحدي قراره، سوى الاستئناف إلى مؤلف أعلى منه؟ وبعد خمس سنوات، عندما جمع زعيم سامري جمعًا كبيرًا، بعضهم مسلحون، للتجمع وانتظار إشارة من الله، أرسل بيلاطس على الفور قوات لمراقبة الوضع. حاصرت القوات الحشد، فقتلت بعضهم وأسرت آخرين، بينما فر الباقون. أمر بيلاطس بإعدام زعماء العصابة.[46]

انتهى حكم بيلاطس فجأة عندما استجاب مبعوث سوريا أخيرًا للاحتجاجات المتكررة بتجريد بيلاطس من مهمته وإرسال رجل من موظفيه ليخدم كحاكم في مكانه. وأمر بيلاطس بالعودة إلى روما على الفور للرد على التهم الموجهة إليه، واختفى من السجل التاريخي. تتفق رواية فيلو مع رواية مرقس في نقطة واحدة: وهي أن بيلاطس، على علم بالعداء تجاهه، كان قلقًا من أن يشكو منه رؤساء الكهنة إلى الإمبراطور. ومع ذلك، كما رأينا، يقدم مرقس بيلاطس ليس فقط كرجل ضعيف للغاية بحيث لا يستطيع أن يقاوم صراخ الحشود، بل أيضًا كرجل حريص على ضمان العدالة في قضية سجين يهودي يريد القادة اليهود تدميره.

إن الصورة الحميدة التي يرسمها مرقس لبيلاطس تزيد من مسؤولية القادة اليهود وتدعم ادعاء مرقس بأن اليهود، وليس الرومان، كانوا القوة الأساسية وراء صلب يسوع. وعلى مدى العقود التالية، ومع تزايد المرارة بين الأغلبية اليهودية وأتباع يسوع، بدأت الأناجيل تصور بيلاطس في ضوء إيجابي متزايد. كما ذكر بول وينتر،

> "يصبح بيلاطس الصارم أكثر هدوءًا من إنجيل إلى إنجيل [من مرقس إلى متى، ومن متى ولوقا إلى يوحنا]..." كلما ابتعد عن التاريخ، أصبحت الشخصية أكثر إثارة للتعاطف.[4]

وعند تصوير أعداء يسوع اليهود، تعمل نفس العملية ولكن في الاتجاه المعاكس. ويصور متى، الذي كتب بعد حوالي عشر سنوات، عداءً أكبر بين يسوع والفريسيين مما يشير إليه مرقس. وبينما يقول مرقس إن القادة كبحوا عدائهم لأن الحشود كانت تؤيد يسوع، تنتهي رواية متى بقدوم القادة والحشود وهم يهتفون بالإجماع مطالبين بإعدامه. وعلاوة على ذلك، فإن ما يشير إليه مرقس ببساطة - أن معارضي يسوع مدعومون بالشيطان - سوف يذكره لوقا ويوحنا صراحةً. وقد قام كل من متى ولوقا، اللذان كتبا بعد مرقس بعشرة إلى عشرين سنة، بتعديل الإنجيل السابق ومراجعته بطرق مختلفة، وتحديثه ليعكس وضع أتباع يسوع في عصرهم.

لم يخترع أتباع يسوع ممارسة شيطنة الأعداء داخل مجموعتهم الخاصة. وفي هذا الصدد، كما في العديد من النواحي الأخرى، كما سنرى، فقد استندوا إلى التقاليد التي اشتركوا فيها مع الطوائف اليهودية الأخرى في القرن الأول. على سبيل المثال، كان الأسينيون قد طوروا وبلوروا صورًا لقوة شريرة أطلقوا عليها العديد من الأسماء - الشيطان، بليعال، بعلزبول، مستيما ("الكراهية") - على وجه التحديد لتوصيف نضالهم ضد الأغلبية اليهودية - التي نددوا بها باعتبارها مرتدة لأسباب مختلفة عن أسباب أتباع يسوع. لم يقبل الأسينيون الأمميين في حركتهم أبدًا. لكن أتباع يسوع فعلوا ذلك - بحذر وبشكل مؤقت في البداية، وضد رغبات بعض الأعضاء. ولكن مع تزايد توجه الحركة المسيحية نحو الأممية خلال القرن الثاني وما بعده، فإن تعريف الشيطان في المقام الأول بالأعداء اليهود ليسوع، والذي ورثته التقاليد المسيحية على مر القرون، من شأنه أن يغذي نيران معاداة السامية.

ومع ذلك، فإن العلاقة بين أتباع يسوع وبقية المجتمع اليهودي، وخاصة خلال القرن الأول، ليست بسيطة على الإطلاق. ويرى مرقس نفسه، مثل الأسينيين، أن حركته هي في الأساس صراع داخل "بيت" واحد - كما قرأته، بيت إسرائيل. يرى هؤلاء المصلحون الدينيون أن صراعهم الأساسي ليس مع الأجانب، مهما كانت القوة الرومانية مختبئة في الخلفية، بل مع اليهود الآخرين الذين يحاولون تعريف "شعب الله". [45] ومع ذلك، في حين يرى مرقس أن القادة اليهود يقومون بعمل الشيطان في محاولة تدمير يسوع، فإن روايته ليست معادية لليهود بأي حال من الأحوال، ناهيك عن معاداة السامية. وبعد كل شيء، فإن كل من يظهر في الرواية هو يهودي تقريباً، بما في ذلك، بطبيعة الحال، المسيح. لا يرى مرقس نفسه منفصلاً عن إسرائيل، بل يصور أتباع يسوع باعتبارهم ما يسميه إشعياء "بقايا" الله في (إشعياء 10: 22-23). حتى الصور التي يستشهد بها مرقس لوصف الأغلبية - صور الشيطان، وبعلزبول، وإبليس - تعبر بشكل متناقض عن حميمية علاقة مرقس مع المجتمع اليهودي ككل، لأنه، كما سنرى، فإن شخصية الشيطان، كما ظهرت على مر القرون في التقاليد اليهودية، ليست قوة معادية تهاجم إسرائيل من الخارج، بل هي المصدر والتمثيل للصراع داخلالمجتمع.

إن

التاريخ الاجتماعي للشيطان: من الكتاب المقدس العبري إلى الأناجيل

الصراع بين أتباع يسوع[1] وإخوانهم اليهود ليس، بطبيعة الحال، أول حركة طائفية قسمت العالم اليهودي، وهو العالم الذي نعرف تاريخه المبكر في المقام الأول من الكتاب المقدس العبري، مجموعة من القوانين الموثوقة، والأنبياء، والمزامير، وغيرها من الكتابات التي تم تجميعها قبل قرون من جمع الأناجيل الأربعة والكتابات المسيحية الأخرى في العهد الجديد. نحن لا نعلم من قام بتجميع هذه المجموعة، ولكن يمكننا أن نستنتج من محتوياتها أنها تم تجميعها لتكوين التاريخ الديني للشعب اليهودي، وبالتالي خلق الأساس لمجتمع موحد؟

لقد تم استبعاد كتابات الطائفيين اليهود من الكتاب المقدس العبري، على ما يبدو لأن هؤلاء المؤلفين كانوا يميلون إلى التماهي مع مجموعة من اليهود ضد أخرى، بدلاً من التماهي مع إسرائيل ككل. وفي وقت لاحق، أطلق المسيحيون على كتابات هؤلاء المنشقين عن المجموعة الرئيسية اسم الأبوكريفا (حرفيًا، "الأشياء المخفية") والكتابات الكاذبة (*pseudepigrapha*).[2]

لكن الكتابات التي جُمعت لتشكيل الكتاب المقدس العبري تشجع على التماهي مع إسرائيل نفسها. ووفقًا لقصة التأسيس الواردة في سفر التكوين 12، حصلت إسرائيل على هويتها لأول مرة من خلال الانتخاب، عندما كشف "الرب" عن نفسه فجأة لإبراهيم، وأمره بمغادرة وطنه وعائلته وآلهته الأجداد، ووعده، في مقابل الولاء الحصري، بتراث وطني جديد، بهوية جديدة:

"سأجعلك أمة عظيمة، وأعظم اسمك... ومن يباركك أباركه، ومن يلعنك ألعنه" (تكوين 12: 3).

لذلك عندما وعد الله أن يجعل إبراهيم أبا لأمة جديدة عظيمة ومباركة، فإنه في نفس الوقت يحدد ويصنف أعداءها على أنهم أدنى وربما ملعونين.

منذ البداية، إذن، يعرّف التقليد الإسرائيلي "الشعب" من الناحية العرقية والسياسية والدينية على أنه "شعب إسرائيل"، أو "شعب الله"، في مقابل "هم" - الأمم (الأخرى) (بالعبرية، ha goyim)، أعداء إسرائيل الأجانب، الذين غالبًا ما يوصفون بأنهم أدنى منزلة، وفاسدون أخلاقيًا، وحتى ملعونون محتملون. في سفر التكوين 16 :12، تنبأ ملاك بأن إسماعيل، مع أنه ابن إبراهيم، جدّ العرب، سيكون "رجلاً وحشيًا، يده على الجميع، ويد الجميع عليه، وسيعيش مع كل جلده."وتشير القصة إلى أن أحفاده أيضًا كانوا عدائيين، وليسوا أفضل من الحيوانات. يضيف سفر التكوين 19: 37-38 أن الموآبيين والعمونيين ينحدرون من بنات لوط، مما يعني أنهم ذرية غير شرعية لاتحاد سكران ومحارم. يُقال عن أهل سدوم، على الرغم من كونهم حلفاء إبراهيم، وليسوا أعداءه، أنهم كانوا فاسدين إجراميًا، "صغارًا وكبارًا، حتى آخر رجل"، مذنبين جماعيًا بمحاولة ارتكاب اغتصاب مثلي ضد مجموعة من الملائكة، الذين اعتبرهم سكان المدينة مسافرين عبرانيين عزل (تكوين 19: 4). لا تهدف هذه الروايات إلى تمجيد إبراهيم أو نسله - في الواقع، يروي الراوي التوراتي مرتين كيف أن أكاذيب إبراهيم وإسحاق الأنانية عرضت حلفائهم للخطر (تكوين 20: 1-18؛ 26: 6-10). ومع ذلك، يضمن الله أن كل شيء يسير على ما يرام بالنسبة لبني إسرائيل، وسيئًا بالنسبة لأعدائهم.

القصة الأساسية العظيمة الثانية هي قصة موسى والخروج، والتي تواجهنا أيضًا (أي إسرائيل) مع (هم) (أي الأمم) عندما يحث موسى فرعون على السماح للعبرانيين بمغادرة مصر. ومع ذلك، يصر الراوي على أن الله نفسه هو الذي قسى قلب فرعون بشكل متزايد، خشية أن يتراجع ويخفف معاناة موسى وشعبه - ولماذا؟ يتحدث الله من خلال موسى، فيهدد فرعون بمذبحة مدمرة

ويختتم بالإعلان، "وَلَكِنْ جَمِيعُ بَنِي اسْرَائِيلَ لا يُسَنِّنُ كَلْبٌ لِسَانَهُ الَيْهِمْ لا الَى النَّاسِ وَلا الَى الْبَهَائِمِ. لِكَيْ تَعْلَمُوا انَّ الرَّبَّ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْمِصْرِيِّينَ وَاسْرَائِيلَ." (خروج 11 :7; تأكيدي).

وقد أشار العديد من علماء الأنثروبولوجيا إلى أن النظرة العالمية لمعظم الشعوب تتكون في الأساس من زوجين من التعارضات الثنائية: الإنسان/غير الإنسان، ونحن/هم.[3] وبصرف النظر عن علم الأنثروبولوجيا؛ فإننا نعلم من التجربة كيف يقوم الناس بنزع الصفة الإنسانية عن أعدائهم، وخاصة في زمن الحرب.

ومن ثم، فليس من المستغرب أن تتجاهل تقاليد إسرائيل الأمم. والمثير للدهشة أن هناك استثناءات. يكشف التقليد العبري أحيانًا عن شعور بالعالمية حيث لا يتوقعه أحد على الإطلاق. حتى اختيار الله لإبراهيم ونسله يتضمن وعدًا بالبركة التي ستمتد من خلالهم إلى جميع الناس، لأن هذا المقطع الشهير يختتم بالكلمات، "وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الارْضِ" (تكوين 12: 3). علاوة على ذلك، عندما يظهر شخص غريب وحيدًا، فإن الإسرائيليين عادةً ما يمنحونه الحماية، على وجه التحديد لأنهم يتماهون مع الغريب الوحيد والعاجز. يتوافق القانون الكتابي مع الغريب الوحيد: "وَلا تَضْطَهِدِ الْغَرِيبَ وَلا تُضَايِقْهُ لانَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي ارْضِ مِصْرَ." (خروج 22: 21). تذكر إحدى أقدم عقائد إسرائيل أن إبراهيم نفسه، طاعةً لأمر الله، أصبح غريبًا منعزلًا: "ثُمَّ تَقُولُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ: أَرَامِيّاً تَائِهاً كَانَ أَبِي...." (التثنية. 26 :5). وكان موسى أيضًا نموذجًا للأجنبي، إذ تبنته ابنة فرعون عندما كان طفلًا. على الرغم من كونه عبريًا، إلا أنه نشأ مصريًا؛ حتى أن عائلة أصهاره في المستقبل أخطأت في اعتباره مصريًا عندما التقوا به لأول مرة. حتى أنه سمى ابنه البكر جرشوم (تائهًا هناك)، قائلاً: "كنت تائهًا في أرض غريبة" (الخروج 2: 16-22).

ومع ذلك، فإن بني إسرائيل غالبا ما يكونون عدائيين تجاه

الأمم. ويتنبأ النبي إشعياء، في كتاباته أثناء الحرب، بأن الرب سيطرد الأمم "مثل الجراد" أمام جيوش بني إسرائيل (إشعياء 40 :22). ويبدو أن هذا العداء للعدو الأجنبي قد ساد دون أي تحدي نسبيًا طالما كانت إمبراطورية إسرائيل تتوسع وكان الإسرائيليون ينتصرون في حروبهم ضد الأمم. المزموران 18 و41، المنسوبان إلى الملك داود،

مؤسس أعظم إمبراطورية في إسرائيل، يعلنان: "انتقم لي الله وأخضع الأمم تحتي" (مزمور 18: 41). 18: 47)، و"بهذا أعلم أن الله قد رضي عني، إذ لم ينتصر عليّ عدوي" (مز 41 :11).

ومع ذلك، في نقاط معينة من تاريخ إسرائيل؛ وخاصة في أوقات الأزمات والحروب والخطر، تحدثت أقلية صاخبة، ليس ضد القبائل الغريبة والجيوش الأجنبية التي اصطفت ضد إسرائيل، ولكن لإلقاء اللوم في مصائب إسرائيل على أفراد شعبها. وزعم هؤلاء النقاد، الذين يتهمون إسرائيل أحياناً ككل، وأحياناً أخرى يتهمون حكاماً معينين، أن عصيان إسرائيل لله أدى إلى جلب العقاب الإلهي.

إن الحزب 7 الذي دعا إلى ولاء إسرائيل "للرب وحده"، بما في ذلك أنبياء مثل عاموس (حوالي 750 قبل الميلاد)، وإشعياء (حوالي 730 قبل الميلاد)، وإرميا (حوالي 600 قبل الميلاد)، وجه الاتهام بشكل خاص إلى أولئك الإسرائيليين الذين تبنوا طرقًا أجنبية، وخاصة عبادة الآلهة الأجنبية.[4] لقد اعتقد هؤلاء الأنبياء، إلى جانب أنصارهم، أن إسرائيل شعب منفصل حقًا، "مقدس للرب". أما الأنبياء الأكثر تطرفاً فقد نددوا بأولئك الإسرائيليين الذين مالوا إلى الاندماج كما لو كانوا سيئين مثل الأمم الأخرى؛ وقالوا إن البقية فقط هم الذين بقوا مخلصين لله.

وقد استدعى بعض هؤلاء الأنبياء أيضًا وحوش الأساطير الكنعانية لترمز إلى أعداء إسرائيل.[5] وتعلن المواد اللاحقة (القرن السادس) المدرجة الآن في الجزء الأول من سفر النبي إشعياء أن "الرب قادم لمعاقبة سكان الأرض، وستكشف الأرض عن الدم المسفوك عليها، ولن تغطي القتلى بعد الآن" (إشعياء 26 :21؛ التأكيد مضاف). ويستمر المؤلف نفسه، على ما يبدو في صور متوازية، في التحذير من أنه "في ذلك اليوم، يُعَاقِبُ الرَّبُّ بِسَيْفِهِ الْقَاسِي الْعَظِيمِ الشَّدِيدِ لَوِيَاثَانَ الْحَيَّةَ الْهَارِبَةَ. لَوِيَاثَانَ الْحَيَّةَ الْمُتَحَوِّيَةَ وَيَقْتُلُ التِّنِّينَ الَّذِي فِي الْبَحْرِ." (إشعياء 1: 1-4). 27 :1؛ التأكيد مضاف). ويحتفل مؤلف الجزء الثاني من إشعياء أيضًا بانتصار الله على الشخصيات الأسطورية التقليدية - على راحاب، "التنين"، و"البحر" - عندما يعلن انتصار الله الوشيك على أعداء إسرائيل. وهكذا، كما لاحظ الباحث في الكتاب المقدس جون لكفينسون، "يتوقف الأعداء عن كونهم مجرد قوى أرضية... ويصبحون، بدلاً من ذلك أو بالإضافة إليه، قوى كونية من أقصى درجات الخبث[7]".[6]

وقد اتخذ بعض كتاب القرن السادس قبل الميلاد خطوة جريئة إلى الأمام. لقد استخدموا الصور الأسطورية لوصف نضالهم ضد بعض إخوانهم الإسرائيليين. ولكن عندما انتقد الكتاب الإسرائيليون إخوانهم اليهود بعبارات أسطورية، فإن الصور التي اختاروها لم تكن عادةً تلك الصور الحيوانية أو الوحشية التي طبقوها بانتظام على أعدائهم الأجانب. وبدلاً من راحاب، أو ليفياثان، أو "التنين"، فإنهم في أغلب الأحيان كانوا يحددون أعداءهم اليهود بعضو رفيع المستوى، وإن كان غادراً، في المحكمة الإلهية، والذي أطلقوا عليه اسم الشيطان. الشيطان ليس حيوانًا أو وحشًا، بل هو أحد ملائكة الله، كائن يتمتع بذكاء ومكانة أعلى؛ ويبدو أن بني إسرائيل رأوا أعداءهم المقربين ليس كوحوش وحيوانات، بل ككائنات خارقة للطبيعة، حيث أن صفاتهم العليا ومكانتهم الداخلية يمكن أن تجعلهم أكثر خطورة من العدو الغريب.

في الكتاب المقدس العبري، كما هو الحال في التيار السائد في اليهودية حتى يومنا هذا، لا يظهر الشيطان أبدًا كما تعرفه المسيحية الغربية، كزعيم "إمبراطورية شريرة"، جيش من الأرواح المعادية التي تشن حربًا على الله والبشرية على حد سواء. كما ظهر لأول مرة في الكتاب المقدس العبري، فإن الشيطان ليس بالضرورة شريرًا، ناهيك عن معارضة الله. على العكس من ذلك، يظهر في سفر العدد وفي العهد الجديد كواحد من خدام الله المطيعين - رسول، أو ملاك ببساطة كلمة تترجم المصطلح العبري للرسول (ملاك) إلى اليونانية (أنجيلوس). في اللغة العبرية، كان يُطلق على الملائكة في كثير من الأحيان اسم "أبناء الله" *(بني إلوهيم)*، وكان يُنظر إليهم على أنهم الرتب الهرمية لجيش عظيم، أو موظفي البلاط الملكي. في المصادر الكتابية، يشير المصطلح العبري "الشيطان" إلى دور عدائي. إنه ليس اسم شخصية معينة.[8] وعلى الرغم من أن رواة القصص العبرانيين منذ القرن السادس قبل الميلاد قدموا أحيانًا شخصية خارقة للطبيعة أطلقوا عليها اسم الشيطان، فإن ما كانوا يقصدونه هو أي من الملائكة الذين أرسلهم الله لغرض محدد وهو منع أو إعاقة النشاط البشري. تعني كلمة "جذر" شيطان الشخص الذي يعارض أو يعيق أو يتصرف كخصم". (المصطلح اليوناني *diabolos*، والذي تُرجم لاحقًا إلى "الشيطان"، يعني حرفيًا ""من يلقي شيئًا
في طريق المرء ."

إن وجود الشيطان في قصة ما قد يساعد في تفسير العقبات غير المتوقعة أو تقلبات الحظ. غالبًا ما ينسب رواة القصص العبرانيون

المصائب إلى الخطيئة البشرية. لكن البعض يلجأون أيضًا إلى هذه الشخصية الخارقة للطبيعة، أي الشيطان، الذي يمنع أو يعارض الخطط والرغبات البشرية، بأمر أو إذن من الله. ولكن هذا الرسول ليس بالضرورة شريرًا. يرسله الله، مثل ملاك الموت، لأداء مهمة محددة، على الرغم من أن البشر قد لا يقدرونها؛ كما يقول الباحث الأدبي نيل فورسيث عن الشيطان، "إذا كان الطريق سيئًا، فإن العائق جيد/19 وبالتالي، ربما يكون الشيطان قد أرسله الرب ببساطة لحماية شخص من أسوأ ضرر. على سبيل المثال، تحكي قصة بلعام في سفر العدد في الكتاب المقدس عن رجل قرر الذهاب إلى حيث أمره الله ألا يذهب. سَرج بلعام حماره وانطلق، "ولكن غضب الله حمي لأنه ذهب، ووقف ملاك الرب في الطريق كـ*safari* له" *[le-satan-ld]* - أي كخصم له أو معرقله. وظل هذا الرسول الخارق للطبيعة غير مرئي لبلعام، ولكن الحمار رآه وتوقف في مساره:

> فَأَبْصَرَتِ الأَتَانُ مَلاكَ الرَّبِّ وَاقِفاً فِي الطَّرِيقِ وَسَيْفُهُ مَسْلُولٌ فِي يَدِهِ فَمَالتِ الأَتَانُ عَنِ الطَّرِيقِ وَمَشَتْ فِي الحَقْلِ. فَضَرَبَ بَلعَامُ الأَتَانَ لِيَرُدَّهَا إِلى الطَّرِيقِ. ثُمَّ وَقَفَ مَلاكُ الرَّبِّ فِي خَنْدَقٍ لِلكُرُومِ لهُ حَائِطٌ مِنْ هُنَا وَحَائِطٌ مِنْ هُنَاكَ. فَلمَّا أَبْصَرَتِ الأَتَانُ مَلاكَ الرَّبِّ زَحَمَتِ الحَائِطَ وَضَغَطَتْ رِجْل بَلعَامَ بِالحَائِطِ فَضَرَبَهَا أَيْضاً. (22 :23-25).

وفي المرة الثالثة التي رأت فيها الحمارة الملاك العائق، توقفت واستلقت تحت بلعام، "فاشتعل غضب بلعام وضرب الحمارة بعصاه". ثم تستمر القصة،

> ففتح الرب فم الأتان، فقالت لبلعام: «ماذا صنعت بك حتى ضربتني ثلاث مرات؟» فقال بلعام للأتان: لأَنَّكِ ازْدَرَيْتِ بِي. ليتني كان سيف في يدي، لأني كنت سأقتلك. فقالت الحمار لبلعام: ألست أنا أتانك التي ركبتها كل حياتك إلى هذا اليوم؟ هل فعلت لك مثل هذه الأشياء من قبل؟ فقال: لا (22: 28-30).

"ثُمَّ كَشَفَ الرَّبُّ عَنْ عَيْنَيْ بَلْعَامَ فَأَبْصَرَ مَلاكَ الرَّبِّ وَاقِفاً فِي الطَّرِيقِ وَسَيْفُهُ مَسْلُولٌ فِي يَدِهِ فَخَرَّ سَاجِداً عَلى وَجْهِهِ." ثم وبخ الشيطان بلعام وتكلم نيابة عن سيده الرب:

> لِمَاذَا ضَرَبْتَ أَتَانَكَ الآنَ ثَلاثَ دَفَعَاتٍ؟ هَئَنَذَا قَدْ خَرَجْتُ لِلمُقَاوَمَةِ لأَنَّ الطَّرِيقَ وَرْطَةٌ أَمَامِيد فَأَبْصَرَتْنِي الأَتَانُ. . . . وَمَالتْ مِنْ قُدَّامِي الآنَ ثَلاثَ دَفَعَاتٍ. وَلوْ لمْ تَمِل مِنْ قُدَّامِي لكُنْتُ الآنَ قَدْ قَتَلْتُكَ وَاسْتَبْقَيْتُهَ." (22 :31-33).

وبعد تأديبه بهذه الرؤية المرعبة، وافق بلعام على القيام بما يأمره به الله، من خلال شيطانه.

ويصف سفر أيوب أيضًا الشيطان بأنه رسول خارق للطبيعة، وعضو في البلاط الملكي لله.[10] ولكن بينما يحمي شيطان بلعام أيوب من الأذى، فإن شيطان أيوب يلعب دورًا أكثر عدوانية. وهنا يعترف الرب نفسه أن الشيطان حرضه على العمل ضد أيوب (2: 3). تبدأ القصة عندما يظهر الشيطان كملاك، "ابن الله" *(بن إلوهيم)*، وهو مصطلح يعني في اللغة العبرية غالبًا "أحد الكائنات الإلهية". وهنا يأتي هذا الملاك، الشيطان، مع بقية الجند السماوي في اليوم المحدد لهم "ليقدموا أنفسهم أمام الرب". عندما يسأل الرب من أين يأتي، يجيب الشيطان: "من التجوال على الأرض والمشي عليها". هنا يلعب الراوي على التشابه بين صوت الشيطان العبري وكلمة *"shut"*، وهي الكلمة العبرية "التجوال"، مما يوحي بأن الدور الخاص للشيطان في المحكمة السماوية هو بمثابة نوع من عملاء المخابرات المتجولين، مثل أولئك الذين كان العديد من اليهود في ذلك الوقت يعرفونهم - ويكرهونهم - من نظام ملك بلاد فارس المعقد من الشرطة السرية وضباط المخابرات. عُرف هؤلاء العملاء باسم "عين الملك" أو "أذن الملك"، وكانوا يجوبون الإمبراطورية بحثًا عن علامات الخيانة بين الناس.[11]

يفتخر الله أمام الشيطان بأحد أكثر رعيته إخلاصًا: "هل فكرت في عبدي أيوب، أنه ليس مثله في الأرض، رجل مبارك ومستقيم، يتقي الله ويحيد عن الشر؟" ثم يتحدى الشيطان الرب أن يختبر أيوب:

> هل يخاف أيوب الله بل سبب؟ باركت عمل يديه* فكثرت أمواله. "ولكن ابسط يدك الآن ومس كل ما له فإنه يجدف عليك في وجهك" (1: 9-11).

وافق الرب على اختبار أيوب، فأذن للشيطان بأن يُنزل بأيوب خسارةً فادحة، لكنه حدد بدقة إلى أي مدى يمكنه أن يصل: "هوذا كل ما له في يدك؛ فقط لا تمس الرجل نفسه". يقاوم أيوب أول هجوم مميت، والخسارة المفاجئة لأبنائه وبناته في حادث واحد، وذبح ماشيته وأغنامه وإبله، وخسارة كل ثروته وممتلكاته. عندما يظهر الشيطان مرة أخرى بين أبناء الله في اليوم المحدد، يشير الرب إلى أن "أيوب لا يزال متمسكًا بنزاهته، مع أنكم حرضتموني ضده لإيذائه بلا سبب". ثم يطلب منه الشيطان أن يزيد الضغط:

> "الجلد مقابل الجلد." كل ما يملكه الإنسان سيعطيه من أجل حياته. "ولكن ابسط يدك الآن ومس لحمه وعظمه فإنه يجدف عليك في وجهك." [1] فقال الرب للشيطان: «هوذا هو في يدك، فقط احفظ نفسه» (2: 4-6).

بحسب الحكاية الشعبية، صمد أيوب أمام الاختبار، وتراجع الشيطان، و"رد الرب ثروات أيوب... وأعطاه ضعف ما كان له من قبل" (42: 10). هنا يرعب الشيطان الإنسان ويؤذيه، لكنه مثل ملاك الموت يبقى ملاكًا، عضوًا في البلاط السماوي، خادمًا مطيعًا لله.

ومع ذلك، ففي الوقت الذي كُتب فيه سفر أيوب (حوالي 550 قبل الميلاد)، استحضر كتاب آخرون في الكتاب المقدس الشيطان لتفسير الانقسام داخل إسرائيل.[12] ويذكر أحد مؤرخي البلاط الشيطان في سرد يتعلق بأصل إجراء التعداد السكاني، الذي أدخله الملك داود إلى إسرائيل حوالي عام 1000 قبل الميلاد لغرض فرض الضرائب. لقد أثار فرض داود للضرائب معارضة شديدة وفورية - وهي المعارضة التي بدأت بين قادة الجيش أنفسهم الذين أُمروا بتنفيذها. اعترض يوآب، كبير ضباط داود، وحذر الملك من أن ما كان يقترحه لن يكون سهلاً.

كان القيام بذلك شرًا، ورفض قادة الجيش الآخرون في البداية الانصياع، مما أدى إلى اندلاع ثورة تقريبًا؛ ولكن عندما وجدوا الملك مصممًا، أطاع الضباط في النهاية و"أحصوا الشعب".

لماذا ارتكب داود ما اعتبره أحد المؤرخين الذين يتذكرون القصة عملاً شريراً وعدوانياً "ضد إسرائيل"؟ ولأنه غير قادر على إنكار أن الأمر المخالف جاء من الملك نفسه، ولكنه عازم على إدانة فعل داود دون إدانة الملك بشكل مباشر، يقترح مؤلف سفر أخبار الأيام الأول أن عدوًا خارقًا للطبيعة داخل البلاط الإلهي قد دفع الإنسان إلى التسلل إلى البيت الملكي وقيادة الملك نفسه إلى الخطيئة: "فقام الشيطان ضد إسرائيل، وحرض داود على إحصاء الشعب" (أخبار الأيام الأول 1: 1-4). 21:1)، ولكن على الرغم من أن قوة ملائكية حرضت داود على ارتكاب هذا الفعل الذي لا يمكن تفسيره، إلا أن المؤرخ يصر على أن الملك كان مسؤولاً شخصياً - ومذنباً). "فغضب الله من هذا الأمر، فضرب إسرائيل." حتى بعد أن تواضع داود واعترف بخطيئته، عاقبه الرب الغاضب بإرسال ملاك منتقم لتدمير سبعين ألفًا من بني إسرائيل بالطاعون؛ وبالكاد تمكن الرب من منع نفسه من تدمير مدينة أورشليم نفسها.

وهنا يُستدعى الشيطان لتبرير الانقسام والدمار الذي أحدثه أمر الملك داود داخل إسرائيل،[13] فقبل وقت قصير من كتابة المؤرخ، كان النبي زكريا قد صوّر الشيطان وهو يحرض على الانقسامات بين الناس. تعكس رواية زكريا الصراعات التي نشأت داخل إسرائيل بعد عودة آلاف اليهود - كثير [7] منهم من ذوي النفوذ والتعليم - الذين أسرهم البابليون في الحرب (حوالي عام 687 قبل الميلاد) ونفوهم إلى بابل، إلى فلسطين من المنفى. كان كورش، ملك فارس، بعد أن غزا بابل مؤخرًا، لا يسمح لهؤلاء المنفيين اليهود بالعودة إلى ديارهم فحسب، بل كان ينوي أيضًا جعلهم حلفاء له. فعرض عليهم الأموال لإعادة بناء أسوار مدينة القدس الدفاعية، وإعادة بناء الهيكل العظيم الذي دمره البابليون. وكان العائدون حريصين على إعادة ترسيخ عبادة "الرب وحده" في أرضهم، وكانوا يتوقعون بطبيعة الحال إعادة ترسيخ أنفسهم كحكام لشعبهم.

ولم يتم استقبالهم بحرارة [7] من قبل أولئك الذين تركوهم وراءهم. ورأى العديد من الذين بقوا أن

المنفيين السابقين ليسوا عملاء للملك الفارسي فحسب، بل كانوا عازمين على استعادة السلطة والأرض التي أجبروا على التنازل عنها عندما تم ترحيلهم. وقد استاء كثيرون من خطة العائدين لتولي المسؤولية عن الوظائف الكهنوتية و"تطهير" عبادة الرب.

وكما لاحظ الباحث في الكتاب المقدس بول هانسون، فإن الخط الذي كان يفصل بني إسرائيل عن أعدائهم قد فصلهم عن الأجانب. والآن أصبح الخط الفاصل بين مجموعتين داخل إسرائيل:

> والآن، وفقًا للشعب الذي بقي، كانت أرضهم الحبيبة تحت سيطرة العدو، ورغم أن هذا العدو كان في الواقع يتألف من إخوانهم الإسرائيليين، إلا أنهم اعتبروا هؤلاء الإخوة لا يختلفون في جوهرهم عن الكنعانيين.[14]

يقف النبي زكريا إلى جانب المنفيين العائدين في هذا الصراع المحتدم، ويروي رؤية يتحدث فيها الشيطان نيابة عن سكان الريف الذين يتهمون رئيس الكهنة العائد بأنه مرشح لا قيمة له:

> وأراني الرب يشوع رئيس الكهنة واقفا أمام ملاك الرب، والشيطان واقفا عن يمينه ليشتكي عليه. فقال الرب للشيطان: لينتهرك الرب يا شيطان! "ليوبخكم الرب الذي اختار أورشليم" (زك 3 :1-2).

هنا يتحدث الشيطان نيابة عن حزب ساخط - وغير ناجح - ضد حزب آخر من إخوانه الإسرائيليين. في رواية زكريا عن الفصائل داخل إسرائيل، يتخذ الشيطان صفة شريرة، كما فعل في قصة تعداد داود، ويبدأ دوره في التغير من وكيل الله إلى خصمه. ورغم أن هذه القصص التوراتية تعكس الانقسامات داخل إسرائيل، إلا أنها ليست طائفية بعد، لأن مؤلفيها ما زالوا يتماهون مع إسرائيل ككل.

وبعد أربعة قرون تقريبًا، في عام 168، عندما استعاد اليهود استقلالهم من حكامهم السلوقيين، أحفاد الإسكندر الأكبر، أصبحت الصراعات الداخلية أكثر حدة.

لعدة قرون، كان اليهود يتعرضون لضغوط من أجل استيعاب أساليب الأمم الأجنبية التي حكمت بلادهم على التوالي - البابليون، ثم الفرس، وبعد عام 323 قبل الميلاد، الأسرة الهلنستية التي أسسها الإسكندر. وكما يروي سفر المكابيين الأول القصة، فقد وصلت هذه الضغوط إلى نقطة تحول في عام 168 قبل الميلاد، عندما قرر الحاكم السلوقي، الملك السوري أنطيوخس أبيفانس، الذي شك في وجود مقاومة لحكمه، استئصال كل أثر للثقافة اليهودية الغريبة و"البربرية". أولاً، حرّم الختان، إلى جانب دراسة التوراة ومراعاتها. ثم اقتحم هيكل أورشليم ودنسه بإعادة تكريسه للإله اليوناني زيوس الأولمبي. ولفرض الخضوع لنظامه الجديد، بنى الملك وحرس قلعة ضخمة جديدة تطل على معبد أورشليم نفسه.

وسرعان ما تحولت المقاومة اليهودية لهذه المراسيم القاسية إلى ثورة واسعة النطاق، بدأت، بحسب التقاليد، عندما نزلت فرقة من قوات الملك على قرية مودين لإجبار السكان على السجود للآلهة الأجنبية. قام كاهن القرية العجوز ماتاثياس وقتل يهوديًا كان على وشك طاعة أمر الملك السوري. ثم قتل مفوض الملك وهرب مع أبنائه إلى الجبال، وهو عمل تمرد أدى إلى اندلاع الثورة التي قادها يهوذا المكابي، ابن متتيا.[16]

كما ورد في سفر المكابيين الأول، تُظهر هذه القصة الشهيرة كيف أن الإسرائيليين الذين عزموا على مقاومة أوامر الملك الأجنبي والتمسك بتقاليدهم الأجدادية قاتلوا على جبهتين في وقت واحد - ليس فقط ضد المحتلين الأجانب، ولكن ضد أولئك اليهود الذين مالوا إلى التكيف مع الأجانب، ونحو الاندماج. ومؤخرًا، روى المؤرخ فيكتور تشيريكوفير وآخرون نسخة أكثر تعقيدًا من هذا التاريخ. وبحسب تشيريكوفير، فإن العديد من اليهود، وخاصة بين الطبقات العليا، فضلوا في الواقع "إصلاح" أنطيوخس وطالبوا بالمشاركة الكاملة في امتيازات المجتمع الهلنستي7 المتاحة فقط للمواطنين اليونانيين.1 ومن خلال التخلي عن أسلافهم والحصول على امتيازات مدينة يونانية لأورشليم، فإنهم سيفوزون بالحق في حكم المدينة بأنفسهم، وضرب عملاتهم الخاصة، وزيادة التجارة مع شبكة عالمية من المدن اليونانية

الأخرى. وكان بإمكانهم المشاركة في مشاريع ثقافية مثل الألعاب الأولمبية مع المدن المتحالفة والاستفادة من مزايا معاهدات الدفاع المتبادلة. أراد الكثيرون أن يتلقى أبناؤهم تعليمًا يونانيًا. من خلال قراءة الأدب اليوناني، من الإلياذة والأوديسة إلى سوفوكليس وأفلاطون وأرسطو، والمشاركة في المسابقات الرياضية العامة، كما فعل اليونانيون، يمكنهم التقدم في العالم الأوسع.

لكن العديد من اليهود الآخرين، وربما أغلبية سكان أورشليم والريف - التجار والحرفيين والمزارعين - كانوا يكرهون هؤلاء "اليهود الهيلينيين" باعتبارهم خونة لله ولإسرائيل على حد سواء. لقد شجعت الثورة التي أشعلها متاثياس العجوز الناس على مقاومة أوامر أنطيوخس، حتى مع خطر الموت، وطرد الحكام الأجانب. وبعد قتال عنيف، حققت الجيوش اليهودية في النهاية نصرًا حاسمًا. واحتفلوا بتطهير وإعادة تكريس الهيكل في احتفال يُحتفل به منذ ذلك الحين في مهرجان الحانوكا السنوي.

استعاد اليهود السيطرة على الهيكل والكهنوت والحكومة؛ ولكن بعد انسحاب الأجانب، ظلت الصراعات الداخلية قائمة، وخاصة حول من سيتولى السيطرة على هذه المؤسسات. وقد اشتدت هذه الانقسامات الآن، حيث عارض الحزب الانفصالي الأكثر صرامة الذي يهيمن عليه المكابيون الحزب الهيليني. أما الأول، فقد كان له اليد العليا بعد فوزه بالحرب.

وبعد مرور ما بين عشر إلى عشرين عامًا على بدء الثورة، تمكنت عائلة الحشمونائيم ذات النفوذ من السيطرة على منصب الكهنوت الأعظم في ما أصبح الآن دولة ثيوقراطية في الأساس. على الرغم من أن العائلة كانت في الأصل مرتبطة بأسلافهم المكابيين، إلا أن الأجيال المتعاقبة من العائلة تخلت عن العادات الصارمة التي كان يتبعها أسلافهم. بعد جيلين من انتصار المكابيين، قام حزب الفريسيين، الذي كان يدعو إلى زيادة الصرامة الدينية، بتحدي الحشمونائيم. وبحسب تحليل تشيريكوفر، فإن الفريسيين، بدعم من التجار والمزارعين، احتقروا الحشمونائيم لأنهم أصبحوا في الأساس حكامًا علمانيين تخلوا عن عادات إسرائيل الأجدادية. طالب الفريسيون الحشمونائيم بالتخلي عن منصب الكهنوت الأعظم لمن يستحقه - أشخاص مثلهم، يسعون إلى العيش وفقًا للشريعة الدينية.[18]

خلال العقود التالية، انضمت مجموعات معارضة أخرى أكثر تطرفًا إلى الفريسيين في إدانة عائلة رئيس الكهنة العظيم وحلفائها. كانت هذه المجموعات بعيدة كل البعد عن أن تكون موحدة: كانت متنافرة ومتنوعة، ومع مرور الوقت شملت مجموعات مختلفة من الأسينيين، والمجتمع الرهباني في خربة قمران، وكذلك حلفائهم في المدن، وأتباع يسوع الناصري. ما اشتركت فيه هذه المجموعات هو معارضتهم لرئيس الكهنة وحلفائه وللهيكل الذي كانوا يسيطرون عليه.

إن أغلبية اليهود، بما في ذلك الفريسيين، ما زالوا يعرّفون أنفسهم بمصطلحات تقليدية، باعتبارهم "إسرائيل ضد الأمم". ولكن أولئك الذين انضموا إلى جماعات هامشية أو أكثر تطرفاً مثل الأسينيين، الذين كانوا عازمين على فصل إسرائيل جذرياً عن النفوذ الأجنبي، أصبحوا يعاملون هذا التعريف التقليدي باعتباره مسألة ذات أهمية ثانوية. لقد زعم هؤلاء المتشددون أن ما كان يهم في المقام الأول لم يكن ما إذا كان الشخص يهوديًا أم لا - وهذا ما اعتبروه أمرًا مسلمًا به - بل "من منا [اليهود] هو حقًا في صف الله" ومن "سار في طرق الأمم"، أي تبنى الممارسات الثقافية والتجارية الأجنبية. وقد وجد الانفصاليون ذخيرة في الآيات التوراتية التي تدعو إلى لعنات مرعبة على الأشخاص الذين ينتهكون عهد الله، وفي الآيات النبوية التي تحذر من أن "البقية الصالحة" فقط في إسرائيل ستبقى وفية لله.

وقد أصبح هؤلاء المنشقون أكثر تطرفاً من أسلافهم، وبدأوا بشكل متزايد في استدعاء الشيطان لوصف خصومهم اليهود؛ وفي هذه العملية حولوا هذا الملاك غير المحبب إلى شخصية أعظم بكثير ـ وأكثر شراً بكثير. لم يعد أحد خدام الله المخلصين، وبدأ يصبح غاضبًا على مرقس وعلى المسيحية فيما بعد - خصم الله، عدوه، وحتى منافسه.[19] هؤلاء الطائفيون، الذين يتنافسون ضد اليهود الآخرين أكثر من "الأمم"، ينتقدون خصومهم باعتبارهم مرتدين ويتهمونهم بأنهم أُغووا بقوة الشر، الذين يطلقون عليهم العديد من الأسماء - الشيطان، بعلز بوب،سيميهازة، عزازيل، بليعال، أمير الظلام. وقد استعار هؤلاء المنشقون أيضًا قصصًا وكتبوا قصصهم الخاصة، يروون فيها كيف سقطت هذه القوى الملائكية، المنتفخة بالشهوة والغطرسة، من السماء إلى الخطيئة. إن أولئك الذين وضعوا مثل هذه القصص لأول مرة، كما

سنرى، استخدموها في أغلب الأحيان لوصف ما اتهموه بـ "السقوط في الخطيئة" من جانب البشر - وهو ما يعني عادة الأغلبية الساحقة من معاصريهم اليهود.

ومع تزايد أهمية الشيطان وتجسيده، انتشرت القصص حول أصله. تروي إحدى المجموعات كيف أثبت أحد الملائكة، وهو نفسه من ذوي المكانة العالية في التسلسل الهرمي السماوي، عصيانه لقائده الأعلى، فتم طرده من السماء، وخفض رتبته، وإهانته، وهو صدى لرواية إشعياء عن سقوط أمير عظيم:

> كَيْفَ سَقَطْتِ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهَرَةُ بِنْتَ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعْتَ إِلَى الأَرْضِ يَا قَاهِرَ الأُمَمِ؟ وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللهِ وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشِّمَالِ. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ.... "لَكِنَّكَ انْحَدَرْتَ إِلَى الْهَاوِيَةِ [شيول] إِلَى أَسَافِلِ الْجُبِّ.(إشعياء 14 :12-15).

بعد ما يقرب من ألفي وخمسمائة عام من كتابة إشعياء، تم تحويل هذا النجم الساقط المضيء، الذي تُرجم اسمه إلى اللاتينية باسم لوسيفر ("حامل النور")، بواسطة ميلتون إلى بطل الفردوس المفقود.

ولكن كان هناك مجموعة ثانية من القصص المنحولة والقصص المزيفة التي تحكي كيف أن الشهوة جذبت "أبناء الله" الملائكة إلى الأرض، وهي أكثر تأثيراً في الدوائر اليهودية والمسيحية في القرن الأول. هذه القصص مستمدة من رواية غامضة في سفر التكوين 6، والتي تقول:

> وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَا النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الارْضِ وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ انَّ ابْنَاءَ اللهِ رَاوا بَنَاتِ النَّاسِ انَّهُنَّ حَسَنَاتٌ.

بعض هؤلاء الملائكة، تجاوزوا الحدود التي وضعها الرب بين السماء والأرض، وتزاوجوا مع نساء بشريات، وأنتجوا ذرية نصف ملائكة ونصف بشر. وفقًا لسفر التكوين، أصبح هؤلاء الهجائن "عمالقة في الأرض... رجال أقوياء ذوو شهرة" (تكوين 6: 4). ويقول روائيون آخرون،

ربما كتبوا في وقت لاحق [1] كما سنرى، إن هؤلاء النسل الوحشي أصبحوا شياطين، استولوا على الأرض ودنسوها.

وأخيرًا، هناك نسخة غير موثوقة من حياة آدم وحواء

رواية ثالثة عن التمرد الملائكي. في البداية، بعد أن خلق الله آدم، دعا الملائكة ليعجبوا بعمله وأمرهم بالسجود لأخيهم البشري الأصغر. فأطاع ميكائيل، ولكن الشيطان رفض قائلاً:

> "لماذا تضغط علي؟ لا أعبد من هو أصغر مني وأدنى مني. أنا أكبر منه سنًا، ينبغي له أن يعبدني! (17؟ آدم وحواء 14 :3).

وهكذا تبدأ مشكلة الشر في التنافس بين الأشقاء.[21]

قد يبدو للوهلة الأولى أن هذه القصص عن الشيطان ليس لها أي قواسم مشتركة. ومع ذلك فإنهم جميعًا يتفقون على شيء واحد: أن هذا العدو الأعظم والأخطر لم ينشأ، كما قد يتوقع المرء، من الخارج أو أجنبي أو غريب، فالشيطان ليس العدو البعيد بل العدو الحميم - زميل المرء الموثوق به، أو شريكه المقرب، أو أخاه. إنه من النوع الذي تعتمد عليه رفاهية الأسرة والمجتمع على ولائه وحسن نيته، لكنه يتحول بشكل غير متوقع إلى الغيرة والعداء. ومهما كانت النسخة التي نختارها من أصله، وهناك العديد منها، فإنها كلها تصور الشيطان كعدو حميم - وهي الصفة التي تؤهله بشكل جيد للتعبير عن الصراع بين الجماعات اليهودية. الذين سألوا: كيف يمكن لملاك الله أن يصبح عدوًا له؟ وكانوا يتساءلون في الواقع: "كيف يمكن لأحدنا أن يصبح واحدًا منهم؟" انتشرت قصص الشيطان والملائكة الساقطين الآخرين في هذه الأوقات المضطربة، وخاصة داخل تلك الجماعات المتطرفة التي انقلبت ضد بقية المجتمع اليهودي، وبالتالي، استنتجت أن الآخرين انقلبوا ضدهم - أو (كما قالوا) ضد الله.

كان أحد المؤلفين المجهولين الذي جمع وشرح قصص

الملائكة الساقطين أثناء حرب المكابيين منزعجًا من الانقسامات التي حدثت أثناء الحرب بين المجتمعات اليهودية. وقد تناول هذا الانقسام بطريقة غير مباشرة في كتاب المراقبين، وهو أحد الكتب المنحولة التي اشتهرت وأثرت، خاصة بين المسيحيين، من خلال طرح فكرة الانقسام

في السماء. كتاب المراقبين، وهو عبارة عن مجموعة من القصص الرؤيوية، تم وضعه، بدوره، ضمن مجموعة أكبر تسمى كتاب أخنوخ الأول. تحكي القصة كيف سقط الملائكة "المراقبون"، الذين عينهم الله للإشراف على الكون، من السماء. انطلاقًا من قصة سفر التكوين 6، حيث اشتهى "أبناء الله" النساء البشريات، يجمع هذا المؤلف بين روايتين مختلفتين لكيفية فقدان المراقبين لمجدهم السماوي.[22] تصف الرواية الأولى كيف أجبر سيميهازه، زعيم المراقبين، مائتي ملاك آخرين على الانضمام إليه في ميثاق لانتهاك النظام الإلهي من خلال التزاوج مع النساء البشريات. أنتجت هذه التناقضات "سلالة من الأوغاد، العمالقة المعروفين باسم النفيليم [الساقطين]، والذين انبثقت منهم أرواح شيطانية"، جلبوا العنف على الأرض وأكلوا سكانها. يتداخل مع هذه القصة نسخة بديلة، تحكي كيف أخطأ رئيس الملائكة عزازيل عندما كشف للبشر أسرار علم المعادن، وهو الوحي الخبيث الذي ألهم الرجال لصنع الأسلحة والنساء لتزيين أنفسهن بالذهب والفضة ومستحضرات التجميل. وهكذا حرض الملائكة الساقطون وذريتهم الشياطين في كلا الجنسين على العنف والجشع والشهوة.

وبما أن هذه القصص تنطوي على هجاء اجتماعي وسياسي ممزوج

بالجدل الديني، فقد تساءل بعض المؤرخين مؤخرًا عن المواقف التاريخية المحددة التي تشير إليها. هل اليهود الذين يزينون قصة الملائكة الذين يتزاوجون مع البشر يسخرون سراً من ادعاءات حكامهم الهلنستيين؟ يشير جورج نيكلسبيرغ إلى أنه منذ عهد الإسكندر الأكبر، كان الملوك اليونانيون يزعمون أنهم ينحدرون من آلهة وكذلك من نساء بشريات؛ وكان اليونانيون يطلقون على مثل هذه الكائنات الهجينة لقب الأبطال. ولكن رعيتهم اليهود، بحكايتهم الساخرة عن سيميهازه، ربما حولوا مثل هذه الادعاءات بالنسب الإلهي ضد المغتصبين الأجانب.[2] " يقول كتاب المراقبين بشكل واضح أن هذه الوحوش الجشعة "استهلكت منتجات كل الناس حتى كره الناس إطعامهم"؛ ثم تحولت الوحوش مباشرة إلى "التهام الناس".

أم أن القصة تعبر بدلاً من ذلك عن احتقار شعب متدين

لمجموعة محددة من الأعداء اليهود - أي بعض أعضاء كهنة أورشليم؟ ويقترح ديفيد سوتر أن القصة تستهدف بدلاً من ذلك بعض الكهنة الذين، مثل "أبناء الله" في

القصة، ينتهكون مكانتهم ومسؤوليتهم الممنوحة لهم من الله من خلال السماح للشهوة بجذبهم إلى النجاسة - وخاصة الزواج من الغرباء، النساء غير اليهوديات.[24]

أي من التفسيرين ممكن. وكما يشير جون كولينز، فإن مؤلف كتاب المراقبين، باختياره سرد قصة المراقبين بدلاً من قصة الحكام اليونانيين الفعليين أو الكهنة الفاسدين، يقدم "نموذجًا لا يقتصر على موقف تاريخي واحد، بل يمكن تطبيقها كلما نشأ موقف مماثل." [25] وينطبق الأمر نفسه على كل الأدبيات المتعلقة بنهاية العالم، وهو ما يفسر الكثير من قوتها. وحتى يومنا هذا، لا يزال القراء في حيرة من أمرهم بشأن الكتب التي تدعي سلطة الوحي الملائكي، من سفر دانيال في الكتاب المقدس إلى سفر الرؤيا في العهد الجديد، حيث يجدون في ظروفهم الخاصة تطبيقات جديدة لهذه النصوص المثيرة والغامضة.

السؤال الرئيسي في نهاية العالم هو: من هم شعب الله؟ [20] بالنسبة لمعظم قراء كتاب المراقبين، فإن الإجابة كانت واضحة - إسرائيل. لكن مؤلف كتاب "المراقبون"، دون التخلي عن الهوية العرقية، يصر على الهوية الأخلاقية. ليس كافيا أن تكون يهوديا. يجب أن يكون الشخص يهوديًا أيضًا لكي يتصرف
أخلاقيا. وهنا نرى دليلاً على تحول تاريخي - تحول سيعتمده المسيحيون ويوسعونه، والذي سيفصلهم
إلى الأبد عن الجماعات اليهودية الأخرى.

لم يكن مؤلف كتاب المراقبين يقصد شيئًا جذريًا مثل ما فعله أتباع يسوع عندما تخلوا أخيرًا عن إسرائيل لتشكيل تقاليدهم الدينية المتميزة. فهو يعتبر أن لإسرائيل الأولوية على بقية الأمم، ويذكر إسرائيل دائمًا أولاً. لكن هذا المؤلف يتخذ خطوة حاسمة من خلال فصل الهوية العرقية عن الهوية الأخلاقية ويقترح التباين بينهما. يبدأ إبراهيم كلامه من الفصول الأولى من سفر التكوين، ويختار كمتحدث باسمه الرجل المقدس أخنوخ، الذي سبق إبراهيم وانتخاب إسرائيل بوقت طويل، ووفقًا لسفر التكوين، لا ينتمي إلى إسرائيل بل إلى التاريخ البدائي للجنس البشري. يغفل هذا المؤلف أي ذكر للشريعة التي أعطيت لموسى في سيناء، ويشيد بدلاً من ذلك بالشريعة العالمية التي كتبها الله في نسيج الكون وأعطاها للبشرية جمعاء على حد سواء - الشريعة التي تحكم البحار والأرض والنجوم. موجهًا رسالته إلى "المختارين والأبرار"

ومن بين جميع البشر، فإنه لا يُظهر فقط، كما لاحظ جورج نيكلسبيرغ، "انفتاحًا غير عادي تجاه غير اليهود"، بل يُظهر أيضًا وجهة نظر سلبية غير عادية تجاه إسرائيل، أو بشكل أدق، تجاه العديد من شعب إسرائيل - وربما الأغلبية.[27]

يروي كتاب المراقبين قصص سيميهازة وعزازيل كتحذير أخلاقي: إذا كان حتى رؤساء الملائكة، "أبناء السماء"، يمكن أن يخطئوا ويُسقطوا، فكم بالحري البشر، حتى أولئك الذين ينتمون إلى شعب الله المختار، معرضون للخطيئة واللعنة. في كتاب المراقبين، عندما حاول أخنوخ، المتأثر بالشفقة على المراقبين الساقطين، التدخل لدى الله نيابة عنهم، أمره أحد ملائكة الله بدلاً من ذلك بتسليمهم دينونة الله: "كنتم في السابق قديسين، أرواحًا تمتلك الحياة الأبدية؛ ولكن الآن نجست أنفسكم". تشير مثل هذه المقاطع إلى أن كتاب المراقبين يعبر عن حكم بعض اليهود على الآخرين، وبشكل خاص على بعض الذين يشغلون مناصب تمنحهم عادة سلطة كبيرة.

في عام 160 قبل الميلاد، وبعد انتصار المكابيين، استعادت مجموعة اعتبرت نفسها معتدلة السيطرة على كهنة الهيكل وأطاحت مؤقتًا بحزب المكابيين. وفي تذكير لهذا الحدث، أضاف أحد المكابيين إلى المجموعة المسماة "الكتاب الأول لأخنوخ" نسخة أخرى من قصة الملائكة المراقبين، وهي نسخة تستهدف أولئك الذين اغتصبوا السيطرة على الهيكل. يقول هذا المؤلف أن المراقبين، الذين سقطوا مثل النجوم من السماء، هم أنفسهم أنجبوا أعداء إسرائيل الأجانب، الذين تم تصويرهم على أنهم حيوانات مفترسة دموية - أسود، ونمور، وذئاب، وثعابين عازمة على تدمير إسرائيل، والتي تم تصويرها هنا على أنها قطيع من الأغنام. ولكنه يواصل حديثه قائلاً إن أمة الله المختارة منقسمة هي الأخرى؛ فبعضها "خراف عمياء"، والبعض الآخر لديه عيون مفتوحة. وعندما يأتي يوم القيامة، يحذر، فإن الله سوف يدمر اليهود الضالين، هؤلاء "الخراف العمياء"، إلى جانب أعداء إسرائيل التقليديين. ومن ثم، فإن الله سوف يجمع في النهاية في بيته الأبدي ليس فقط أبرار إسرائيل، بل أيضًا أبرار الأمم (على الرغم من أن هؤلاء سوف يظلون ثانويين بالنسبة لإسرائيل إلى الأبد).

كاتب ثالث مجهول وردت أعماله في سفر أخنوخ الأول، منشغل بالانقسام الداخلي إلى درجة أنه يتجاهل أعداء إسرائيل الأجانب تقريبًا. يجعل هذا الكاتب أخنوخ يتنبأ بظهور "جيل منحرف"، محذرًا من أن

كل أعماله ستكون ردة"7. (أخنوخ 93 :9). في انتقاده للعديد من معاصريه، يتحدث هذا المؤلف، كما يشير جورج نيكلسبيرغ، مثل العديد من أنبياء الكتاب المقدس، نيابة عن الفقراء، ويدين الأغنياء والأقوياء، ويتنبأ بتدميرهم.[28] حتى أنه يصر على أن العبودية، إلى جانب أوجه عدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية الأخرى، ليست أمرًا إلهيًا، كما يزعم آخرون، بل "نشأت من الاضطهاد" (7 أخنوخ 98: 5ب) - أي الخطيئة البشرية.[29]

إن قصة المراقبين، في بعض تحولاتها العديدة، تشير إلى تغيير في الخطوط التقليدية التي تفصل اليهود عن الأمم. إن القسم الأخير من كتاب أخنوخ الأول، "الأمثال"، والذي كُتب في زمن يسوع، يقارن ببساطة بين أولئك الصالحين الذين يقفون إلى جانب الملائكة، وأولئك، اليهود والأمميين، الذين أغواهم الشياطين. إن روايات مثل هذه من شأنها أن تفتح الطريق أمام المسيحيين في نهاية المطاف لترك الهوية العرقية جانبًا، وإعادة تعريف المجتمع البشري بدلاً من ذلك من حيث الجودة الأخلاقية، أو العضوية في المجتمع المختار، لكل فرد.

كتب وطني متدين آخر حوالي عام 160 قبل الميلاد، وكان أيضًا منحازًا إلى حزب المكابيين الأوائل، وكتب كتابًا غير عادي من أسفار الأبوكريفا يسمى "اليوبيلات" لحث شعبه على الحفاظ على انفصالهم عن طرق الأمم. ما يزعج هذا الكاتب هو هذا: كيف يمكن للعديد من بني إسرائيل، شعب الله نفسه، أن يصبحوا مرتدين؟ كيف يمكن للعديد من اليهود أن "يسلكوا في طرق الأمم" (اليوبيلات 1 :9)؟ في حين أن المؤلف يأخذ على محمل الجد التناقض التقليدي بين بني إسرائيل و"أعدائهم الأمم" (اليوبيلات 1 :19)، وهنا مرة أخرى يتراجع هذا الصراع إلى الخلفية. إن مؤلف كتاب اليوبيلات يهتم بدلاً من ذلك بالصراعات حول الاستيعاب التي تقسم المجتمعات اليهودية داخليًا، وهو يعزو هذه الصراعات إلى ذلك العدو الأكثر حميمية، والذي يطلق عليه العديد من الأسماء، ولكنه غالبًا ما يطلق عليه اسم مستيما ("الكراهية")، أو الشيطان، أو بليعال.

إن قصة سقوط الملائكة في اليوبيلات، مثل تلك الموجودة في سفر أخنوخ الأول، تقدم تحذيرًا أخلاقيًا: إذا كان الملائكة، عندما يخطئون، يجلبون غضب الله وتدميرهم على أنفسهم، فكيف يمكن للبشر العاديين أن يتوقعوا النجاة؟ يصر اليوبيلات على أن كل مخلوق، سواء كان ملاكا أو إنسانا، إسرائيليا أو أمميا، سوف يتم الحكم عليه وفقا لأفعاله، أي وفقا للأخلاق.

وبحسب يوبيلات، فإن سقوط الملائكة أدى إلى ظهور العمالقة، الذين يزرعون العنف والشر، والأرواح الشريرة، "القاسية، والتي خلقت للتدمير" (يوبيلات 10 :6). ومنذ ذلك الحين، أصبح وجودهم يهيمن على هذا العالم كظل مظلم، ويوحي بالغموض الأخلاقي والضعف الذي يعاني منه كل إنسان. وكما فعل بعض الأنبياء، يحذر هذا الكاتب من أن الاختيار لا يوفر أي أمان، وبالتأكيد لا يوفر أي حصانة؛ فمصير إسرائيل لا يعتمد فقط على الاختيار، بل على العمل الأخلاقي، أو في حالة الفشل في ذلك، على التوبة والمغفرة الإلهية.

ومع ذلك فإن اليهود والأمميين لا يواجهون الشر الشيطاني على قدم المساواة. يقول سفر اليوبيلات أن الله خصص لكل أمة ملاكًا أو روحًا حاكمًا "لكي يضلهم" (اليوبيلات 15 :31)؛ ومن ثم فإن الأمم تعبد الشياطين (الذين يحددهم اليوبيلات بالآلهة الأجنبية). " لكن الله نفسه يحكم إسرائيل، إلى جانب مجموعة من الملائكة والأرواح المخصصة لحراستهم وبركتهم.

فماذا يعني إذن اختيار الله لشعبه؟ يشير مؤلف كتاب اليوبيلات، في إشارة إلى تحذيرات إشعياء وغيره من الأنبياء، إلى أن الانتماء إلى شعب إسرائيل لا يضمن الخلاص من الشر. فهو ينقل إرثًا من النضال الأخلاقي، لكنه يضمن المساعدة الإلهية في هذا النضال.

تصور لوحة ″اليوبيلات″ مستيما وهو يختبر إبراهيم نفسه حتى وصل إلى نقطة الانهيار. فبحسب هذا الكاتب المُراجع، فإن مستيما -وليس الرب- هو الذي أمر إبراهيم بقتل ابنه إسحاق. وفي وقت لاحق، أعرب إبراهيم عن قلقه خشية أن تستعبده الأرواح الشريرة، "التي لها سلطان على أفكار قلوب البشر"؛ فتوسل إلى الله، "نجني من أيدي الأرواح الشريرة، ولا تدعها تضلني عن إلهي" (اليوبيلات 12 :20). موسى أيضًا يعلم أنه وشعبه معرضون للخطر. عندما يصلي إلى الله ليخلص إسرائيل من أعدائهم الخارجيين، "الأمم" {اليوبيلات. 1: 19)، كما أنه يصلي أن ينقذهم الله من العدو الحميم الذي يهدد بالسيطرة على شعبه داخليًا وتدميرهم: "لا تدع روح بليعال تسود عليهم" (اليوبيلات 1: 20). إن هذا الشعور بالخطر المشؤوم والمستمر في اليوبيلات يظهر مدى اعتبار المؤلف لشعبه قابلاً للفساد، وإلى حد كبير، فاسداً بالفعل. مثل كتاب المراقبين، يحذر كتاب اليوبيلات

من أن أولئك الذين يهملون عهد الله يتم إغواؤهم من قبل قوى الشر والملائكة الساقطة.

ورغم هذه التحذيرات، فإن أغلبية اليهود، منذ القرن الثاني قبل الميلاد وحتى اليوم، يرفضون الطائفية، فضلاً عن العالمية التي من شأنها، بين معظم المسيحيين، أن تتغلب في النهاية على التمييز العرقي. إن الأغلبية اليهودية، بما في ذلك أولئك الذين انحازوا إلى المكابيين ضد دعاة الاستيعاب، كانت دائمًا تتعاطف مع إسرائيل ككل.

على سبيل المثال، فإن مؤلف سفر دانيال التوراتي، الذي كتب أثناء الأزمة المحيطة بحرب المكابيين، ينحاز أيضًا إلى المكابيين، ويريد من اليهود أن يتجنبوا التلوث الناجم عن تناول الطعام مع غير اليهود، أو الزواج منهم، أو عبادة آلهتهم. ولتشجيع اليهود على الحفاظ على ولائهم لإسرائيل، يبدأ الكتاب بالقصة الشهيرة للنبي دانيال، الذي حكم عليه ملك بابل بالموت بسبب صلاته المخلصة إلى إلهه. أُلقي دانيال في عرين الأسود ليتم تمزيقه، ولكن تم إنقاذه إلهيًا؛ "أرسل الرب ملاكًا لإغلاق أفواه الأسود"، حتى خرج النبي الشجاع دون أن يصاب بأذى.

وكما رأى مؤلفا سفري اليوبيلات والمراقبون، يرى كاتب سفر دانيال أيضًا انقسامًا أخلاقيًا داخل إسرائيل، ويحذر من أن بعض الناس "ينتهكون العهد، ولكن الشعب الذي يعرف إلهه سيثبت ويعمل" (دانيال 11 :32). ورغم انشغاله بالقضايا الأخلاقية، فإنه لا ينسى أبداً هويته العرقية: فما يهمه قبل كل شيء هو المصير الأخلاقي لإسرائيل ككل. على عكس مؤلفي كتاب المراقبين واليوبيلات، فإن مؤلف سفر دانيال لا يتصور وجود عدو طائفي، سواء كان بشريًا أو إلهيًا. على الرغم من حزنه على خطايا إسرائيل، إلا أنه لم يدين الكثيرين، ناهيك عن الأغلبية، من شعبه باعتبارهم مرتدين؛ وبالتالي، لم يتحدث أبدًا عن الشيطان، أو سيميهازة، أو عزازيل، أو مستيما، أو بليعال، أو الملائكة الساقطين من أي نوع.

على الرغم من عدم وجود شياطين في عالم دانيال، إلا أن هناك ملائكة، وهناك أعداء. يقدم المؤلف الأعداء الأجانب، حكام الإمبراطوريات الفارسية والميدية والهلنستية، في صور رؤيوية تقليدية، كوحوش وحشية. في إحدى الرؤى، كان الوحش الأول "مثل أسد بأجنحة نسور"؛ والثاني "مثل دب"، يلتهم فريسته بشراسة؛ والثالث مثل نمر "بأربعة أجنحة طائر على ظهره وأربعة رؤوس"؛ و"

الحيوان الرابع هو هائل ورهيب وقوي جدا، وكان له أسنان من حديد كبيرة، وكان يأكل ويسحق ويدوس الباقي برجليه." وفي رؤيا أخرى، يرى دانيال كبشًا مقرنًا، فيشرح له الملاك جبرائيل أنه ملك اليونان." في رؤى دانيال، تمثل هذه الحيوانات الوحشية الحكام والدول الأجنبية التي تهدد إسرائيل. عندما صلى دانيال من أجل شعبه وهو يرتجف من الرهبة والرعب، كوفئ بتأكيد إلهي بأن كل بني إسرائيل الذين يظلون مخلصين لله سوف ينجون (12: 1-3). وهكذا يؤكد سفر دانيال بقوة على سلامة الهوية الأخلاقية والعرقية لإسرائيل. ولهذا السبب، أقترح أن سفر دانيال، على عكس كتب نهاية العالم الأخرى مثل كتاب المراقبين و اليوبيلات، مدرج في المجموعة القانونية التي نسميها الكتاب المقدس العبري وليس محصوراً في الأسفار غير القانونية.

يبدو أن أغلبية اليهود، على الأقل أولئك الذين اجتمعوا

واعتمدوا على الكتاب المقدس العبري، قد أيدوا تأكيد دانيال على الهوية التقليدية لإسرائيل، في حين أن أولئك الذين قدروا كتباً مثل سفر أخنوخ الأول وسفر اليوبيلات ربما ضموا أقلية كبيرة أكثر ميلاً إلى التعرف على مجموعة من اليهود ضد أخرى، كما رفض دانيال أن يفعل. إن معظم أولئك الذين اتخذوا موقفاً متحيزاً داخل المجتمع لم يصلوا إلى حد المطالبة بحرب أهلية شاملة بين مجموعة يهودية وأخرى، ولكن كانت هناك استثناءات ملحوظة. ابتداءً من وقت حرب المكابيين، وضعت الجماعات الطائفية الأكثر تطرفًا التي ذكرناها - وعلى رأسها أولئك الذين يُطلق عليهم اسم الأسينيين - هذه المعركة الكونية بين الملائكة والشياطين، بين الله والشيطان، في قلب علم الكونيات الخاص بهم وسياساتهم. وبذلك، فقد عبروا عن أهمية الصراع بينهم وبين أغلبية إخوانهم اليهود، الذين حكم عليهم الأسينيون بالهلاك.

يعتقد العديد من العلماء أن الأسينيين معروفون لنا من خلال معاصري القرن الأول مثل يوسيفوس وفيلو والجغرافي والطبيعي الروماني بليني الأكبر، وكذلك من اكتشاف أنقاض مجتمعهم في عام 1947، بما في ذلك مكتبتهم المقدسة، مخطوطات البحر الميت. كان يوسيفوس، في السادسة عشرة من عمره، مفتونًا بهذا المجتمع الصارم والمنعزل: يقول إنهم "مارسوا قداسة عظيمة" داخل مجتمع غير عادي.

مجموعة متماسكة إلى حد ما ("إنهم يحبون بعضهم البعض كثيرًا*"). ويشير كل من يوسيفوس وفيلو، ببعض الدهشة، إلى أن هؤلاء الطائفيين مارسوا العزوبة الصارمة، ربما لأنهم اختاروا العيش وفقًا للقواعد الكتابية للحرب المقدسة، التي تحظر الجماع أثناء الحرب. لكن الحرب التي رأوا أنفسهم منخرطين فيها كانت حرب الله ضد قوة الشر - حرب كونية توقعوا أنها ستؤدي إلى تأييد الله لإخلاصهم. كما سلم الأسينيون جميع أموالهم وممتلكاتهم لزعمائهم من أجل العيش "بدون مال"،[11] كما يقول بليني، في مجتمع رهباني. [32]

لقد رأى هؤلاء الطائفيون المتدينون والعاطفيون أن الاحتلال الأجنبي لفلسطين - واستيعاب غالبية اليهود لهذا الاحتلال - دليل على أن قوى الشر قد سيطرت على العالم - وفي صورة الشيطان، أو مستيما، أو أمير الظلام - تسللت واستولت على شعب الله نفسه، وحولت معظمهم إلى حلفاء للشيطان.

نشأت حركة الأسينيين نتيجةً للجدل حول النقاء والاندماج الذي أعقب حرب المكابيين، ونمت خلال الاحتلال الروماني في القرن الأول لتشمل أكثر من أربعة آلاف رجل. يبدو أن النساء، اللواتي لم يتم ذكرهن مطلقًا في قواعد المجتمع، لم يكنّ مؤهلات للقبول. ورغم العثور على بقايا عدد قليل من النساء والأطفال بين مئات الرجال المدفونين في المقبرة الخارجية في قمران، فمن المرجح أنهم لم يكونوا أعضاء في المجتمع.[33] (بما أن المقبرة بأكملها لم يتم التنقيب عنها بعد، فإن هذه الاستنتاجات تظل غير قاطعة). كان العديد من الأعضاء المساعدين في الطائفة، ومن بينهم على ما يبدو العديد من المتزوجين، يعيشون في مدن في جميع أنحاء فلسطين، يمارسون مهنًا عادية بينما يسعون إلى تكريس أنفسهم لله؛ لكن الأكثر تفانيًا انسحبوا احتجاجًا من الحياة اليهودية العادية لتشكيل "إسرائيل الجديدة" الخاصة بهم، المجتمع الرهباني في الكهوف الصحراوية المطلة على البحر الميت[34] هناك، ووفقًا لقاعدة المجتمع الصارمة، كانوا يرتدون اللون الأبيض فقط وينظمون كل تفاصيل حياتهم وفقًا لتفسيرات صارمة للقانون وضعها قادتهم الكهنة. وفي كتبهم المقدسة، مثل مخطوطة حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام العظيمة، كان الإخوة قادرين على قراءة كيف منحهم الله أمير النور كقائدهم الأعلى

حليف طبيعي لمساعدتهم في الصراع ضد الشيطان وحلفائه من البشر،

> لقد عين أمير النور ليأتي لدعمنا: لكن الشيطان، الملاك مستيما، خلق للحفرة؛ فهو يحكم في الظلام، وهدفه هو جلب الشر والخطيئة (1 كتاب حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام 19: 10-12).

أطلق الأسينيون على أنفسهم اسم "أبناء النور" واتهموا الأغلبية بأنهم "أبناء الظلمة"، و"جماعة الخونة"، باعتبارهم أشخاصًا "يحيدون عن الطريق، بعد أن خالفوا القانون، وانتهكوا الوصية" (الوثيقة الدمشقية 1: 13-20). يروي الأسينيون تاريخ إسرائيل بأكمله من حيث هذه الحرب الكونية. حتى في العصور الأولى، يقولون، "أقام أمير النور موسى" (الوثيقة الدمشقية 5: 18)، ولكن الشرير، المسمى هنا بليار، أثار المعارضة لموسى بين شعبه. ومنذ ذلك الحين، وخاصة الآن، نصب بليار فخاخًا ينوي من خلالها "اصطياد إسرائيل"، لأن الله نفسه "أطلق بليار ضد إسرائيل" (الوثيقة الدمشقية 4: 13). والآن ينتظر "أبناء النور" بفارغ الصبر يوم القيامة، عندما يتوقعون أن يأتي الله مع كل جيوش السماء لإبادة الأغلبية الفاسدة إلى جانب أعداء إسرائيل الأجانب.

لو لم يكن الشيطان موجودًا بالفعل في التقاليد اليهودية، لكان الأسينيون قد اخترعوه. في كتاب المراقبين، يحرض الملائكة الساقطة أنشطة أولئك الذين ينتهكون عهد الله، لكن الإسينيين يذهبون إلى أبعد من ذلك بكثير ويضعون في مركز فهمهم الديني الحرب الكونية بين الله وحلفائه، الملائكة والبشر، ضد الشيطان، أو بليار، إلى جانب حلفائه الشياطين والبشر. يضع الأسينيون أنفسهم في قلب هذه المعركة بين الجنة والجحيم. في حين أنهم يكرهون أعداء إسرائيل التقليديين، الذين يطلقون عليهم اسم ״الكتيم״ (ربما لقب مشفر للرومان)،[35] فإنهم يناضلون بمرارة أكبر ضد إخوانهم الإسرائيليين، الذين ينتمون إلى "جماعة بليعار". يقترح ديفيد سبيرلينغ، الباحث في الشرق الأدنى القديم، أن استبدال بليعار ببليعال السابق ربما يكون تلاعب على كلمة ״بلات״ أو ״بدون ضوء". [36] إنهم يستدعون الشيطان ـ أو بليعار ـ لتوصيف الخصومة التي لا يمكن التوفيق بينها.

الموقف بينهم وبين "أبناء الظلام" في الحرب التي تجري في السماء وعلى الأرض في نفس الوقت. إنهم يتوقعون أن الله سيأتي قريبًا بقوة، مع ملائكته القديسين، وسيقضي أخيرًا على قوى الشر ويفتتح ملكوت الله.

يتفق الأسينيون مع اليوبيليين على أن كون المرء يهوديًا لم يعد

كافيا لضمان نعمة الله. ولكنه أكثر تطرفاً: إن خطايا الشعب ألغت فعلياً عهد الله مع إبراهيم، الذي يعتمد عليه اختيار إسرائيل. والآن يصرون على أن كل من يريد أن ينتمي إلى إسرائيل الحقيقية يجب أن ينضم إلى عهد جديد - عهد جماعتهم الخاصة.[3] كل من يتقدم بطلب للدخول إلى مجتمع الصحراء يجب عليه أولاً أن يعترف بأنه مذنب بالخطيئة - مذنب، على ما يبدو، بالمشاركة في ارتداد إسرائيل الجماعي عن الله. ثم يبدأ المرشح عدة سنوات من المراقبة، يسلم خلالها ممتلكاته إلى زعماء المجتمع ويقسم على ممارسة الامتناع عن ممارسة الجنس، إلى جانب الطهارة الطقسية في كل ما يأكله أو يشربه أو ينطق به أو يلمسه. خلال فترة الاختبار، لا يجوز له لمس الأواني أو الأطباق أو الأدوات التي يستخدمها الأعضاء لإعداد طعام الجماعة. إن الشتائم قد تؤدي إلى طرده على الفور، كما يمكن أن تؤدي الشكوى ضد قادة المجموعة إلى طرده أيضًا؛ أما البصق أو التحدث خارج الدور فيؤدي إلى عقوبات صارمة.

يُطلب من المرشح الذي يحصل أخيرًا على القبول، في طقوس التأهيل الخاصة به، أن ينضم إلى المجتمع بأكمله لمباركة كل من ينتمي إلى العهد الجديد ولعنة طقسية على كل من ليسوا متأهلين، والذين ينتمون إلى "رجال بليعار". يكشف القادة الآن للمتأهل أسرار علم الملائكة، ووفقًا ليوسيفوس، يجب عليه أن يقسم رسميًا على "الحفاظ على سرية أسماء الملائكة" (الحرب 2 .8). ومن خلال ممارسات الطهارة والصلاة والعبادة، يسعى المتأهل إلى الاتحاد مع رفقة الملائكة. وكما أوضحت المؤرخة كارول نيوسوم، فإن عبادة جماعة الأسينيين - مثل القداس المسيحي حتى يومنا هذا - تصل إلى ذروتها عندما ينضم المجتمع على الأرض إلى الملائكة في غناء ترنيمة التسبيح التي يغنيها الملائكة في السماء ("قدوس، قدوس، قدوس، يا رب إله الجنود؛ السماء والأرض مملوءتان بمجدك").[33]
تكشف النصوص المقدسة للأسينيين مثل مخطوطة حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام

أسرار علم الملائكة، التي اعتبرها الطائفيون معلومات قيمة وضرورية، لأن التعرف على العلاقة المتبادلة بين القوى الخارقة للطبيعة، سواء كانت الخير أو الشر، وفهمها أمر ضروري لإحساسهم بهويتهم الخاصة - والطريقة التي
يحددون بها الآخرين.[39]

يُقدم الأسينيون، إذًا، أقربَ مثالٍ لرواية مرقس

عن أتباع يسوع، إذ يستحضرون صورًا من حربٍ كونيةٍ لتقسيم الكون بأسره - والمجتمع اليهودي تحديدًا - بين شعب الله وشعب الشيطان. ومع ذلك، تختلف الحركتان اختلافًا كبيرًا، لا سيما فيما يتعلق بالغرباء. كان العهد الإسيني، كما رأينا، حصريًا للغاية، ومقتصرًا ليس فقط على اليهود، الذين يجب أن يكونوا أحرارًا وذكورًا، ولكن أيضًا على أولئك القلائل المتدينين الذين انضموا طواعية إلى "العهد الجديد". ورغم أن مرقس ومتى رأيا بداية حركة يسوع في المقام الأول ضمن سياق المجتمع اليهودي، إلا أن مستقبلها كان سيشمل بشكل متزايد العالم غير اليهودي في الخارج.

ومع ذلك، فإن الأسينيين، على الرغم من كونهم حصريين بشكل صارم، فقد قادتهم اعتراضاتهم على النزعات الاستيعابية لإخوانهم اليهود إلى التحرك، على نحو متناقض، في الاتجاه العالمي الذي أشار إليه كتاب المراقبين واليوبيلات. (احتفظ الأسينيون بكلا الكتابين في مكتبتهم الرهبانية؛ ״اليوبيلات״، كما كتب أحد الأسينيين المجهولين، هو كتاب يكشف أسرارًا إلهية "غض الطرف عنها إسرائيل" [الوثيقة الدمشقية 16 .2]). لقد تفوق الأسينيون على أسلافهم في وضع الهوية العرقية جانبًا، ليس باعتبارها خاطئة، ولكن باعتبارها غير كافية، وأكدوا على الهوية الأخلاقية على الهوية العرقية. عندما يصورون صراع أمير النور ضد أمير الظلام، فإنهم لا يربطون أمير النور برئيس الملائكة ميكائيل، الراعي الملائكي لإسرائيل.[40] بدلاً من ذلك، يتصورون أمير النور كطاقة عالمية تنافس قوة كونية معارضة، أمير الظلام. بالنسبة للأسينيين، لا تمثل هاتان الطاقتان صراعاتهما الخاصة مع خصومهما فحسب، بل تمثلان صراعًا داخل كل شخص، داخل القلب البشري نفسه:

> تتصارع أرواح الحق والباطل في قلب الإنسان... فبقدر نصيبه من الحق والصدق يكره الإنسان

الكذب، وبقدر نصيبه من الخداع يكره الحقيقة (1 مخطوطات قمران 4: 12-14).

وبطبيعة الحال، اعتبر الأسينيون هويتهم بإسرائيل أمراً مسلماً به. وبما أنهم اشترطوا على كل من ينضم إلى عهدهم أن يكون يهوديًا، ذكرًا، وحرًا، فإن "كل شخص" يعني في الممارسة العملية اليهود فقط الذين استوفوا هذه المؤهلات. ولكن بعض أتباع يسوع، وخاصة بعد عام 100 ميلادية، بعد أن واجهوا ردود فعل مخيبة للآمال تجاه رسالتهم داخل المجتمعات اليهودية، استندوا إلى مثل هذه المواضيع العالمية عندما تحركوا لفتح حركتهم للأمم.

كما رأينا في الفصل السابق، فإن أتباع يسوع[1]، وفقًا لمرقس، يستحضرون أيضًا صورًا للحرب الكونية لتقسيم الكون بأسره - والمجتمع اليهودي تحديدًا - بين شعب الله وشعب الشيطان. ويرى مرقس، مثل الأسينيين، أن هذا الصراع هو في جوهره صراع داخلي يهودي. وهذا ما يفعله أيضًا تابع يسوع الذي نسميه متى، والذي كما سنرى في الفصل التالي، أخذ إنجيل مرقس وقام بمراجعته بعد حوالي عشرة إلى عشرين عامًا. أخذ متى الإطار الأساسي لإنجيل مرقس، وقام بتحسينه وتحديثه فعليًا، واضعًا قصة يسوع في سياق أكثر صلة بالعالم اليهودي في زمن متى، فلسطين حوالي 80-90 ميلاديًا. وبحلول الوقت الذي كتب فيه متى إنجيله، كان أتباع يسوع مجرد مجموعة هامشية عارضها حزب الفريسيين الحاكم، الذي اكتسب الهيمنة في أورشليم في العقود التي تلت الحرب الرومانية. في الجزء المركزي من رواية متى للإنجيل، أصبح "الأعداء المقربون" في المقام الأول من الفريسيين.

وفي نفس الوقت تقريبًا، قام أحد أتباع يسوع، الذي يطلق عليه التقليد لوقا، بأخذ رواية مرقس ووسّعها لتناسب وجهة نظره الخاصة - والتي تبدو على أنها وجهة نظر شخص غير يهودي اعتنق المسيحية. ومع ذلك، فإن لوقا، وبحماسة مثل أي إسيني، يصور طائفته على أنها تمثل إسرائيل في أفضل حالاتها؛ ووفقاً للوقا، كما سنرى، فإن أتباع يسوع هم الإسرائيليون الحقيقيون الوحيدون المتبقون تقريباً.

وفي نهاية القرن التاسع، أي حوالي عام 90-100 ميلادي، قدم الكاتب يوحنا تفسيرًا جريئًا لهذه الأحداث. يتفق العديد من العلماء على أن إنجيل يوحنا يعرض وجهة نظر جماعة طائفية متطرفة معزولة عن المجتمع اليهودي

لأنهم طُردوا من مجامعهم بسبب ادعائهم أن يسوع هو المسيح. مثل الأسينيين، يتحدث يوحنا ببلاغة عن المحبة بين أولئك الذين ينتمون إلى الله (يوحنا 10: 14)؛ ومع ذلك فإن الجدل العنيف الذي أجراه يوحنا ضد أولئك الذين يسميهم أحيانًا ببساطة "اليهود" يضاهي في مرارته أحيانًا الجدل الذي أجراه الأسينيين.

دعونا نبحث، إذن، كيف قام كل من كتاب الأناجيل هؤلاء للعهد الجديد بإعادة تشكيل رسالة مرقس مع تغير الحركة المسيحية خلال القرن الأول.

الثالث

حملة متى ضد الفريسيين:
نشر الشيطان

لقد نجح أتباع يسوع، أكثر بكثير مما توقعه الكثيرون منهم - أو ربما حتى أملوا - في جذب الأمم (من المصطلح اللاتيني الذي يعني "الأمم")، ولكن لخيبة أملهم فشلوا إلى حد كبير في جذب اليهود. بين عامي 70 و 100 ميلادية، بدأت هذه الحركة، كما يقول جورج نيكلسبيرغ، باعتبارها "حركة متأخرة نسبيًا بين الطوائف والجماعات في اليهودية بعد السبي"،[1،1] ولكنها نمت بسرعة. على الرغم من أن العديد من أتباع يسوع كانوا يهودًا، إلا أنهم كانوا يميلون بشكل متزايد إلى الانفصال عن اليهود الآخرين، وغالبًا ما كانوا يجتمعون للعبادة في منازل زملائهم الأعضاء، بدلاً من المعابد اليهودية. وقد أثار هذا الوضع قلق الكثير منهم، الذين أصروا على أنهم لا يريدون الانحراف عن الطرق التقليدية ولكنهم أجبروا على ذلك، بعد أن رفضهم الزعماء اليهود، بل وطُردوا في بعض الأحيان من معابدهم اليهودية في منازلهم.

ومع انتشار حركة يسوع في جميع أنحاء العالم الروماني، بدأ العديد من أتباعها في التخلي عن الممارسات اليهودية المميزة، وأبرزها الختان، ثم أيضًا قوانين النظام الغذائي وقوانين السبت. بحلول عام 100 ميلادية، في المناطق التي تشمل اليونان وآسيا الصغرى وإيطاليا ومصر، أصبحت العديد من الكنائس المسيحية ذات أغلبية غير يهودية. ومع ذلك أصروا على أنهم وحدهم التجسيد الحقيقي لإسرائيل. يشير جورج نيكلسبيرغ إلى المفارقة في وضعهم:

> كانت مجموعة شابة ناشئة، تغيرت عضويتها بسرعة وبشكل جذري، تدعي أنها أكثر أصالة.

كان هذا الموقف من التفوق والإقصاء مستمدًا، جزئيًا، من الأفكار والمواقف الموجودة بالفعل في الجسم الأم.[2]

وكما لاحظ المؤرخ وباحث العهد الجديد ف. فارفن ميكس، فإن الطريق إلى الانفصال لم يكن بسيطًا أو موحدًا بأي حال من
الأحوال. لقد رأينا بالفعل أن المجتمعات اليهودية المنتشرة في جميع أنحاء فلسطين والمدن الإقليمية للإمبراطورية الرومانية لم تكن متنوعة داخليًا فحسب، بل كانت أيضًا تخضع لتغييرات معقدة بعد الحرب. وكانت المجموعات المختلفة من المتحولين إلى المسيحية أكثر تنوعًا داخليًا، لأنها غالبًا ما كانت تشمل غير اليهود إلى جانب اليهود. لقد كافحت هذه المجموعات من أتباع يسوع من أجل إيجاد مكان لها فيما يتعلق بالمجتمعات اليهودية التي استولوا إلى حد كبير على كتبهم المقدسة وتقاليدهم.

ولم يتخل جميع المسيحيين عن ممارساتهم اليهودية في نفس الوقت. في العقود التي تلت وفاة يسوع، ربما لم يكن لدى العديد من أتباعه نية التخلي عنها على الإطلاق. على سبيل المثال، ظلت المجموعة التي تركزت في أورشليم حول يعقوب شقيق يسوع ملتزمة بالناموس، مثل يعقوب نفسه (ومن هنا جاء لقبه "يعقوب العادل" أو "البار"). أما المجموعات الأخرى، مثل تلك التي اتبعت التعاليم المرتبطة ببطرس، فقد عدّلت من مراعاة القوانين الغذائية والجنسية. إن الجماعات التي تعرفت على بولس الفريسي المتحول، تبنت إلى حد كبير قناعته بأن "المسيح هو غاية الناموس لكل من يؤمن"، سواء كان يهوديًا أو أمميًا.[4] وقد اعتبر معظم المؤمنين أن بولس يعني أن ممارسة الختان ومراعاة قوانين الكوشير والأعياد اليهودية تتعارض مع اعتناق الإنجيل، وقد اجتذبت تعاليمه العديد من المتحولين بين الأمم الذين ارتبطوا بجماعات الكنيس اليهودي.

عندما ننظر إلى الأناجيل الثلاثة الأخرى المضمنة مع إنجيل مرقس

في العهد الجديد، والتي كتبت جميعها بين عامي 70 و 100 ميلادية، يمكننا أن نرى ثلاث مجتمعات ممثلة، كل منها في عملية الانفصال عن مجموعات يهودية معينة ومحاولة صياغة نمط مسيحي جديد ومميز لهوية المجتمع. يصف عالم العهد الجديد كريستر ستيندال إنجيل متى بأنه نوع من "حكم المجتمع"،

أكثر ليبرالية من تلك التي لدى الإسينيين؟ يصر إنجيل لوقا، الذي ربما كتبه المؤلف غير اليهودي الوحيد في العهد الجديد لمجتمع يغلب عليه غير اليهود، على أن مجموعته ورثت إرث إسرائيل باعتبارها شعب الله. يصف مؤلف إنجيل يوحنا، والذي ربما كان يهوديًا، مجموعة مترابطة من "أهل يسوع" - أي الأشخاص المطلعين الذين يتبعون أمر يسوع "بأن يحبوا بعضهم بعضًا" (15: 12) بينما يعتبرون خصومهم اليهود أبناء الشيطان.

إن وجود مثل هذه الأنماط من الهوية الجماعية في هذه

الأناجيل ـ الأنماط التي شكلت الكنائس المسيحية منذ ذلك الحين ـ ليس من قبيل الصدفة بالتأكيد. تم تقديس الأناجيل الأربعة التي جُمعت في العهد الجديد حوالي عام 200 ميلادية، على ما يبدو بالإجماع من الكنائس بدءًا من تلك الموجودة في إقليم بلاد الغال وحتى الكنيسة في العاصمة روما؛ وقد تم اختيارها ليس بالضرورة لأنها كانت أقدم أو أكثر الروايات دقة عن حياة يسوع وتعليمه، ولكن على وجه التحديد لأنها يمكن أن تشكل الأساس لمجتمعات الكنيسة.

لم تكن الأناجيل القانونية بأي حال من الأحوال هي الروايات الوحيدة عن حياة يسوع وتعليمه. خلال السنوات التي أعقبت وفاته، تم سرد وإعادة سرد القصص عنه وعن تلاميذه، ليس فقط في فلسطين، ولكن في جميع أنحاء آسيا الصغرى، واليونان، ومصر، وأفريقيا، وبلاد الغال، وإسبانيا. بعد حوالي عشرين عامًا من صلب المسيح، عندما سافر بولس إلى المجامع اليهودية في أنطاكية، عاصمة سوريا، وفي اليونان وروما لإعلان "إنجيل يسوع المسيح"، لم تكن هناك أناجيل مكتوبة بعد. بحسب بولس، فإن "الإنجيل" يتألف مما بشر به، والذي لخصه على النحو التالي: "أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث" (1 كورنثوس 15 :3-4). على الرغم من أن بولس كان يكرز في المجامع اليهودية، إلا أنه وجد جمهوره في الغالب بين الأمم، وفي أغلب الأحيان بين الأمم الذين ينجذبون إلى الجماعات اليهودية. وكان العديد منهم من الأشخاص الذين انتقلوا من مدنهم الأصلية إلى مدن مترامية الأطراف وغير متجانسة مثل أنطاكية السورية، وأفسس الآسيوية، وكورنثوس اليونانية. إعلان أن اليهود والأمم، العبيد والأحرار، الرجال والنساء، يمكن أن يصبحوا الآن "واحدًا في المسيح" (غلاطية 3: 28)، شكل بولس من الذين عمدهم الجماعات المتماسكة التي أطلق عليها واين ميكس اسم "المسيحيين الحضريين الأوائل" - مجتمعات متنوعة عرقيًا

حيث اختلط التجار والعبيد ومجموعات[1] الرعاة الأثرياء معًا، ملتزمين الآن بمساعدة ودعم بعضهم البعض وهم ينتظرون الوقت الذي سيعود فيه المسيح في المجد.[6] في كتاباته إلى الجماعات المختلفة أثناء سفره، كان بولس يستشهد أحيانًا بـ "قول الرب".[11] ذات مرة استشهد بسلطة يسوع[1] لحظر الطلاق (1 كورنثوس 7: 10)؛ وفي مرة أخرى أوضح كيف أن يسوع أمر أتباعه بتناول الخبز وشرب الخمر بشكل طقسي "لكي يظهروا موت الرب حتى يأتي" (1 كورنثوس 11 :26).

ولكن بولس لم يكن مهتماً بحياة يسوع الأرضية، ولم يكن مهتماً بجمع أقواله. لكن مسيحيين آخرين بدأوا في جمع أقوال يسوع[1] وتدوينها.[7] ويقدم كتاب يعقوب السري، وهو أحد التقاليد العديدة التي انتشرت بعد وفاة يسوع[1]، وصفًا منمقًا لهذه العملية:

> وكان التلاميذ الإثنا عشر يجلسون جميعًا معًا في وقت واحد، ويتذكرون ما قاله المخلص لكل واحد منهم، سواء سرًا أو علانية، ويضعونه في كتب (مخطوطات نجع حمادي 1.27.15).

في الواقع، قام العديد من الناس، وليس فقط "الاثني عشر" المكرسين في التقليد المسيحي، بجمع أقوال يسوع في مجموعات مختلفة. يتفق معظم العلماء على أن مجموعة من أقوال يسوع، المترجمة من الآرامية التي كان يتحدث بها إلى اليونانية، انتشرت على نطاق واسع خلال القرن الأول، على الرغم من أننا لا نملك نسخة فعلية من هذا المصدر. لو قام كل كاتب من كتّاب الأناجيل بترجمة أقوال يسوع بشكل فردي، لكان من المتوقع أن نرى بعض الاختلافات في الطريقة التي عرض بها كل منهم كلماته. لكن الأناجيل المتنوعة مثل إنجيل متى وإنجيل لوقا، بالإضافة إلى إنجيل توما الذي تم قمعه، جميعها تقتبس أقوال يسوع في ترجمة متطابقة. ويشير هذا إلى أنهم اعتمدوا على المصدر المشترك، الذي يسميه العلماء Q (من كلمة *Quelle*، الكلمة الألمانية التي تعني "مصدر").[8] ونحن مدينون لهذا المصدر بالعديد من الأقوال المألوفة، بما في ذلك التطويبات ("طوبى لكم أيها الفقراء؛ لأن لكم ملكوت السماوات...") وما نعرفه من إنجيل متى باسم العظة على الجبل (التي تصبح، في إنجيل لوقا، العظة على السهل). وهناك أقوال أخرى معروفة لنا من خلال قصاصات البردي التي تم العثور عليها محفوظة في مناخات جافة مثل مناخ صعيد مصر. منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى هذا القرن، عثر علماء الآثار العاملون في مصر

على أوراق بردية تحتوي على لمحات من تقاليد المسيح - على سبيل المثال، قصة شفاء المسيح لشخص مصاب بالجذام، أو قصة أخرى عن إحياء المسيح لشاب ميت.[9] وتحتوي أجزاء أخرى من البرديات على أقوال غامضة لم تكن معروفة من قبل:

> قال يسوع: أنا النور الذي فوق الجميع. أنا هو كل شيء. مني خرج كل شيء وإلي يمتد كل شيء. شق قطعة من الخشب، وأنا هناك. "ارفع الحجر فتجدني هناك" (مخطوطات نجع حمادي 11.46.23-38).

ومع انتشار القصص والأقوال والحكايات، انتشرت تفسيرات مختلفة لحياة يسوع[1] وتعاليمه بين الجماعات المسيحية المتنوعة في جميع أنحاء العالم الروماني. إن ما علمه يسوع في الواقع كان في كثير من الأحيان موضوع نزاع مرير، كما نرى من إنجيل مريم المجدلية، وهو إنجيل آخر مبكر.
المصدر، تم اكتشافه في عام 1896 على شظايا البردي في مصر. هذا
النص الرائع، مثل غيره من النصوص غير الكنسية، يصور مريم المجدلية بين التلاميذ - في الواقع، كواحدة من أكثر تلاميذ يسوع المحبوبين، والتي عهد إليها بالتعليم السري.1'1 في المقطع التالي (17: 18-18: 15)، يخاطب بطرس مريم أولاً بطلب.

> "أختي، نحن نعلم أن المخلص أحبك أكثر من باقي النساء. "أخبرينا بأقوال المخلص التي تتذكرنيها، والتي ... لا نعرفها ولم نسمعها." [1]

بعد أن أجابت مريم، كاشفةً لبطرس تعاليم سرية عن الرحلة الروحية للنفس، اعترض أندراوس:

> "قل ما تريد بشأن ما قالته. أنا، على الأقل، لا أصدق أن المخلص قال هذا. فمن المؤكد أن هذه التعاليم هي أفكار غريبة.

ينضم بطرس، متحديًا صدق مريم:

> "هل كان يتكلم مع امرأة حقًا دون علمنا، وفي الخفاء؟ هل علينا جميعا أن نلتفت ونستمع لها؟ هل أحبها أكثر منا؟

احتجت مريم:

> أخي بطرس، ما رأيك؟ هل تعتقد أنني اخترعت هذا في قلبي؟ هل تظن أنني أكذب بشأن الرب؟

Then Levi breaks in to mediate the dispute, saying that “the Sav ior knew her very well, and made her worthy’1 to receive such teachings. وينتهي إنجيل مريم بموافقة التلاميذ على قبول ما تعلموه من مريم، واستعدادهم جميعًا للخروج للتبشير. لكن معظم الجماعات المسيحية، بما في ذلك الجماعة الموجودة في روما والتي تعرفت على بطرس، والذي كان يُصوَّر غالبًا على أنه خصم مريم، رفضت مثل هذه الادعاءات بالوحي الذي جاء من خلال مريم، لأنها لم تكن واحدة من الاثني عشر، ورفضت أيضًا العديد من "الأناجيل" الأخرى المنتشرة على نطاق واسع[1]. وبحلول أواخر القرن الثاني، بدأ بعض قادة الكنيسة في إدانة مثل هذه التعاليم باعتبارها بدعة.

في عام 1945، أدى الاكتشاف الاستثنائي لمكتبة مخفية تضم كتابات مسيحية مبكرة في نجع حمادي إلى توسيع فهمنا للحركة المسيحية المبكرة.[13] ليس هذا هو المكان المناسب لوصف هذا الاكتشاف الذي ناقشته في كتابي ″الأناجيل الغنوصية″؛ ولكن عندما نلقي نظرة على أحد الأناجيل المكتشفة هناك، والذي رفضه معظم قادة الكنيسة الذين عرفوه، يمكننا أن نرى بوضوح أكبر أسباب تفضيلهم أناجيل العهد الجديد. يبدأ إنجيل توما بهذه الكلمات: "هذه هي الكلمات السرية التي تكلم بها يسوع الحي، والتي كتبها التوأم يهوذا توما". فهل كان ليسوع أخ توأم كما يشير هذا النص؟ هل يمكن أن يكون هذا سجلاً أصيلاً لأقوال يسوع؟ بحسب مدّه، كان النص يحتوي على إنجيل توما. ومع ذلك، وعلى عكس أناجيل العهد الجديد، فإن هذا النص يعتبر نفسه إنجيلًا سريًا. لقد احتوى على العديد من الأقوال التي تتطابق مع تلك الموجودة في العهد الجديد، وخاصة الأقوال من مصدر Q؛ إلا أن البعض الآخر كان مختلفًا بشكل لافت للنظر - أقوال غريبة ومقنعة مثل كوان الزن:

> قال يسوع: "إذا أخرجت ما في داخلك، فإن ما تخرجه هو الذي يخلصك". "إذا لم تُخرج ما في داخلك، فإن ما لا تُخرجه سوف يُدمرك" (مخطوطات نجع حمادي 11.45.29-33).

على الرغم من أن النص الكامل لإنجيل توما، المكتوب باللغة القبطية، يعود تاريخه على الأرجح إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادي، فمن المرجح أن النص الأصلي قد كتب باللغة اليونانية، وربما قبل ذلك بكثير.[12] وقد زعم عالم العهد الجديد هيلموت كوستر أن إنجيل توما يحتوي على مجموعة من الأقوال التي تسبق أناجيل العهد الجديد.[13] وإذا كان أقدم أناجيل العهد الجديد، إنجيل مرقس، يعود تاريخه إلى حوالي عام 70 ميلادي، فإن إنجيل توما، كما يزعم، قد يعود تاريخه إلى جيل سابق. على الرغم من أن العديد من العلماء يشككون في تأريخ كويستر لإنجيل توما، فإن هذا الإنجيل، الذي تم اكتشافه منذ أقل من خمسين عامًا، يشبه في بعض النواحي نوع المصدر الذي استخدمه مؤلفو إنجيلي متى ولوقا عندما كتبوا أناجيلهم الخاصة.

لماذا تم إخفاء هذا الإنجيل، إلى جانب العديد من الأناجيل الأخرى التي ظلت مجهولة تقريبًا لمدة تقرب من ألفي عام؟ كانت هذه الكتب في الأصل جزءًا من المكتبة المقدسة لأقدم دير في مصر، وقد دُفنت، على ما يبدو، حوالي عام 370 ميلادية، بعد أن أمر رئيس أساقفة الإسكندرية المسيحيين في جميع أنحاء مصر بحظر مثل هذه الكتب باعتبارها بدعة وطالب بتدميرها. قبل مائتي عام، تعرضت مثل هذه الأعمال لهجوم من قبل أسقف أرثوذكسي متحمس[7] آخر، وهو إيرينيئوس الليروني. كان إيرينيئوس هو الأول، على حد علمنا، في تحديد الأناجيل الأربعة في العهد الجديد باعتبارها قانونية، واستبعاد كل ما تبقى. كان إيرينيئوس منزعجًا من انتشار العشرات من الأناجيل بين المسيحيين في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك جماعته المهاجرة الناطقة باليونانية التي تعيش في بلاد الغال،

يُدان بالهرطقة أولئك الذين "يتباهون بأن لديهم أناجيل أكثر

مما هو موجود في الواقع، ... لكن في الحقيقة، ليس لديهم أناجيل

خالية من التجديف". [14] أصر إيرينيئوس على أن الأناجيل الأربعة فقط في العهد الجديد هي الأصيلة.ما كان منطقه؟ أعلن إيرينيئوس أنه كما أن هناك أربع رياح رئيسية، وأربع زوايا للكون، وأربعة أعمدة تحمل السماء، كذلك لا يمكن أن يكون هناك سوى أربعة أناجيل. وأضاف أن أناجيل العهد الجديد فقط هي التي كتبها تلاميذ يسوع أنفسهم (متى ويوحنا) أو أتباعهم (مرقس تلميذ بطرس، ولوقا تلميذ بولس).

يتفق عدد أقل من علماء العهد الجديد اليوم مع إيرينيئوس.

على الرغم من أن أناجيل العهد الجديد - مثل تلك التي تم

اكتشافها في نجع حمادي - تُنسب إلى أتباع المسيح، فلا أحد يعرف من كتب أيًا منها على وجه التحديد؛ وعلاوة على ذلك، فإن ما نعرفه عن تأريخها يجعل الافتراضات التقليدية، في جميع الحالات، غير محتملة إلى حد كبير. ومع ذلك، تُذكّرنا تصريحات إيرينيئوس بأن مجموعة الكتب التي نسميها العهد الجديد تشكّلت في وقت متأخر يعود إلى عامي 180 و 200 ميلادي. وقبل ذلك الوقت، انتشرت أناجيل كثيرة في المجتمعات المسيحية المنتشرة من آسيا الصغرى إلى اليونان وروما وبلاد الغال وإسبانيا وأفريقيا. ومع ذلك، بحلول أواخر القرن الثاني، رفض أساقفة الكنيسة الذين أطلقوا على أنفسهم اسم الأرثوذكس كل الأناجيل باستثناء الأناجيل الأربعة القانونية، وأدانوا بقية الأناجيل، على حد تعبير إيرينيئوس، باعتبارها هاوية من الجنون والتجديف ضد المسيح. 1" أراد إيرينيئوس توحيد الجماعات المسيحية المهددة بالاضطهاد في جميع أنحاء العالم. لقد ساعدت الأناجيل التي أيدها في تأسيس الحركة المسيحية. إن أولئك الذين ندد بهم باعتبارهم بدعة لم يخدموا أغراض المؤسسة. وعلى العكس من ذلك، حثّت بعضها الناس على السعي إلى الوصول المباشر إلى الله، دون وساطة الكنيسة أو رجال الدين.

يزعم إنجيل توما، كما ذكرنا آنفًا، أنه يقدم تعليمًا سريًا - تعليمًا مختلفًا تمامًا عن تعليم مرقس، ومتى، ولوقا، ويوحنا. على سبيل المثال، بحسب مرقس، يظهر يسوع أولاً وهو يعلن أن "الوقت قريب، ومملكة الله تقترب". "توبوا وآمنوا بالإنجيل" (1: 15). بحسب مرقس، فإن العالم على وشك أن يخضع لتحول كارثي: يتنبأ يسوع بالصراعات والحرب والصراع والمعاناة، تليها حدث يحطم العالم - مجيء ملكوت الله (13: 1-37).

ولكن في إنجيل توما فإن "ملكوت الله" ليس حدثًا متوقعًا حدوثه في التاريخ، ولا هو "مكان". ويبدو أن مؤلف إنجيل توما يسخر من مثل هذه الآراء:

> قال يسوع: "إذا قالوا لكم الذين يقودونكم: يا رب، الملكوت في السماء، فإن طيور السماء تسبقكم. "فإذا قالوا لكم: هو في البحر، فإن الحوت يسبقكم" (مخطوطات نجع حمادي 24-11.32.19).

هنا تمثل المملكة حالة من اكتشاف الذات:

"بل إن الملكوت في داخلك وهو خارجك." "عندما تعرفون أنفسكم، ستصبحون معروفين، وستدركون أنكم أنتم أبناء الآب الحي" (مخطوطات نجع حمادي II.32.25-33.5).

لكن التلاميذ، الذين أخطأوا في اعتبار تلك المملكة حدثًا مستقبليًا، أصرّوا على التساؤل الساذج:

متى.... سيأتي العالم الجديد؟ فقال لهم يسوع: «إن ما تنتظرونه قد أتى ولكنكم لا تعرفونه» (مخطوطات نجع حمادي 11.42.10-12).

وبحسب إنجيل توما، فإن ملكوت الله يرمز إلى حالة من الوعي المتغير. يدخل الإنسان إلى تلك المملكة عندما يصل إلى معرفة الذات. يعلّمنا إنجيل توما أنه عندما يعرف الإنسان نفسه، على المستوى الأعمق، فإنه في نفس الوقت يعرف الله كمصدر لوجوده.
وإذا سألنا: من هو يسوع؟ فإن إنجيل توما يعطينا جوابًا

مختلفا عن الجواب الموجود في أناجيل العهد الجديد. على سبيل المثال، يصور مرقس يسوع ككائن فريد من نوعه ـ المسيح، الملك المعين من قبل الله. وبحسب مرقس، فإن بطرس هو الذي اكتشف سر هوية يسوع:

"وكان يسوع يذهب مع تلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس، وفي الطريق سأل تلاميذه: من يقول الناس إني أنا؟ فقالوا له: يوحنا المعمدان، وآخرون إيليا، وآخرون واحد من الأنبياء. فسألهم: «ولكن من تقول أني أنا؟» أجابه بطرس: «أنت المسيح» (8: 27-29).

ولكن إنجيل توما يروي نفس القصة بطريقة مختلفة:

قال يسوع لتلاميذه: «قارنوني بأحد، وأخبروني من أشبه». فقال له سمعان بطرس: أنت تشبه رسولاً باراً. فقال له متى: أنت مثل فيلسوف حكيم. فقال له توما: يا معلم، إن فمي عاجز

تمامًا عن أن يقول من تشبه؟* (مخطوطات نجع حمادي 35.3-11.34.30).

يفسر مؤلف إنجيل توما هنا، للقراء الناطقين باللغة اليونانية، ادعاء متى بأن يسوع كان معلمًا حاخاميًا ("فيلسوفًا حكيمًا")، وقناعة بطرس بأن يسوع هو المسيح ("الرسول البار"). لا ينكر يسوع هذه الأدوار، على الأقل في ما يتعلق بمتى وبطرس. ولكن بحسب توما، فإنهم هنا - وإجاباتهم - يمثلون مستوى أدنى من الفهم. توما، الذي يدرك أنه لا يستطيع أن يخصص دورًا محددًا ليسوع، يتجاوز في تلك اللحظة علاقة التلميذ بمعلمه. يعلن يسوع أن توما أصبح مثله:

"أنا لست سيدك، لأنك شربت، وأصبحت سكرانًا من النهر المتدفق الذي قسته..." "مَنْ يَشْرَبُ مِنْ فَمِي يَصِيرُ كَمَا أَنَا، وَأَنَا أُصِيرُ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ، وَتَكْشَفُ لَهُ الأُمُورُ الْمَخْفِيَةُ" (مخطوطات نجع حمادي II.35.4-7؛ 50:27-30).

يؤكد إنجيل يوحنا في العهد الجديد على تفرد يسوع بشكل أقوى مما يفعله مرقس. بحسب يوحنا، ليس يسوع مجرد إنسان، بل هو كلمة الله الإلهية الأبدية، "الابن الوحيد" لله، الذي ينزل إلى الأرض في صورة بشرية لإنقاذ الجنس البشري من الهلاك الأبدي:

"لقد أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية..." كل من يؤمن به لا يدان، ولكن كل من لا يؤمن به قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد (3: 16-18).

ولكن كما رأينا، يقدم توما رسالة مختلفة تمامًا. بعيدًا عن اعتبار نفسه الابن الوحيد لله، يقول يسوع لتلاميذه: "عندما تعرفون أنفسكم" (وتكتشفون الإلهي في داخلكم)، عندها "ستتعرفون على الله".

أنكم أنتم أبناء الآب الحي1، تمامًا مثل يسوع. إن إنجيل فيليب يطرح نفس النقطة بشكل أكثر إيجازًا: يجب على المرء أن "لا يصبح مسيحيًا، بل المسيح". وأعتقد أن هذا هو المعنى الرمزي الذي يسنده إنجيل توما إلى يسوع "أخي". في الواقع، "أنت، أيها القارئ، الأخ التوأم للمسيح" عندما تدرك الإلهي بداخلك. ثم سترى، كما فعل توما، أنك ويسوع، إذا جاز التعبير، توامان متماثلان.

من يسعى إلى أن "لا يصبح مسيحيًا، بل المسيح" لم

يعد ينظر إلى يسوع فقط - وبعد ذلك إلى كنيسته وقادتها - كما يفعل معظم المؤمنين، كمصدر لكل الحقيقة. وهكذا، بينما يعلن يسوع في إنجيل يوحنا: "أنا الباب، من يدخل من خلالي يخلص"، فإن تعليم سيوانس يشير إلى اتجاه مختلف:

> أطرق على نفسك كما على باب، وامش على نفسك كما على طريق مستقيم. لأنه إذا مشيت على هذا الطريق، فمن المستحيل عليك أن تضل الطريق... افتح الباب لنفسك، لكي تعرف ما هو. . . . . مهما فتحت لنفسك، سوف تفتح (مخطوطات نجع حمادي .VII .(106.30-35; 117.5-20

لماذا رفضت أغلب الكنائس المسيحية المبكرة كتابات مثل كتاب توما وقبلت روايات أخرى، ربما لاحقة، مثل إنجيل متى، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا؟ إن رسالة توما موجهة إلى الأشخاص المنخرطين في التحول الروحي، ولكنها لا تجيب على الأسئلة العملية للعديد من المتحولين المحتملين الذين عاشوا في المجتمعات اليهودية المنتشرة في جميع أنحاء مدن فلسطين والمقاطعات الإمبراطورية أو بالقرب منها. كان من المحتمل أن يسأل المتحولون أسئلة مثل هذه: هل تريد منا أن نصوم؟ كيف نصلي؟ هل نتصدق؟ ما هو النظام الغذائي الذي يجب أن نتبعه؟ باختصار، هل يجب على المؤمنين أن يتبعوا الممارسات اليهودية التقليدية أم لا؟ وفقًا لإنجيل توما، عندما سأل التلاميذ "يسوع الحي" هذه الأسئلة بالذات، رفض أن يقدم لهم توجيهات محددة، وأجاب فقط:

> "لا تكذب، ولا تفعل ما تكره، لأن كل شيء ظاهر أمام السماء" (مخطوطات نجع حمادي 11.33.18-21).

هذه الإجابة الغامضة تترك كل شخص لضميره الخاص؛ فمن غيره يعرف متى يكذب، ومن غيره يعرف ما يكره؟ ورغم أن مثل هذه الإجابة قد تكون عميقة، فإنها لا تقدم أي إرشادات برمجية للتعليم الجماعي، ناهيك عن تشكيل مؤسسة دينية. وعلى النقيض من ذلك، فإن الأناجيل المدرجة في العهد الجديد تقدم مثل هذه المبادئ التوجيهية. وفقًا لما جاء في إنجيل متى ولوقا، على سبيل المثال، يجيب يسوع على كلٍّ من هذه الأسئلة بسلطانٍ وتحديد:

"وعندما تصلون فقولوا: أبانا الذي في السموات، . عندما تصوم، اغسل وجهك... "وإذا تصدّقتم فافعلوا ذلك في الخفاء" (6: 2-12).

أما بالنسبة لقوانين الكوشير، فيقول مرقس أن يسوع "أعلن أن كل الأطعمة طاهرة".

وعلاوة على ذلك، في حين يقول توما إن العثور على ملكوت الله يتطلب الخضوع لعملية منفردة من اكتشاف الذات، فإن أناجيل العهد الجديد تقدم رسالة أبسط بكثير: لا يصل الإنسان إلى الله من خلال المعرفة الروحية للذات، ولكن من خلال الإيمان بيسوع المسيح. الآن وقد أرسل الله الخلاص من خلال المسيح، توبوا؛ واقبلوا المعمودية ومغفرة الخطايا؛ وانضموا إلى شعب الله واستقبلوا الخلاص.

وأخيرًا، بينما يبارك توما "المنفردين والمختارين"

(توما 34: 29) ويخاطب الباحث الوحيد، أو على الأكثر دائرة داخلية مختارة، يجمع مرقس وخلفاؤه العديد من عناصر تقاليد يسوع السابقة - قصص المعجزات، والتعاليم، وقصص الجدل، جنبًا إلى جنب مع سرد لآلام يسوع - لإظهار يسوع وتلاميذه في سياق اجتماعي، يتنافسون في أوقات مختلفة مع القادة اليهود، مع الحشود، الودية والمعادية، ومع السلطات الحاكمة، اليهودية والرومانية. في هذه العملية، يقدم مرقس وخلفاؤه نماذج اجتماعية يحدد من خلالها أتباع يسوع أنفسهم كمجموعة - غالبًا ما تكون مجموعة ناقصة ومهددة، كما يصفونها، ولكنها تدعي أنها شعب الله، وتواصل عمل يسوع في الشفاء، وطرد الشياطين، وإعلان مجيء ملكوت الله.

ويقدم كاتب إنجيل مرقس نموذجًا أوليًا لحياة الجماعة المسيحية. إن الأناجيل التي تبناها غالبية المسيحيين جميعها تتبع، إلى حد ما، مثال

مرقس. لقد وجدت الأجيال المتعاقبة في أناجيل العهد الجديد ما لم تجده في العديد من العناصر الأخرى من تقاليد يسوع المبكرة - تصميم عملي للمجتمعات المسيحية.

الكاتب الذي يطلق عليه التقليد اسم متى يحدّث مرقس لمعالجة الظروف التي واجهها في العقود التي تلت الحرب مباشرة. يعتقد كثير من العلماء أن متى عاش خارج فلسطين، ربما في أنطاكية، عاصمة سوريا؛ وكتب وكأنه كان جزءًا من ذلك المجتمع اليهودي المزدهر؛ الذي، مثل كل المجتمعات اليهودية، شهد اضطرابات شديدة في أعقاب الحرب.[16]

وفي القدس كان الهيكل في حالة خراب، وكان فسبازيان قد أنشأ حامية رومانية دائمة هناك. قام الجنود والمدنيون الرومان ببناء مستوطنة تضم أضرحة وثنية بالإضافة إلى حمامات رومانية ومتاجر وغيرها من وسائل الراحة في الحياة الرومانية. كما عاقب فسبازيان اليهود في جميع أنحاء الإمبراطورية بسبب الحرب من خلال تخصيص الضريبة التي دفعها اليهود سابقًا لدعم معبدهم لخزانة الرومان. ومع تدمير الهيكل، فقد رئيس الكهنة، الذي كان في السابق المتحدث الرئيسي باسم الشعب اليهودي، منصبه، إلى جانب جميع حلفائه الكهنة. كما فقد السنهدرين، الذي كان في السابق المجلس اليهودي الأعلى، سلطته.

لقد أدت الحرب إلى تغيير طبيعة القيادة اليهودية في أورشليم وفي المجتمعات اليهودية في كل مكان بشكل دائم. ومع ذلك، حتى أثناء الحرب، كان بعض اليهود والرومان قد بدأوا بالفعل في إعداد قيادة بديلة لتحل محل الكهنة والسنهدرين بعد الحرب. عندما حاصر الرومان الهيكل في مارس 68 م، هرب المعلم اليهودي يوحنان بن زكاي من أورشليم ولجأ إلى معسكر روماني. هناك، متوقعًا انتصار الرومان، طلب من فسبازيان الإذن بتأسيس أكاديمية للمعلمين اليهود في جامنيا، وهي مدينة استعادها الرومان بالفعل. كان فسبازيان ومستشاروه يتوقعون على ما يبدو أن اليهود سيستأنفون الحكم الذاتي الداخلي بعد الحرب، لذا منحوا يوحنان مهمة إنشاء هذه المدرسة كسلطة يهودية شرعية. وفقًا للمؤرخة ماري سمولوود،

> كان هروب الحاخام يوحنان، الذي كان في الواقع عملاً من أعمال الخيانة، بمثابة الخلاص الروحي لليهود عندما حلت المدرسة الحاخامية التي أسسها محل السنهدرين... وحل رئيسها،

الناسي، أو البطريرك، محل رئيس الكهنة كزعيم ومتحدث باسم اليهود، دينيًا وسياسيًا.[17]

وقد تم الآن إزاحة سلالة الكهنة العليا وحلفائها الأرستقراطيين في السنهدرين، إلى جانب الكتبة الصدوقيين المرتبطين بالمعبد السابق. وقد تولت مجموعة متنامية من المعلمين، معظمهم من الفريسيين، وكثير منهم من التجار الذين يعتمدون على أنفسهم (مثل بولس، صانع الخيام، الذي كان فريسيًا)، أدوارًا قيادية، فوسعوا سلطتهم في جميع أنحاء يهودا، وفي نهاية المطاف في المجتمعات اليهودية في جميع أنحاء العالم. وهكذا بدأت الحركة الحاخامية، التي أصبحت مهيمنة بشكل متزايد في حياة المجتمع اليهودي.[18]

عندما أعلن متى رسالة يسوع المسيح

في عام 80 ميلادية، وجد نفسه في منافسة في المقام الأول مع هؤلاء المعلمين والحاخامات الفريسيين، الذين نجحوا في ترسيخ أنفسهم في جميع أنحاء العالم اليهودي كمترجمين موثوقين للتوراة. أراد الفريسيون أن يضعوا التوراة في مركز الحياة اليهودية كبديل للهيكل المدمر. كان هدفهم هو تعليم تفسير عملي للشريعة اليهودية من شأنه أن يحافظ على الجماعات اليهودية في جميع أنحاء العالم كشعب منفصل ومقدس، ورأى متى أن الفريسيين هم المنافسين الرئيسيين لتعاليمه الخاصة عن يسوع" وقرر تقديم يسوع ورسالته بعبارات مفهومة للفريسيين وأتباعهم الكثيرين - ليس فقط كمسيح الله، ولكن أيضًا باعتباره الشخص الذي يجسد تعليمه ويحقق البر الحقيقي الذي تم تعليمه سابقًا في "الناموس والأنبياء".

وكما سنرى، يصر متى على أن يسوع يقدم تفسيراً عالمياً للتوراة ("أحب الله وقريبك"؛ "افعل للآخرين ما تريد أن يفعلوه لك") دون التخلي عن "نقطة أو ذرة" من الشريعة الإلهية. ولكن لأن يسوع في إنجيل متى يفسر التوراة بحيث يتمكن غير اليهود من الوفاء به كما يفعل اليهود، فإن إنجيل متى يشجع الناس في الواقع على التخلي عن الهوية العرقية التقليدية مع إسرائيل. كان هذا موقفًا متطرفًا اعتبره معظم اليهود لعنة، وأعلنوا ذلك صراحةً. في إنجيل متى، يهاجم يسوع الفريسيين مرارًا وتكرارًا باعتبارهم "منافقين" مهووسين باللوائح التافهة بينما يتجاهلون "العدالة والحق".

"الرحمة والإيمان" - هجمات تسخر من اهتمام الحاخامات بالحفاظ على سلامة إسرائيل من خلال السلوك الملتزم. وهكذا يشارك متى في جدل مرير يشكل محوراً أساسياً للهوية اليهودية ـ وما سيصبح لاحقاً الهوية المسيحية.[20]

عند كتابة إنجيله، كان متى مهتمًا بدحض الشائعات القديمة المزعجة حول يسوع ـ على سبيل المثال، أن ميلاده كان غير شرعي، وهو ما من شأنه أن يخجله ويستبعده كمرشح مناسب لمسيح إسرائيل. علاوة على ذلك، كان معروفًا أن يسوع جاء من الناصرة في الجليل، ومن عائلة عادية ـ وليس من سلالة داود الملكية التي تأسست في بيت لحم، كما يليق بملك إسرائيل. ولعل الأكثر خطورة هو الاتهام الموجه إلى يسوع، بحسب مرقس، بإهمال أو حتى انتهاك مراعاة قوانين السبت والكوشير.

لقد كان متى، مثل أسلافه في الحركة المسيحية، منزعجًا من مثل هذه الانتقادات. ولكن أثناء بحثه في الكتاب المقدس، تأثر مراراً وتكراراً بمقاطع من الكتاب المقدس، وخاصة بين كتابات الأنبياء وبين المزامير، والتي كان يعتقد أنها تلقي الضوء على الأحداث المحيطة بحياة يسوع. على سبيل المثال، في معارضة الشائعة التي تقول إن يسوع ولد غير شرعي، وجد متى وأسلافه تبريرًا لإيمانهم بيسوع في إشعياء 7: 14. هناك يعد الرب بإعطاء إسرائيل "علامة" على مجيء خلاص الله. ويبدو أن متى كان يعرف الكتاب المقدس العبري بترجمته اليونانية، حيث كان يقرأ ما يلي:

> "ويعطيكم الرب نفسه آية: ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل، أي الله معنا" (إشعياء 7: 14).

في النص العبري الأصلي، كان النص يقول "فتاة" *(أبنة)* والتي تصف على ما يبدو ولادة عادية. ولكن ترجمة كلمة *"أبنة"* إلى الكلمة اليونانية *"بارثينوس"* ("عذراء")، كما قرأ العديد من أتباع يسوع النص، أكدت قناعتهم بأن ميلاد يسوع، الذي سخر منه غير المؤمنين باعتباره قذرًا، كان في الواقع "علامة" معجزية. [21] وهكذا يراجع متى قصة مرقس قائلاً إن الروح القدس نزل على يسوع ليس عند معموديته بل في لحظة الحمل. فيقول متى أن أم يسوع

"وجدت طفلاً في بطنها من الروح القدس" (1: 18)؛ ويشرح ملاك الله ليوسف أن الطفل "حُبل به من الروح القدس". يقول متى إن ميلاد يسوع لم يكن فضيحة، بل كان معجزة - معجزة تحقق بدقة نبوءة إشعياء القديمة.

ولإثبات أن يسوع، على الرغم من مولده المتواضع، كان يمتلك مؤهلات مسيانية، وضع متى سلسلة نسب ملكية ليسوع، متتبعًا نسبه إلى إبراهيم عن طريق الملك داود (يفعل لوقا الشيء نفسه، ويعمل بشكل مستقل على ما يبدو، لأن سلسلة نسب لوقا تختلف عن سلسلة نسب متى؛ قارن متى 1: 1-17 مع لوقا 3: 23-38).

يروي متى قصة مفصلة لشرح سبب الاعتقاد بأن يسوع، سليل الملوك، ينتمي إلى عائلة غامضة في مدينة الناصرة في الجليل، وليس إلى سلالة ملكية مقرها في بيت لحم. يصر متى على أن ميلاد يسوع المعجزي هز القوى الحاكمة في أورشليم، سواء كانت دنيوية أو دينية. عندما سمع الملك هيرودس، الذي دعمه الرومان كملك تابع لليهود، بظهور نجم جديد ينبئ بميلاد ملكي، يقول متى: "اضطرب هو وجميع أورشليم معه" (2: 3). في محاولته الأولى للعثور على يسوع وتدميره، أحبط هيرودس "غضب بشدة، فأرسل فقتل جميع الأطفال الذكور في بيت لحم وفي كل تلك التخوم من ابن سنتين فما دون" (2: 16). لقد حذر الملاك والد يسوع فأخذ الطفل وأمه وهرب إلى مصر. ويقول متى إنهم عادوا بعد موت هيرودس، ولكن والد يسوع، إذ كان يعلم أن ابن هيرودس لا يزال يحكم اليهودية، اختار حماية يسوع من خلال أخذ عائلته للعيش متخفية في قرية الناصرة. وهكذا يشرح متى كيف ارتبط يسوع بهذه المدينة الجليلية الغامضة، بدلاً من بيت لحم، التي كانت مسقط رأسه الفعلي، وفقًا لمتى.

وبما أنه لا يوجد سجل تاريخي يذكر مذبحة جماعية للأطفال الرضع ضمن جرائم هيرودس، فإن العديد من علماء العهد الجديد يعتبرون قصة "مذبحة الأبرياء"، مثل "الهروب إلى مصر"، بمثابة انعكاس لقناعة متى المبرمجة بأن حياة يسوع يجب أن تلخص تاريخ إسرائيل بأكمله. وبحسب هؤلاء العلماء، فإن متى لم يكن مهتمًا بتقديم معلومات عن السيرة الذاتية بقدر ما كان مهتمًا بإظهار الصلة بين يسوع،

و موسى وخروج بني إسرائيل من مصر. وكما نجا موسى، وهو طفل حديث الولادة، من غضب فرعون مصر الشديد، الذي أمر بذبح جماعي للأطفال الذكور العبرانيين، فإن يسوع، كما يقول متى، نجا من غضب الملك هيرودس. وكما خلص الله إسرائيل من مصر، فإنه الآن، كما يدعي متى، خلص يسوع. يفعل متى هنا ما يفعله في جميع أنحاء إنجيله؛ فهو يأخذ كلمات من الكتابات النبوية (هنا كلمات من النبي هوشع)، والتي يُفهم عمومًا أنها تنطبق على أمة إسرائيل ("من مصر دعوت ابني")، ويطبقها على يسوع الناصري، الذي يراه ذروة تاريخ إسرائيل.[22]

وقد لاحظ العديد من العلماء هذه التشابهات بين يسوع وموسى وإسرائيل. ولكن لا أحد، على حد علمي، لاحظ أن متى يعكس الأدوار التقليدية، ويلقي بالملك اليهودي، هيرودس، في دور الشرير المخصص تقليديا لفرعون. ومن خلال هذه الحيلة، يحول أعداء إسرائيل الأجانب إلى أعداء حميمين، كما يراهم متى. يذكر متى بين أعداء يسوع رؤساء الكهنة والكتبة بالإضافة إلى جميع سكان أورشليم الآخرين، لأن متى يقول إن هيرودس لم يكن وحده "مضطربًا" عندما سمع بميلاد يسوع، بل كانت "أورشليم كلها معه" أيضًا (2: 3). لا شك أن متى يقصد أن يقيم المقارنة بين هيرودس، الذي ينتمي إلى أدوم من حيث الخلفية، وبالتالي إلى سلالة مشبوهة؛ وبين يسوع، الذي يعلن متى عن نسبه الشرعي إلى سلالة داود (والملكي). والآن أصبح هيرودس، وليس فرعون، هو الذي أمر بلا رحمة بقتل الأطفال الذكور اليهود بشكل جماعي. بحسب إنجيل متى، ما إن وُلد يسوع حتى اجتمع "رؤساء الكهنة وكتبة الشعب"، متحدين على ما يبدو وراء محاولة هيرودس "البحث عن الطفل وقتله" (2: 13). إن رواية متى لميلاد يسوع ليست قصة خيالية لعيد الميلاد، بل إنها تنبئ بالأحداث الرهيبة التي وقعت أثناء صلبه.

وبينما يسند متى الدور التقليدي لهيرودس فرعون، فإنه في الوقت نفسه يعكس الجغرافيا الرمزية لإسرائيل* مصر، التي كانت تقليديا أرض العبودية، وتصبح ملاذا ليسوع وعائلته - مكان ملجأ وخلاص من المذبحة التي أمر بها الملك اليهودي. إن هذا الانقلاب في الصور صادم تقريبًا مثل ذلك الموجود في سفر الرؤيا، الذي يشير

إلى أورشليم باعتبارها المكان "الذي يُدعى مجازيًا سدوم ومصر، حيث صُلب ربنا" (11: 8). وفي وقت لاحق، يطلب متى من يسوع أن يقارن بشكل إيجابي بين صور وصيدا، وحتى سدوم، والمدن المحلية بيت صيدا، وكورزين، وكفرناحوم (11: 20-24).

في جميع أنحاء إنجيله، يدعم متى هذا التحول بين الأعداء الغرباء والأعداء المقربين. بعد عظته على الجبل مباشرة، شفى يسوع رجلاً أبرصاً طرد من إسرائيل، ثم أجرى عملية شفاء لقائد المئة الروماني الذي اعترف بالقوة الإلهية ليسوع وطلب منه أن يستخدمها من أجله. عندما اندهش يسوع لسماعه ضابطًا رومانيًا يعبر عن إيمان "أعظم من أي إيمان وجده في إسرائيل"، أعلن على الفور: "أقول لكم: سيأتي كثيرون من المشرق والمغرب ويجلسون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت الله، بينما يُطرح أبناء الملكوت في الظلمة الخارجية؛ هناك يبكون ويصرّون بأسنانهم" (8: 11-12).

من بداية إنجيله إلى نهايته، يتهم متى قادة إسرائيل الحاليين بينما يقوم بحملة لصالح يسوع - مسيح إسرائيل - وأولئك الذين يعينهم الملك الجديد بنفسه. ولم يكن هيرودس أدوميًا فحسب، بل إن عائلته كانت تعيش حياة وثنية سيئة السمعة، على الرغم من مهنهم الدينية. لقد تم قطع رأس يوحنا المعمدان لأنه أعلن علناً أن هيرودس تزوج من أخت زوجته السابقة وبالتالي عاش في انتهاك علني للشريعة اليهودية. يريد متى أن يظهر ليس فقط أن يسوع كان الملك الشرعي لإسرائيل، وليس المغتصبين غير المستحقين مثل هيرودس، بل أيضًا أنه كان المعلم المعين من قبل الله للبر، والمقدر له، كما يدعي متى، أن يحل محل الفريسيين، الذين شغلوا هذا الدور في نظر العديد من معاصريه. متى، الذي عارض مع رفاقه المسيحيين "الحزب المنافس" من الفريسيين، يطرح إنجيله في المقام الأول كجدال بين يسوع والفريسيين، حيث لا يكون الطرفان المتعارضان متكافئين على قدم المساواة. إن الفريسيين يحظون بالاحترام والتكريم على نطاق واسع، ويقبلهم الناس كسلطات دينية؛ أما أتباع يسوع فهم أقلية مشبوهة؛ يتم تشويه سمعتهم واضطهادهم.

في مرقس، يتصارع يسوع مع الشيطان بصمت في البرية. لكن متى يستعير أقوالاً من المصدر "Q" ويظهر الشيطان يظهر ثلاث مرات "لاختبار" يسوع، كما سيختبره الفريسيون

وغيرهم من المعارضين. هنا يحول المصدر "Q" الشيطان إلى صورة كاريكاتورية للكاتب، وهو مناظر ماهر في التحدي اللفظي وماهر في اقتباس الكتاب المقدس لأغراض شيطانية، والذي يشكك مرارًا وتكرارًا في السلطة الإلهية ليسوع ("إن كنت ابن الله...") .). بعد أن فشل مرتين في إقناع يسوع بإجراء معجزة لإثبات قوته الإلهية وسلطانه، عرض عليه الشيطان أخيرًا "كل ممالك هذا العالم ومجدها"، والتي يدعي الشيطان أنها ملكه. وهكذا، فإن متى، على غرار مرقس، يشير إلى أن النجاح السياسي والسلطة (مثل تلك التي يتمتع بها الفريسيون تحت الرعاية الرومانية) قد يدل على عقد ميثاق مع الشيطان ــ وليس، كما افترض العديد من معاصري متى، علامات على النعمة الإلهية.

ثم يهاجم متى الفريسيين في المسألة

التي تهمهم أكثر من غيرها، وهي تفسير التوراة. ولتصحيح الانطباع بأن يسوع تجاهل ببساطة الاهتمام اليهودي التقليدي بالطاعة الصالحة للتوراة - وهو الانطباع الذي يمكن لأي قارئ أن يحصل عليه من مرقس - فإن إنجيل متى يجعل يسوع يجسد كل ما هو أفضل وأصدق في التقاليد اليهودية. يبدأ مرقس إنجيله بوصف الشفاءات وطرد الأرواح الشريرة، لكن متى يبدأ بإظهار يسوع وهو يعلن تفسيرًا جديدًا للشريعة الإلهية. مثل موسى الذي صعد جبل سيناء لتلقي ونشر شريعة الله، صعد يسوع إلى الجبل، حيث أعلن ما نعرفه باسم عظة الجبل. في محاولته مهاجمة الفريسيين وأولئك الذين أعجبوا بتفسيرهم للتوراة، أصر متى على أن يسوع لم يرفض التوراة. وبدلاً من ذلك، يقول متى، يعلن يسوع معناه الأساسي:

> "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس والأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل" (5: 17).

ثم يحذر يسوع قائلاً: "إن لم يزد بركم على بر الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السماوات" (5: 20). وهكذا يدافع متى عن يسوع ضد اتهامات التراخي في حفظ السبت والطعام الكوشير، مؤكداً أنه يمارس براً أعظم، وليس براً أقل. وفقًا لما جاء في إنجيل متى 5 و 6، يطالب يسوع بزيادة هائلة في التدين الورع: فالتوراة التقليدية ليست صارمة بما فيه الكفاية

بالنسبة له! حيث تحرم شريعة موسى القتل، فإن "التوراة الجديدة" التي جاء بها يسوع تحرم الغضب والإهانات والشتائم؛ حيث يحرم شريعة موسى الزنا، فإن شريعة يسوع تحرم الشهوة. لقد تم صياغة جزء كبير من الشريعة الموسوية بعبارات سلبية ("لا يجوز لك ...") . ويعيد يسوع تفسيرها بشكل إيجابي:

> "كل ما تريدون أن يفعله الناس بكم افعلوا هكذا أنتم بهم، لأن هذا هو الناموس والأنبياء" (7: 12).

وفي الوقت نفسه، يصر متى على أن منتقدي يسوع، "الكتبة والفريسيين"، يستخدمون مجرد "المراقبة" المنافقة كغطاء لانتهاك ما يعلنه يسوع هنا بأنه الوصايا الأساسية للتوراة بشأن محبة الله والقريب (6: 1-18).

وكما رأينا، فإن متى يختلف عن مرقس في جعل الفريسيين أعداء يسوع الرئيسيين.[23] فبالنسبة لمرقس، كان كتبة أورشليم هم الذين غضبوا من تأثير يسوع القوي على الحشد واتهموه بمس الشيطان؛ ولكن متى يغير القصة ليقول إن الفريسيين اتهموا يسوع بأنه "يطرد الشياطين برئيس الشياطين" (12: 24). في حين يقول مرقس أن الفريسيين والهيروديين هم أول من خططوا لقتل يسوع، يقول متى أن الفريسيين فقط "ذهبوا وتشاوروا كيف يهلكوه" (12: 14). حتى أن إنجيل متى يجعل الفريسيين يكررون التهمة بأن يسوع "ممسوس ببعلزبول" (12: 24)؛ لكن يسوع ينكر هذه التهمة بشدة ويقول: "إن كنت أنا بروح الله أخرج شياطيننا فقد أقبل عليكم ملكوت الله" (12: 28). يعلن يسوع في إنجيل متى أن هذا الصراع الخارق للطبيعة قد قسم شعب الله الآن إلى مجتمعين منفصلين ومتعارضين: "من ليس معي فهو ضدي، ومن لا يجمع معي فهو يفرق" (12: 30).

لقد شعر يسوع بالحزن لأن شعب إسرائيل "مضطهد وعاجز، مثل غنم بلا راعي"، ويفتقر إلى القيادة الحقيقية، فعين الآن الإثني عشر، وأعطاهم "السلطان على الأرواح النجسة، لإخراجها" (10: 1). وحذرهم يسوع من أن الناس "سيسلمونكم إلى المجامع ويضربونكم في مجامعهم" (10: 17)، وطلب منهم أن يتوقعوا الكراهية القاتلة داخل بيوتهم (10: 21)، وكذلك من

"الجميع" (10: 22)؛ لأنه كما يقول، "إذا كانوا قد دعوا رب البيت بعلزبول، فكم بالحري يشتمون أهل بيته؟" (10: 25)، ومع استمرار السرد، تصبح العداوة بين يسوع وأعدائه - كما في أدب الطائفيين الأسينيين - صراعًا بين أولئك الذين يسميهم يسوع في إنجيل متى "أبناء الملكوت" و"أبناء الشرير" (13: 38). يكرر يسوع إدانة يوحنا المعمدان للفريسيين: "يا أولاد الأفاعي! كيف يمكنك أن تقول أشياء جيدة، وأنت شرير؟ (12 :34). ثم يتنبأ يسوع بأن الأجانب سوف "يقومون في دينونة هذا الجيل ويدينونه" (12: 41). وأخيرًا، يتهم ضمناً معارضيه بأنهم مسكونون بالشياطين، ويروي مثلًا عن رجل، بعد طرد الأرواح الشريرة منه، يتعرض لغزو جديد من "سبعة أرواح أخرى أكثر شرًا" من الأولى، "حتى أصبحت الحالة الأخيرة لذلك الرجل أسوأ من الأولى". "هكذا يكون أيضاً مع هذا الجيل الشرير" (12: 45).

وفي وقت لاحق، يشرح يسوع لأتباعه على انفراد أن الجيل

الذي يخاطبه - باستثناء المختارين - قد تمت محاكمته وإدانته بالفعل؛ ويقول إن رفض معارضيه قبول تعاليمه يكشف عن قوة الشيطان عليهم. في مثل الزارع، يحدد يسوع "الشرير" باعتباره العدو الذي "خطف" البذور التي زرعها وبالتالي منع كرازته من أن تؤتي ثمارها بين شعبه (13: 19). وبعد ذلك مباشرة يروي يسوع مثل الزوان، محددًا معارضيه صراحةً على أنهم أبناء الشيطان: "الزوان هو أبناء الشرير، والعدو الذي زرعه هو إبليس" (13: 38-39).

يسوع، الذي اعترف به تلاميذه أخيرًا باعتباره المسيح، يخبرهم أنه الآن، بسلطان روح الله، يقيم جماعته التي ستنتصر على كل قوى الشر، وكأنه

يقول إن الله قد استبدل إسرائيل بمجتمع جديد: يتفق العديد من العلماء مع جورج نيكلسبيرغ في أن يسوع في إنجيل متى يدعي في الإصحاح 16 أن ما كان في السابق "جماعة إسرائيل" أصبح "كنيسته".[24]

يصل صراع يسوع مع الفريسيين إلى ذروته في إنجيل متى

23. في هذا الإصحاح، يأخذ متى الأقوال المنسوبة إلى يسوع ويحولها إلى قصص صراع تضع يسوع في موقف محرج.

ضد أولئك الذين ندد بهم سبع مرات باعتبارهم "كتبة وفريسيين ومنافقين" وحتى "أبناء الوارثين" (23: 15). يقول متى إن يسوع يدعو إلى إنزال الغضب الإلهي على "هذا الجيل" (23: 36).

> "لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض، من دم هابيل البريء إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين المقدس والمذبح" (23: 35).

وقد لاحظ العديد من العلماء وعلقوا على "العداء المرير" المعبر عنه في هذا الفصل.[2]* ويُظهِر الباحث في الكتاب المقدس لوك جونسون أن "الجماعات الفلسفية في العصور القديمة" غالبًا ما هاجمت منافسيها بعبارات قوية.[26] ولكن الفلاسفة لم ينخرطوا، كما يفعل متى هنا، في التشهير الشيطاني بخصومهم. في العالم القديم، وعلى حد علمي، فإن الأسينيين والمسيحيين هم وحدهم الذين يصعدون الصراع مع خصومهم إلى مستوى الحرب الكونية.

يعترف يسوع في إنجيل متى بأن الفريسيين يقولون الكثير مما هو صحيح ("افعلوا واحفظوا كل ما يقولون لكم، ولكن لا تفعلوا مثل ما يفعلون")، لكنه يتهمهم بأنهم أكثر اهتمامًا بالحفاظ على سلطتهم من أي شيء آخر. علاوة على ذلك، يقول إنهم يهملون الاعتبارات الأخلاقية الأساسية، وينشغلون بالمساومات القانونية:

> ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون! لأنكم تعشرون النعنع والشبت والكمون، وتركتم أثقل الناموس: العدل والرحمة والإيمان. كان ينبغي أن تعملوا بهذه ولا تتركوا تلك. أيها القادة العميان، الذين يصفّون البعوضة، ويبلعون الجمل! (23 :23-24)

يعرف العلماء أن العديد من المعلمين اليهود في زمن يسوع - معلمين مثل هليل وشاماي، معاصري يسوع - انخرطوا في التفسير الأخلاقي للشريعة؛ تحكي إحدى القصص الشهيرة كيف أن هليل أجاب طالبًا طلب منه تعليم التوراة كاملة وهو واقف على قدم واحدة. فأجاب هليل: «كل ما لا تريد أن يفعله الناس بك، فلا تفعله بهم». "هذا هو التوراة بأكمله." ومع ذلك، حتى الليبرالي مثل هليل

كان سيعارض حركة تدعي إعادة تفسير التوراة من الناحية الأخلاقية ولكنها تضع جانباً المبادئ الطقسية التي تحدد الهوية اليهودية. لقد رأى العديد من اليهود في القرن الأول مثل هذه الاتجاهات في الحركة المسيحية. ربما كان العديد من الفريسيين، الذين كانوا حريصين على إبقاء إسرائيل مقدسة ومنفصلة من خلال مراعاة التوراة، يعتبرون أن أتباع يسوع يشكلون تهديدًا لسلامة إسرائيل - وحتى وجودها.

يريد متى أن يقول، كما رأينا، إن يسوع لم ينحرف أبدًا عن الولاء الكامل للتوراة، ولكن متى يعني بذلك أن يسوع حقق المعنى الأعمق للشريعة، والذي يصر متى على أنه لا علاقة له بشكل أساسي بالهوية العرقية. في إنجيل متى، يلخص يسوع "الناموس والأنبياء" مرتين، وفي كلتا المرتين بطرق تعتمد فقط على العمل الأخلاقي. أولاً، ما قاله هليل سلباً، قاله يسوع إيجاباً: "كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم. على هذا يعتمد الناموس كله والأنبياء" (7: 12). ثانياً، يلخص التوراة في الوصية المزدوجة: "أحب الرب إلهك بكل قلبك ونفسك وفكرك، وقريبك كنفسك" (22: 37). وأخيرًا، يقدم يسوع في إنجيل متى مثلًا يصور مجيء دينونة الله. في ذلك اليوم، يقول يسوع، سيجمع الملك الإلهي كل الأمم، ويدعو بعضهم لدخول ملكوت الله الأبدي، ويسلم آخرين إلى ما يسميه يسوع "النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته". ما هو معيار الحكم الإلهي؟ بحسب إنجيل متى، يقول يسوع أن الملك سيقول للذين عن يمينه:

> تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. لأني كنت جائعا فأطعمتموني، عطشاناً فسقيتموني، غريباً فآويتموني، مريضاً فزرتموني، محبوساً فأتيتم إليّ. فيجيبه الصديق حينئذٍ: يا رب متى رأيناك غريباً فآويناك، أو عرياناً فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضًا أو سجينًا فزرناك؟ فيجيبهم الملك: الحق أقول لكم: بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي الأصاغر فبي فعلتم. ثم يقول للذين عن يساره: اذهبوا عني يا ملاعين إلى

> النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته. لأني كنت جائعا فلم تطعموني، وعطشانا فلم تسقوني، وغريباً فلم تأووني، وعرياناً فلم تكسوني، ومريضاً ومسجوناً فلم تزوروني؟ حينئذ يجيبون هم أيضا: يا رب، متى رأيناك جائعا أو عطشاناً أو غريبا أو مريضا أو محبوسا ولم نخدمك؟ فيجيبهم ويقول لهم: الحق أقول لكم: بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوه. "فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي، والأبرار إلى حياة أبدية" (25: 34-46).

إن الانضمام إلى ملكوت الله لا يعتمد على العضوية في إسرائيل، بل على العدالة الممزوجة بالكرم والرحمة. لقد اختفى المعيار العرقي. كان بإمكان الأمميين، وكذلك اليهود، أن يتبنوا هذا التفسير الجديد للشريعة الإلهية ـ وفي شركة متى فعل الكثيرون ذلك.

بحسب ما ذكره متى، فإن يسوع والحركة التي بدأها يعبران عن المعنى الحقيقي لشريعة الله. لا يندد يسوع بالفريسيين فقط باعتبارهم مترجمين كذبة، بل كمعارضين قاتلين للحقيقة ـ أولئك الذين "يقتلون ويصلبون" أنبياء الله (23: 34). ومن هذا التنديد الأخير بالفريسيين، ينتقل متى على الفور إلى قصة صلب يسوع. وفي أعقاب رواية مرقس عن كثب، يصف متى مشاركة رئيس الكهنة والكتبة والشيوخ، لكنه لا يذكر الفريسيين مرة أخرى إلا بعد موت يسوع.

ولكن إنجيل متى يضيف حلقات تسليط الضوء على الذنب الأكبر الذي شعر به أعداء يسوع اليهود. يقول متى فقط أن يهوذا الإسخريوطي لم يندم بشدة على خيانته ليسوع، "فألقى الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسه" (27: 3-5)، ويضيف متى أيضًا قصة زوجة بيلاطس:

> وبينما كان بيلاطس جالساً على كرسي القضاء، أرسلت إليه امرأته قائلة: «لا شأن لك بذلك البار، لأني تألمت اليوم كثيراً بسببه في الحلم» (27: 19).

كما في مرقس، يعرض بيلاطس هنا إطلاق سراح يسوع، ويحتج على الحشود التي تصرخ مطالبة بصلبه، "لماذا، أي شر فعل

هذا؟" ولكن متى يقدم أيضًا سببًا عمليًا لموافقة بيلاطس على الحشد: فرأى بيلاطس أنه لا ينتفع شيئًا، بل بالحري أن الشغب ينشأ (27: 24). وفي تلك اللحظة، يزعم متى، في مشهد غير متوقع على الإطلاق، أن بيلاطس قام بطقوس مستمدة من الشريعة اليهودية، والتي ورد وصفها في سفر التثنية. فغسل يديه دلالة على براءته من سفك الدماء، وقال: «أنا بريء من دم هذا الرجل، انظروا أنتم» (27: 24). في تلك اللحظة، وحسب إنجيل متى وحده، اعترف القادة اليهود، وكذلك "الأمة كلها"، بالمسؤولية الجماعية المتشددة، واستحضروا ما تبين أنه لعنة على أنفسهم وعلى ذريتهم: "دمه علينا وعلى أولادنا!" (27 :25).

ويضيف متى أيضًا القصة التي تقول إنه بعد الصلب، طلب "رؤساء الكهنة والفريسيون" من بيلاطس أن يحرس قبر يسوع، خشية أن يسرق أتباعه جسده ليتظاهروا بالقيامة. ولتفسير الشائعة التي تقول إن تلاميذ يسوع سرقوا جسده، يقول متى إن السلطات اليهودية رشت الجنود الرومان لبدء هذه الشائعة. "ثم يستنتج متى، ""فأخذوا المال وفعلوا كما قيل لهم، وانتشرت هذه القصة بين اليهود إلى هذا اليوم"" (28: 15)."

وبينما يقترب الإنجيل من نهايته، يفصل متى[7] أتباع يسوع عن أولئك الذين يسميهم "اليهود"، ويحاول تفسير العداء وعدم الإيمان الذي يواجهه هو وإخوانه المسيحيون على ما يبدو من الأغلبية اليهودية؛ ويفهم متى هذا على أنه يعني أن الأغلبية، التي ترفض الإنجيل، قد فقدت إرثها. لقد أصبح المطلعون السابقون الآن غرباء. بحسب إنجيل متى، يروي يسوع مثلاً مشؤوماً: دعا ملك عظيم شعبه لحضور حفل زفاف ابنه. (هنا يستحضر متى استعارة نبوية ليشير إلى أن الزفاف يرمز إلى الاتحاد المقصود بين الرب نفسه وإسرائيل عروسه؛ انظر إرميا 2: 1-3: 20؛ إشعياء 50: 1؛ هوشع 1: 2-3: 5.) ولكن عندما يرفض المدعوون الحضور، بل ويضربون رسل الملك ويسبونهم ويقتلونهم، يقول يسوع، يعلن الملك أن "المدعوين لم يكونوا مستحقين"، ويشرع في دعوة آخرين في مكانهم. ثم يتابع يسوع في إنجيل متى: "فغضب الملك، وأرسل جنوده، وأهلك أولئك القتلة، وأحرق مدينتهم".

(7: 22). وهكذا يصل متى إلى حد الإيحاء بأن الله نفسه هو الذي تسبب في المذبحة الرومانية وتدمير أورشليم في عام 70 ميلادية لمعاقبة اليهود لرفضهم "ابنه". [1]

يتفق معظم العلماء على أنه على الرغم من أن مجموعة متى نفسها ربما كانت تضم مؤمنين يهودًا وغير يهود، إلا أن أعضاءها كانوا يجدون جمهورًا أكثر تقبلاً بين غير اليهود مقارنة باليهود. وهكذا ينتهي إنجيل متى بمشهد حيث يأمر يسوع القائم من بين الأموات، بعد أن تلقى "كل سلطان على السماء وعلى الأرض"، أتباعه "بالذهاب وتلمذة جميع الأمم" (28: 19). إن متى، الذي ينتمي إلى المجتمع اليهودي، ينظر إلى هذا الأمر بقدر هائل من التناقض - تناقض من شأنه أن يؤثر على المجتمعات المسيحية لقرون، بل ولآلاف السنين. أما لوقا، وهو معاصر متى وزميله المسيحي، والذي قام أيضًا بتعديل إنجيل مرقس ومراجعته، فيتخذ خطًا مختلفًا. هذا المتحول من الجيل الثالث يعتبر عظمة إسرائيل مجرد ماضي، ويطالب بثقة بإرثها الحالي لمجتمعه الذي يغلب عليه الوثنيون. وفي كل من إنجيل لوقا وإنجيل يوحنا، كما سنرى لاحقًا، يحدد يسوع نفسه خصومه اليهود بالشيطان.

IV

لوقا ويوحنا يدعيان إرث إسرائيل:
الانقسام يتسع

لوقا، الكاتب الوحيد غير اليهودي بين كتاب الأناجيل، يتحدث باسم أولئك غير اليهود الذين اعتنقوا المسيحية والذين يعتبرون

أنفسهم الورثة الحقيقيين لإسرائيل. يتجاوز لوقا ما جاء في إنجيل متى في المراجعة الجذرية لرواية مرقس عن حياة يسوع. لقد قال متى أن الأغلبية اليهودية فقدت حقها في عهد الله برفضها الاعتراف بمسيحه؛ وبالتالي، فقد عرض الله عهده على الأمم بدلاً منهم. لكن لوقا يذهب إلى أبعد من ذلك، ويتفق مع بولس في أن الله كان يقصد دائمًا أن يقدم الخلاص للجميع. لقد دعت رؤية لوقا للخلاص الشامل اليونانيين، والآسيويين، والأفارقة، والسوريين، والمصريين إلى تحديد هويتهم، بثقة مثل أي إسيني، كأعضاء في "إسرائيل الحقيقية". ولا يزال المسيحيون في كل مكان يعتمدون على رسالة لوقا كل يوم في صلواتهم وترانيمهم وطقوسهم. ويذهب لوقا أيضًا إلى أبعد من مرقس ومتى في توضيح ما يلمح إليه مرقس ومتى - الصلة بين أعداء يسوع اليهود و"الشرير"*، إبليس.في لوقا، يشير يسوع نفسه، في لحظة اعتقاله، إلى أن المجموعة التي ألقت القبض عليه، وهي "رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ"، متحالفة مع الشرير، الذي يسميه يسوع هنا "سلطان الظلمة".

لوقا، مثل متى، يدحض الادعاءات الشائعة ضد

يسوع - أنه كان غير شرعي ويفتقر إلى المؤهلات الأسرية ليكون مسيح إسرائيل. مثل متى، يبدأ لوقا قصته قبل حمل يسوع، ليُظهر أن روح الله هو الذي صنع هذا الحدث المعجزي. وبحسب لوقا، فإن الروح، أو

وكلائه، الملائكة، هم الذين بدأوا الأحداث العجيبة المحيطة بميلاد يسوع وطفولته.

ولكن لوقا، على عكس متى، لا يذكر أي عداوة من جانب هيرودس أو أهل أورشليم تجاه الطفل يسوع. ولكن كما في إنجيل مرقس، ففي اللحظة التي يظهر فيها يسوع كرجل ناضج، معمد و"ممتلئ بالروح القدس"، يتحداه الشيطان على الفور. لقد هُزِم الشيطان ثلاث مرات، ويقول لوقا أن "الشيطان انصرف عنه إلى حين *[achri kairou]*" *(التأكيد مضاف)*. بعد أن أحبطته محاولته الأولى للتغلب على يسوع، لم يجد الشيطان فرصته إلا في نهاية القصة، عندما "سعى رؤساء الكهنة والكتبة إلى قتل يسوع". في هذه المرحلة، يقول لوقا: "دخل الشيطان في يهوذا الإسخريوطي"، الذي "ذهب وتشاور مع رئيس الكهنة كيف يسلمه، ففرحوا واتفقوا على أن يعطوه مالاً". يقول لوقا إنه منذ ذلك الوقت، كان يهوذا "يطلب فرصة *[eukairan]* ليسلمه".

بعد أول مواجهة له مع يسوع، لم ينسحب الشيطان من المنافسة بل انتظر وقته؛ طوال مسيرة يسوع العلنية، عمل الشيطان تحت الأرض - أو بشكل أكثر دقة، على الأرض - من خلال عملاء بشريين. بعد صراعه الانفرادي مع الشيطان في البرية، تبدأ الحلقة الأولى من التعليم العام ليسوع باستقبال إيجابي من الحشد، ولكنها تتحول فجأة إلى مشهد من العنف الوحشي، الذي يكاد يكون مميتًا. يقول لوقا أن يسوع، بعد معموديته، دخل إلى المجمع كعادته في مسقط رأسه الناصرة وقرأ للجماعة مقطعًا نبويًا من إشعياء. ثم يعلن، "اليوم تم هذا المكتوب في مسامعكم، وكان الجميع يتكلمون عنه جيدًا، ويتعجبون من الكلمات الحسنة التي خرجت من فمه" (4: 21-22). ويتنبأ يسوع الآن بأن أهل مدينته سيرفضونه، ويعلن أن الله ينوي جلب الخلاص للأمم، حتى لو كان ذلك على حساب تجاوز إسرائيل، قائلاً:

> "وكان في إسرائيل أرامل كثيرات في أيام إيليا... ولم يُرسل إيليا إلى واحدة منهن إلا إلى صرفة في أرض صيدا إلى امرأة أرملة. وكان في إسرائيل برص كثيرون في أيام النبي إليشع ولم يطهر أحد منهم إلا نعمان السرياني" (4: 25-27).

وبعد سماع ذلك، يواصل لوقا حديثه،

> فامتلأ جميع الذين في المجمع غضباً وقاموا ليطردوه خارج المدينة، وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت المدينة مبنية عليه، لكي يطرحوه إلى أسفل (4: 28-29).

لكن يسوع يرحل سريعًا، وينجو بذلك من هذه المحاولة الأولى لاغتياله.

والآن يبدأ "الكتبة والفريسيون" بالتآمر ضد يسوع، وينظرون إليه بريبة، باحثين عن فرصة "للاتهام ضده" (6: 7). وعندما رأوه يشفى في السبت، "امتلئوا غضباً وتشاوروا فيما بينهم ماذا يفعلون بيسوع" (6: 11).

لكن الفريسيين في لوقا، على عكس الفريسيين في متى، ليسوا معادين ليسوع بالإجماع.[1] فبعضهم أبدى اهتمامه به ودعوه إلى العشاء، وبعضهم حذره من الخطر، لكن آخرين لعبوا دور الشيطان عن طيب خاطر، وتآمروا لقتله. يصف لوقا الفريسيين أحيانًا بأنهم "محبو المال" (16: 14) ومتغطرسون (18: 9-14)، وهي صفات ينتقدها أيضًا في الآخرين؛ كما يُظهر التعاطف الخاص بين يسوع وأولئك الذين يُحتقرون - المعوزين، والمرضى، والنساء، والسامريين. ومن بين أتباع يسوع العديد من جباة الضرائب والعاهرات؛ ويعتقد لوقا أن هؤلاء أيضًا هم شعب الله. من المشاهد الافتتاحية في الهيكل التي تتناول طفولة يسوع ومراهقته إلى ختام الإنجيل، الذي يصف كيف ذهب التلاميذ "إلى أورشليم، وكانوا دائمًا في الهيكل يسبحون الله"، كان أتباع يسوع مخلصين بشدة للهيكل - ربما الإسرائيليين الحقيقيين الوحيدين المتبقين في أورشليم. من المؤكد أن لوقا يقصد أن يظهر أنهم أقرب إلى الله من الفريسيين أو أي قادة دينيين يهود آخرين.

إن الحرب الروحية بين الله والشيطان - والتي تنعكس في الصراع بين يسوع وأتباعه والقادة اليهود - تشتد في جميع أنحاء الإنجيل.[2] وبينما ينقسم الناس ضده، يقول يسوع،

> "لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض، بل تقسيمًا. من الآن فصاعدًا يكون في بيت واحد خمسة أشخاص.

> "ويكونون منقسمين ثلاثة على اثنين واثنين على ثلاثة، وينقسمون الأب على ابنه والابن على أبيه والأم على ابنتها والابنة على أمها[3]" (12: 51-55).

وبينما يشتد معارضة رؤساء الكهنة وحلفائهم، يحذر بعض الفريسيين يسوع، في حادثة فريدة من نوعها في إنجيل لوقا، من الملك اليهودي: "هيرودس يريد أن يقتلك". يشير جواب يسوع إلى أن ما أغضب هيرودس هو أن يسوع تحدى الشيطان، القوة التي تحكم هذا العالم: "اذهب وقل لهذا الثعلب: اليوم وغدًا أخرج الشياطين وأشفي، وفي اليوم الثالث أكمل سعيي" (13: 32). بعد أن أرسل يسوع سبعين رسولًا للشفاء وإعلان رسالة الملكوت، عادوا "بفرح" مندهشين ومنتصرين، قائلين: "يا رب، حتى الشياطين تخضع لنا باسمك". يبتهج يسوع، متوقعًا هزيمة الشيطان الوشيكة:

> "رأيت الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء. هوذا أنا أعطيكم سلطانًا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو" (10: 18-19).

مباشرة قبل أن يدخل الشيطان في يهوذا ويبدأ الخيانة، حذر يسوع، في مثل، من أنه سيعود بنفسه كملك ليرى أعداءه يُبادون. بمجرد أن يبدأ رحلته الأخيرة إلى أورشليم، حيث سيدخل المدينة مُعلنًا ملكًا من قبل تلاميذه ولكن سيتم رفضه من قبل غالبية سكان أورشليم، يروي يسوع قصة "رجل نبيل" يسافر إلى أرض بعيدة "لكي يطالب بسلطته الملكية ويعود" (19: 12). عندما ينجح النبيل ويعود منتصراً، فإن أول ما يفعله هو المطالبة بقتل أعدائه: "أما أولئك أعدائي الذين لم يريدوا أن أحكم عليهم، فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم أمامي" (19: 27؛ التأكيد مضاف). ويجعل لوقا التشابه واضحًا: "وفيما هو يقول هذه الكلمات، كان يسوع يتقدمهم صاعدًا إلى أورشليم". وعندما وصل، أمر تلاميذه على الفور بالاستعداد لدخوله الملكي إلى المدينة (راجع زكريا 9:9). لكن لوقا وحده، من بين الأناجيل الإزائية، يُدرج عبارة "الملك"، المأخوذة من المزمور 118، في الهتاف الذي هتف به التلاميذ عند وصول يسوع إلى أورشليم:

"تبارك الملك الآتي باسم الرب!" (مزامير. 118 :26; لوقا 19 :38). عندما صدم بعض الفريسيين في الحشد من هذا الإعلان العلني عن يسوع كملك، وبخوا يسوع قائلين: "يا معلم، انتهر تلاميذك"، يقول لوقا، أجاب يسوع: "أقول لكم: لو سكت هؤلاء، لصرخت الحجارة أيضًا".

ثم يقول لوقا، بينما كان ذلك الفصح المشؤوم يقترب، "كان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه". كانت هذه هي الفرصة التي كان الشيطان ينتظرها: "فدخل الشيطان في يهوذا الإسخريوطي"، الذي اجتمع على الفور مع رؤساء الكهنة وخدام الهيكل لترتيب الخيانة. ولكن هنا، كما في مرقس، يعلن يسوع نفسه أن دور الشيطان أو خطة الله المحددة مسبقًا لا تبرئ يهوذا من الذنب: "ابن الإنسان ماضٍ كما هو مقدر، ولكن ويل لذلك الإنسان الذي يسلمه" (22: 22؛ راجع 1 يوحنا 1ً: 1-3). مرقس 14: 21)

يذكر يوحنا جنودًا رومانيين مسلحين بين الجزء الذي قام بالاعتقال)؛ لكن لوقا يذكر اليهود فقط، ويغفل قولًا مشتركًا بين مرقس ومتى، وهو أن "ابن الإنسان يُسلَّم إلى أيدي الخطاة" (أي الأمم). وبدلاً من ذلك، عندما يصل المقاتلون المسلحون إلى جثسيماني، يتجه يسوع لوقا مباشرة إلى "رؤساء الكهنة وخدام الهيكل والشيوخ الذين خرجوا لمواجهته"، ويحددهم على أنهم الشيطان المتجسد: "هل خرجتم كأنكم على لص بسيوف وهراوات؟ حين كنت معكم كل يوم في الهيكل لم تمدوا عليّ أيديكم. "ولكن هذه ساعتكم [الجمع] وسلطان الظلمة" (22: 52-53؛ التشديد مضاف).

كما يقول مرقس، يقول لوقا إن المجموعة التي ألقت القبض على يسوع "أخذته وذهبت به إلى دار رئيس الكهنة"، بينما تبعه بطرس خلسةً إلى دار رئيس الكهنة. ولكن عند هذه النقطة ينحرف لوقا عن مرقس، إذ يحذف مشهد مرقس المفصل للمحاكمة أمام السنهدرين، حيث، كما رأينا، اجتمع السنهدرين بأكمله في الليل لسماع موكب من الشهود وليشهدوا استجواب رئيس الكهنة ليسوع، والذي بلغ ذروته في الحكم بالإجماع بالإعدام بتهمة التجديف. يصور مرقس - ومتى الذي يتبعه - أعضاء السنهدرين وهم يبصقون على يسوع ويضربونه ويسخرون منه قبل أن ينضم إليهم الحراس في ضربه (مرقس 14: 65؛ متى 1: 1-3). (26: 67-68).

يروي لوقا قصة أكثر وضوحًا وبساطة: بعد إلقاء القبض عليه، تم احتجاز يسوع وحراسته طوال الليل في فناء منزل رئيس الكهنة في انتظار جلسة الصباح للسنهدرين. يقول لوقا أنه ليس أعضاء السنهدرين الأرستقراطيين، بل "الرجال الذين كانوا يحملون يسوع" هم الذين استمتعوا أثناء الليل الطويل بضرب السجين والسخرية منه (22: 63-65). وفي الصباح، أخذ الحراس يسوع إلى قاعة المجلس بالقرب من الهيكل للاستجواب من قبل السنهدرين المجتمعين. بدلاً من المحاكمة الرسمية، يبدو الأمر وكأنه نوع من جلسة المحكمة - استجواب بدون شهود وبدون حكم رسمي. ومع ذلك، قرر مجلس السنهدرين أن يأخذ يسوع إلى بيلاطس لتقديم اتهامات رسمية - وعقوبة قصوى - ضده.

هل كان لدى لوقا إمكانية الوصول إلى روايات مستقلة - ربما أقدم - حول ما أدى إلى الصلب؟ ويعتقد العديد من العلماء، ومن بينهم الباحث البريطاني ديفيد كاتشبول، أنه فعل ذلك؟ يُعيد لوقا بناء مشهد يستجوب فيه أعضاء السنهدرين يسوع:

> "إذا كنت المسيح فأخبرنا." فقال لهم: إن قلت لكم لا تصدقون، وإن سألتكم لا تجيبون. "ولكن من الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله." فقالوا له: «أأنت إذن ابن الله؟» فقال لهم: أنتم تقولون إني أنا هو (22: 67-70).

إن رواية لوقا، مثل رواية متى ويوحنا، تتناقض مع ادعاء مرقس بأن يسوع أكد بشكل قاطع وعلني تعيينه الإلهي في محاكمته (مرقس 14: 62). وفي لوقا، أجاب يسوع بطريقة مراوغة فقط. ونظراً لعدم وجود أدلة داعمة، لا يستطيع أحد أن يقول ما حدث بالفعل، على الرغم من أن مئات العلماء، اليهود والمسيحيين، حاولوا الإجابة. ما علينا إلا أن نلقي نظرة على دراسة كاتشبول الدقيقة بعنوان محاكمة يسوع لندرك أن كل فصل في كل حلقة أصبح موضوع نقاش حاد.

ورغم هذه الشكوك، فإن كل من يفسر النصوص يجب عليه أن يفرز التقليد إلى حد ما، وأن يعيد بناء ما قد حدث، ولو مؤقتًا، وبالتالي ما أضافه كل إنجيلي، ولأي أسباب.

يزعم كاتشبول نفسه أن رواية لوقا عن محاكمة السنهدرين هي "الأكثر موثوقية تاريخيًا" من أي رواية أخرى.[4] وهذا يعني أن أعضاء السنهدرين اتهموا يسوع بادعاء أنه المسيح وابن الله. يختلف ريموند براون مع هذا الرأي، ويؤيد أولئك الذين يعتقدون أن لقبي المسيح وابن الله ظهرا في وقت لاحق، من المجتمعات المسيحية (في هذه الحالة من مجتمع لوقا) وليس من السنهدرين اليهودي. على أية حال، تشير رواية لوقا إلى أن يسوع قد نال إشادة عامة كملك (19: 38)، وكما لاحظنا، حتى عندما حذره الفريسيون من إسكات أولئك الذين كانوا يهتفون بهذه الهتافات، رفض يسوع أن يفعل ذلك (19: 39-40). سواء كان قد قدم نفس هذه الادعاءات عن نفسه، كما يصر مرقس وحده (14: 61)، أو كان يقبل فقط ما قاله الآخرون عنه، كما يقول متى ولوقا ويوحنا، فمن الواضح أن الأمر لم يكن يهم السنهدرين بقدر التأثير الذي يمكن أن تحدثه مثل هذه الادعاءات على الحشود المضطربة التي تجمعت لعيد الفصح. وبناءً على ذلك، يقول لوقا، قرر أعداء يسوع إحضاره إلى بيلاطس، متهمين إياه بثلاث تهم من شأنها إثارة قلق الحاكم: "لقد وجدنا هذا الرجل مذنبًا بإفساد أمتنا [على ما يبدو، بتعليمه معارضًا الزعماء الدينيين المعينين]، وأمرنا أن ندفع الجزية لقيصر، وقال إنه هو المسيح الملك" (23: 2).

قال مرقس ومتى أن بيلاطس كان متشككًا في التهم، لكن بيلاطس في لوقا أعلن براءة يسوع ثلاث مرات على الأقل. في البداية قال بيلاطس: "لا أجد في هذا الرجل أي جريمة". وبعد ذلك، بعد أن اعترض رؤساء الكهنة والحشود وأصروا على أن يسوع مذنب بإزعاج السلام، حاول بيلاطس التخلص من مسؤوليته بإرسال يسوع إلى الملك هيرودس. في حين أن مرقس ومتى يظهران جنود بيلاطس وهم يسخرون من يسوع ويضربونه، فإن لوقا يبرئ بيلاطس أكثر من خلال إظهاره أن هيرودس وضباطه (مثل الضباط اليهود المتورطين في الاعتقال) هم الذين أساءوا معاملة يسوع وسخروا منه باعتباره ملكًا محتملًا (23: 11).

ثم عاد يسوع إلى بيلاطس، الذي جمع رسميًا "رؤساء الكهنة والحكام والشعب". هذه المجموعات الثلاث، التي كانت منقسمة سابقًا بين القادة الذين يكرهون يسوع، والشعب الذي كان وجوده يحميه، تقدم الآن جبهة موحدة ضده. وإلى كل الحاضرين أمامه يعلن بيلاطس أيضًا:

> "لقد أتيتم إليّ بهذا الإنسان كمن يضل الشعب، وبعد أن فحصته أمامكم، ها أنا لم أجد هذا الإنسان مذنباً في شيء مما تشتكون منه عليه، ولا هيرودس أيضاً، لأنه أرسله إلينا."
> "هوذا لم يفعل منه شيء يستحق الموت، لذلك أؤدبه وأطلقه."

ولكن لوقا يقول إن زعماء اليهود وشعبهم، عندما سمعوا قرار بيلاطس، احتجوا بالإجماع: "صرخوا جميعًا معًا: خذ هذا الرجل" (23: 18؛ التأكيد مضاف). وبحسب لوقا، رفض بيلاطس الاستسلام، "وخاطبهم أيضًا طالبًا إطلاق سراح يسوع، لكنهم صرخوا: اصلبه، اصلبه!" "يبدو أن لوقا يعتقد أنه لا يستطيع التأكيد على هذا الأمر كثيرًا، لأنه يكرر الآن حكم بيلاطس للمرة الثالثة: "أي شر عمل هذا؟" "ولم أجد فيه ذنبًا يستحق الموت، لذلك أؤدبه وأطلقه." ولكن المتفرجين، كما يقول لوقا،

> "فصرخوا بصوت عظيم أن يصلب يسوع، وغلبت أصواتهم، فأمر بيلاطس أن يُعطى طلبهم، و... أسلم يسوع إلى مشيئتهم (التأكيد مضاف)."

ومع ذلك، ففي مقاطع سابقة، كان لوقا قد تبع مرقس في القول بأن أعداء يسوع سلموه "إلى الأمم" (18: 32)؛ وفي وقت لاحق، سوف يذكر لوقا، مثل مرقس، قائد مئة روماني كان حاضراً أثناء الصلب. تشير هذه الأدلة، إلى جانب اعتراف لوقا بأن الاتهام المكتوب كان أن يسوع ادعى أنه "ملك اليهود"، وكانت التهمة هي الفتنة (23: 38)، إلى أن لوقا كان يعلم أن الرومان قد أصدروا الحكم بالفعل ونفذوا الإعدام. ومع ذلك، عندما يروي لوقا القصة، فإنه يسمح للقارئ، وربما يريد منه، وخاصة إذا لم يكن على دراية بالروايات الأخرى، أن يستنتج أنه بعد أن ألقى اليهود القبض على يسوع وحكمت عليه محكمة يهودية بالموت، كان الجنود اليهود هم الذين صلبوه في الواقع.

يغير لوقا العديد من تفاصيل مشهد الموت للتأكيد على براءة يسوع، ولإعطاء رواية أكثر إيجابية من

مرقس عن كيفية موت المؤمنين بالله. عندما صُلب يسوع بين لصين (أي، كما رأينا، بين لصّين، ربما اتُهما أيضًا بالتحريض على الفتنة)، صلى من أجل معذبيه: "يا أبتاه، اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون". [5] لقد أظهر مرقس الإذلال الشديد الذي تعرض له يسوع، قائلاً إن المجرمين الآخرين المدانين انضموا إلى السخرية من يسوع، لكن لوقا يقدم رواية مختلفة للقصة:

> وكان أحد المجرمين المعلقين هناك يسخر منه ويقول: «أليس أنت المسيح؟» أنقذ نفسك وإيانا! فانتهره الآخر قائلاً: «أما تخاف الله وأنت تحت هذا الحكم بعينه؟» ونحن محكومون بحق، لأننا ننال ما نستحقه على ما فعلناه. "ولكن هذا الرجل لم يفعل شيئًا خاطئًا." ثم قال: «يا يسوع، اذكرني متى جئت في ملكوتك». فأجاب: «الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس».

وهكذا يؤكد لوقا مرة أخرى على براءة يسوع - البراءة التي يعترف بها حتى المجرم المحكوم عليه - ويظهر أن يسوع المحتضر لديه القدرة على المغفرة، والفداء، وإنقاذ الضالين. يغفل لوقا صرخة يسوع المضطربة ("إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟") المزمور 22: 1)، إلى جانب صرخة يسوع الأخيرة غير المفصلة، ويستبدلها بدلاً من ذلك بصلاة إيمان مأخوذة من المزمور 31: 5: "ثم صرخ يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبتاه، في يديك أستودع روحي". وبعد أن قال هذا لفظ أنفاسه الأخيرة. وهكذا ينفي لوقا مشهد الألم ويستبدله بالاستسلام والثقة لله. وأخيرا، يذهب لوقا إلى حد القول بأن كثيرين من الحاضرين، عندما رأوا كل هذا، تابوا عما فعلوه: "ولما رأى كل الجموع الذين اجتمعوا هناك للمنظر ما كان، رجعوا إلى بيوتهم وهم يقرعون صدورهم" (23: 48). كما أنه يغير رواية مرقس ليقول إن قائد المئة الروماني الذي رأى يسوع يموت "سبح الله"، وكرر حكم بيلاطس: "حقًا هذا الرجل بريء!"

في الفصول الأولى من سفر أعمال الرسل، يؤكد لوقا مرة أخرى

على دور اليهود وليس الرومان في

صلب يسوع. يخاطب بطرس "رجال إسرائيل" على وجه التحديد، متهماً إياهم بأنهم "صلبوا وقتلوا" البار الذي أرسله الله إلى إسرائيل. وبعد فترة وجيزة، يخاطب بطرس مرة أخرى "رجال إسرائيل"، ويبشر بيسوع،

> "الذي أسلمتموه وأنكرتموه أمام بيلاطس، حين حكم بيلاطس بإطلاقه... أنكرتم القدوس البار، وطلبتم بدلًا من ذلك أن يُوهب لكم رجل قاتل."

يقدم لوقا العديد من التفاصيل التي ساهمت في تصور المسيحيين اللاحقين[5] أن بيلاطس كان ضعيفًا حسن النية وأن الشعب اليهودي - أي أولئك الذين اعتبرهم الأغلبية المرتدة - كانوا مسؤولين عن موت يسوع وموت العديد من أتباعه. يقول المعلق الفرنسي الشهير ألفريد لويزي إنه بحسب لوقا، "اليهود هم مؤلفو كل الشرور". [6] تعليق لويزي مبسط للغاية، ولكن كما رأينا، يريد لوقا أن يظهر أن أولئك الذين يرفضون يسوع يتممون عمل الشيطان على الأرض.

وفي كتابته بشكل مستقل عن لوقا وربما بعد عقد من الزمان، يتحدث مؤلف إنجيل يوحنا، الذي يعتقد معظم العلماء أنه كان يهوديًا اعتنق الحركة، بمرارة مماثلة بشكل مذهل عن الأغلبية اليهودية.[7] وفي أحد المشاهد المتفجرة، يتهم يسوع اليهود بمحاولة قتله، قائلاً: "أنتم من أبيكم إبليس!" فيرد "اليهود" باتهام يسوع بأنه سامري - أي ليس يهوديًا حقيقيًا - وبأنه "ممسوس بالشيطان" أو مجنون.

يتفق معظم العلماء على أن يسوع ربما لم يوجه هذه الاتهامات، ولكن مثل هذه الكلمات القوية تعكس صراعًا مريرًا بين مجموعة من أتباع يسوع الذين ينتمي إليهم يوحنا (حوالي 90-100م) والأغلبية اليهودية في مدينتهم، وخاصة قادة الكنيس. في كتاباته من داخل المجتمع اليهودي، ربما في فلسطين، يشعر يوحنا بالأسى لأنه بعد سلسلة من الصدامات مع القادة اليهود، تم طرده هو وإخوانه المسيحيين بالقوة من المعابد اليهودية، وحرمانهم من المشاركة في العبادة المشتركة. نحن لا نعرف على وجه اليقين ما حدث؛ يقول يوحنا فقط: "كان اليهود قد اتفقوا بالفعل على أن كل من يعترف بأن يسوع هو المسيح يُطرد من المجمع".

- حرفيًا، ستصبح *aposynaqqye*، أي تُطرد من كنيس المنزل. وقد أظهر عالم العهد الجديد لويس مارتن أنه مهما كان معناه على وجه الخصوص، فإن هذا الانفصال المؤلم قد حدد كيف رأت مجموعة يوحنا نفسها - كأقلية ضئيلة من شعب الله "المكروه من العالم"، وهي مجموعة حثت أعضاءها على رفض العالم الاجتماعي والديني بأكمله الذي وُلدوا فيه.[8]

ويشير مارتن أيضًا إلى أن الأزمة في "مجتمع يوحنا" حدثت عندما أدخلت مجموعة من العلماء اليهود، بقيادة الحاخام جمالال الثاني (80-115 م)، إلى عبادة الكنيس ما يسمى بـ *"birkat ha-minim"* (حرفيًا، "بركة الهراطقة")، وهي صلاة استدعت لعنة على "الهراطقة"، بما في ذلك المسيحيين، الذين تم تحديدهم هنا على وجه التحديد باسم "الناصرة". ربما كان هذا ليسمح لقادة الكنيس أن يطلبوا من أي شخص يشتبه في أنه "ناصري" سري أن "يقف أمام التابوت" ويقود الجماعة في البركة، بحيث يصبح أي شخص مذنب بكونه مسيحيًا بمثابة لعنة على نفسه وعلى إخوانه المؤمنين. ولكن المؤرخ رؤوفين كيملمان يختلف مع هذا الرأي، ويزعم أن هذه اللعنة الطقسية دخلت إلى خدمات الكنيس في وقت لاحق إلى حد كبير، وبالتالي لا يمكن أن تكون قد تسببت في أزمة في القرن الأول. لكن كاتب إنجيل يوحنا يتحدث وكأن زعماء الكنيس اتخذوا إجراءات أكثر صرامة من بركة الهراطقة، مما يوحي بأنهم في الواقع استبعدوا أتباع يسوع لمنعهم من العبادة جنبًا إلى جنب مع اليهود الآخرين.

مهما كانت الظروف الفعلية، اختار يوحنا أن يروي قصة يسوع كقصة صراع كوني - صراع بين النور الإلهي والظلام البدائي، بين المجموعة المتماسكة من أتباع يسوع والمعارضة الخاطئة العنيدة التي واجهوها من "العالم". منذ القرن الأول، كانت نسخة يوحنا من الإنجيل مصدر إلهام وتسلية لمجموعات من المؤمنين الذين وجدوا أنفسهم أقلية مضطهدة، لكنهم أقلية يعتقدون أنها تجسد النور الإلهي في العالم. في حين يبدأ مرقس روايته بمعمودية يسوع، ويتجاوز لوقا ومتى ميلاد يسوع إلى الحمل به، يعود يوحنا إلى أصل الكون نفسه. يبدأ يوحنا إنجيله بالكلمات الافتتاحية لسفر التكوين، والتي تخبرنا كيف "في البدء" فصل الله النور عن الظلمة. في صدى لعلم الكونيات العظيم في سفر التكوين 1، يحدد مقدمة يوحنا اللوغس، أي كلمة الله.

الطاقة المؤثرة في الخلق، مع الحياة *(zoe)* والضوء *(pbds)*، أي "قوة البشر". وتوقعًا لرسالة إنجيله بأكمله، يعلن يوحنا أن "النور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه". وبحسب يوحنا، فإن "نور البشرية" أشرق أخيرًا من خلال يسوع الناصري، الذي تم الكشف عنه بأنه ابن الله.

وهكذا يأخذ يوحنا العناصر البدائية المنفصلة في الخلق - النور والظلام - ويلقيها في دراما إنسانية، ويفسرها في وقت واحد من حيث المصطلحات الدينية والأخلاقية والاجتماعية. بحسب يوحنا، فإن هذا "النور" الإلهي لم "يصبح إنسانًا ويسكن بيننا" فحسب، بل هو أيضًا السلف الروحي لأولئك الذين "يصبحون أبناء الله" (1: 12)، "أبناء النور" (12: 35). إن أزمة ظهور يسوع تكشف عن آخرين باعتبارهم "أبناء الظلمة"؛ وهكذا يشرح يسوع للحاكم اليهودي نيقوديموس أن

> "هذه هي الدينونة [حرفيًا، كريني]: أن النور جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة..." ولكن من يعمل الحق فإنه يأتي إلى النور.[71] (3: 19-21).

وبحلول نهاية الإنجيل، سيكون ظهور يسوع قد حقق في المجتمع البشري ما حققه الله على المستوى الكوني في الخلق: فصل النور عن الظلمة - أي فصل "أبناء النور" عن ذرية الظلمة والشيطان. وبعد أن وضع يوحنا قصة يسوع أولاً ضمن هذا الإطار الكوني العظيم، وضعها بالكامل ضمن ديناميكيات عالم التفاعل البشري، بحيث "تدور قصة يسوع في الإنجيل كلها على الأرض".[9] ومع ذلك، فإن الإطار يخبر القارئ أن مجيء يسوع وانعدام علاقاته الإنسانية هما عنصران يتم تمثيلهما في دراما خارقة للطبيعة بين قوى الخير والشر.

من خلال تصوير الصراع بين الخير والشر على أنه صراع بين النور والظلام، لم يصور يوحنا الشيطان أبدًا، كما فعلت الأناجيل الأخرى، في صورة كائن غير مجسد. للوهلة الأولى، يبدو أن صورة الشيطان قد تراجعت؛ ويذهب الباحث الألماني غوستاف هونيكه إلى حد الادعاء بأن "في إنجيل يوحنا،

"فكرة الشيطان غائبة تمامًا." [1]" ومع ذلك، فإن ملاحظة ريموند براون الأكثر دقة هي أن يوحنا، مثل الأناجيل الأخرى، يروي قصة يسوع كاملة كصراع مع الشيطان الذي بلغ ذروته في الصلب.[11] وعلى الرغم من أن يوحنا لم يصور الشيطان أبدًا كشخصية مستقلة، تعمل بشكل مستقل عن البشر، إلا أن الناس في إنجيل يوحنا هم الذين يلعبون دور المُغري.

تحدث جميع "مشاهد الإغراء" الثلاثة في لوقا ومتى في يوحنا، لكن الشيطان لا يظهر بشكل مباشر. وبدلاً من ذلك، كما أظهر ريموند براون، فإن دور الشيطان تولى أولاً من قبل "الشعب"، أي أعضاء جمهور يسوع، وأخيراً من قبل إخوته.[12] على سبيل المثال، يظهر متى ولوقا أن الشيطان يتحدى يسوع في ادعاء السلطة الأرضية (متى 12: 1-3). 4: 8-9؛ لوقا 4: 5-6)؛ ولكن بحسب يوحنا، حدث هذا التحدي عندما "كان الناس على وشك أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكًا" (6: 15). هنا، كما في الأناجيل الأخرى، يقاوم يسوع الإغراء، ويهرب من الجموع، وينجو. وفي تجربة أخرى، يروي متى ولوقا، تبعًا لـ (Q)، أن الشيطان تحدى يسوع لإثبات سلطانه الإلهي من خلال تحويل "هذه الحجارة إلى خبز". لكن يوحنا يقول إن الذين شهدوا معجزات يسوع - وعلى وجه الخصوص تكثيره لخمسة أرغفة إلى كثيرين - ثم تحدوه أن يقوم بمعجزة أخرى كدليل إضافي على هويته المسيحانية. وكما يقتبس الشيطان من الكتاب المقدس في لوقا ومتى، يقتبس "الناس" في يوحنا من الكتاب المقدس عندما يحثون يسوع على صنع الخبز بأعجوبة:

> فقالوا له: «أية آية تصنع حتى نرى ونؤمن بك؟» ما هو العمل الذي تقوم به؟ "آباؤنا أكلوا المن في البرية، كما هو مكتوب: أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا" (6: 30-31).

يقاوم يسوع هذا الإغراء أيضًا، وكما أجاب يسوع في إنجيل متى الشيطان بإجابة عن الغذاء الروحي ("ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله")، ففي إنجيل يوحنا يتحدث يسوع عن "الخبز الحقيقي من السماء" (6: 32). الإغراء الذي يطلب فيه الشيطان من يسوع أن يُظهر قدراته الإلهية في الأماكن العامة (متى 1: 1-3). إن الآية 4: 5-6؛ لوقا 4: 9-12) تجد صدى لها في يوحنا عندما تحدى إخوة يسوع،

الذين لم يؤمنوا به، كما يقول يوحنا، يسوع أن "يذهب إلى يهودا"، لكي "يُظهِر نفسه للعالم" في أورشليم حيث، كما يعلم هو وإياهم جيدًا، يريد أعداؤه قتله (7: 1-5). وهذا الإغراء أيضًا يرفضه يسوع.

بحسب يوحنا فإن يسوع نفسه هو الذي يكشف هوية الشرير. عندما سمع يسوع بطرس يعلن أننا [التلاميذ] نؤمن بأنك المسيح ابن الله، أجاب بفظاظة:

> "ألم أختركم الاثني عشر، وواحد منكم شيطان؟" وتكلم عن يهوذا الإسخريوطي، ابن سمعان، لأنه هو الذي كان مزمعاً أن يسلمه، وهو واحد من الاثني عشر (6: 70-71).

وتوقعًا لخيانته، حدد يسوع مرة أخرى خائنه، يهوذا، إلى جانب رفاقه من الجنود الرومان واليهود، باعتباره عدوه الخارق للطبيعة الذي ظهر في شكل بشري. بحسب إنجيل متى، يشير يسوع إلى وصول يهوذا إلى جثسيماني بالكلمات التالية: "قوموا فلنذهب، هوذا مُسلِّمي قادم" (26: 46)؛ ولكن في إنجيل يوحنا، يعلن يسوع بدلاً من ذلك أن "رئيس هذا العالم [أي "الشرير"] قادم، قم،
هيا بنا نذهب" (14: 30-31). قبل ذلك بوقت قصير، اتهم يسوع "اليهود الذين آمنوا به" بالتخطيط لقتله: اتهمهم مرتين بأنهم "يحاولون قتلي". عندما وجدوا كلماته غير مفهومة، شرع يسوع في تحديد هوية "اليهود" الذين كانوا يؤمنون به سابقًا على أنهم من أبناء الشيطان: "أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا". "كان قاتلاً منذ البدء" (8 :44). يعلق راي موند براون على هذه المقاطع قائلاً:

> لأول مرة تبرز حقيقة أن الشيطان هو الخصم الحقيقي ليسوع. سيزداد هذا الدافع قوةً مع اقتراب "ساعة" موت يسوع، حتى يتم تقديم الآلام على أنها صراع حتى الموت بين يسوع والشيطان.[13]

هذا صحيح، لكن براون مهتم فقط بالملاحظات اللاهوتية. ماذا تعني هذه الآيات فيما يتعلق بالصراع الإنساني؟ وقد اتفق العديد من المعلقين، إلى جانب عدد لا يحصى من القراء المسيحيين،

مع التقييم الصريح الذي قدمه عالم العهد الجديد الألماني المؤثر رودولف بولتمان: "لا شك في النقطة الرئيسية في هذا المقطع، وهي إظهار أن عدم إيمان اليهود مع عدائهم للحقيقة والحياة، ينبع من كونهم أبناء الشيطان" (التأكيد مضاف).[14] ويضيف بولتمان أن يوحنا، مثل متى ولوقا، يتهم اليهود في الواقع بـ "القتل العمد". [15] (في مكان آخر، كما سنرى، يقدم بولتمان تصريحات تحمل دلالات مختلفة.) في العقود الأخيرة، أثارت هذه المقاطع من إنجيل يوحنا موجة من النقاش، غالبًا من جانب المعلقين المسيحيين الذين أصروا على أن هذه الكلمات لا تعني - أو لا يمكنها أخلاقياً - أن تعني ما فهمه معظم المسيحيين منذ ما يقرب من ألفي عام.

وقد لاحظ العديد من العلماء أن مصطلح "اليهود" يظهر بشكل متكرر في إنجيل يوحنا أكثر من الأناجيل الأخرى، وأن استخدامه يشير إلى أن مؤلف يوحنا وإخوانه المؤمنين يقفون بعيدًا عن الأغلبية اليهودية مقارنة بالإنجيليين الآخرين. وتقترح عشرات، بل مئات، المقالات حلولاً مختلفة لمسألة كيف يستخدم يوحنا المصطلح اليوناني *Loudaios*، والذي يُترجم عادةً إلى "يهودي". [16] في بعض الأحيان، بالطبع، يتطابق استخدام يوحنا مع الاستخدام المعاصر العام في المقاطع التي تصف ببساطة الأشخاص الذين هم يهود وليسوا من بني إسرائيل: مرتين، في يوحنا، حدد الغرباء، أولاً امرأة سامرية ثم الحاكم الروماني، بيلاطس البنطي، يسوع نفسه بأنه "يهودي" (يوحنا 4: 9؛ 18: 34). وفي مقاطع أخرى، يبدو أن المصطلح يشير إلى اليهود - أي الأشخاص الذين يعيشون في أورشليم أو حولها - على النقيض من الجليليين والسامريين. وفي مقاطع أخرى، يُستخدم مصطلح "اليهود" بوضوح كمرادف للقادة اليهود. ولكن في بعض المقاطع التي قد تتداخل مع هذه، يستخدم يوحنا كلمة "اليهود" للإشارة إلى أشخاص غرباء عن يسوع ومعادين له؛ فهو يقول مرارًا وتكرارًا، على سبيل المثال، إن "اليهود سعوا إلى قتله"، وأن يسوع كان يتجنب في بعض الأحيان السفر إلى أورشليم "خوفًا من اليهود".

في الإصحاح الثامن، عندما ينخرط يسوع في حوار عدائي مع "اليهود الذين آمنوا به"، وأخيرًا يندد بـ "اليهود" باعتبارهم أبناء الشيطان، فمن الواضح أنه لا يقوم بتمييز عرقي بسيط، لأنه، بطبيعة الحال، في هذا المشهد، كان يسوع وجميع تلاميذه يهودًا بالإضافة إلى كونهم خصومًا لهم. وهنا، كما يجسد يسوع

التهمة الضمنية في إنجيلي مرقس ومتى، وهي أن الشيطان نفسه هو الذي بدأ خيانة يهوذا:

> وفي أثناء العشاء، كان الشيطان قد ألقى في قلب يهوذا الإسخريوطي ابن سمعان أن يسلمه... ثم بعد اللقمة دخله الشيطان. فقال له يسوع: "ما تريد أن تفعله فافعله بسرعة."... "فبعد أن أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً" (13: 2، 27-30).

لأن يوحنا يصر على أن يسوع، على الرغم من إدراكه الكامل للمسار المستقبلي للأحداث، يظل مسيطرًا عليها تمامًا، فإنه يكتب أن يسوع نفسه أعطى يهوذا اللقمة التي تسبق دخول الشيطان (محققًا بذلك نبوءة المزمور 41: 9). ثم يوجه يسوع يهوذا إلى التصرف اللاحق ("ما تنوي أن تفعله، فافعله بسرعة"). في تلك اللحظة المصيرية، التي تبدأ بخيانة يسوع، يصور يوحنا، مثل لوقا، "سلطان الظلمة" (راجع متى 1: 1-4). لوقا 22: 53) يخسف "نور العالم": ومن هنا جاءت عبارته النهائية الصارخة، *en de nux ("كان الليل")*.

هنا، فإن رواية الآلام هي أكثر من مجرد قصة؛ على حد تعبير يسوع يوحنا، إنها حكم أو أزمة (لترجمة المصطلح اليوناني *krisis* حرفيًا). عندما تنبأ يسوع بصلبه، أعلن أنه بدلاً من إظهار دينونة ضده، فإنه يُظهر دينونة الله على "هذا العالم"؛ وبدلاً من تدمير يسوع، فإنه سيدمر "حاكم العالم" الشيطاني:

> "الآن دينونة هذا العالم. الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجًا. وأنا متى ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع." قال هذا ليُظهر أي ميتة سيموتها (يوحنا 12: 31-32؛ انظر أيضًا 14: 30).

وهكذا يُحذِّر قراء يوحنا من أن الأحداث التي يصفها - ورواية يوحنا لها أيضًا - تعمل أيضًا على الحكم على أولئك الذين شاركوا في تدمير يسوع وإدانتهم باعتبارهم "أبناء الظلمة". يوحنا، مثل لوقا، يكتم كل أثر للمبادرة الرومانية في إعدام يسوع. في كل حلقة تقريبًا، يُظهر يوحنا ما يسميه أحد العلماء "مبالغة غريبة" للإصرار على أن اللوم في البدء والأمر وتنفيذ

الصلب يقع على عاتق أعداء يسوع المقربين، أي رفاقه اليهود.

على ما يبدو، باستخدام مصدر مبكر مستقل عن الأناجيل الأخرى، يذكر يوحنا أنه قبل القبض على يسوع،

> جمع رؤساء الكهنة والفريسيون السنهدرين وقالوا: "ماذا نفعل؟ هذا الرجل يقوم بالعديد من الآيات... "إن تركناه هكذا، سيأتي الرومان ويهلكوا قدسنا وأمتنا" (11: 47-48).

وأنا أتفق مع أولئك، ومن بينهم الباحث الكلاسيكي البريطاني فيرجوس ميلار، الذين يعتبرون هذا الجزء من رواية يوحنا أقرب إلى الأحداث الفعلية من روايات الأناجيل الأخرى.[22] وعلى النقيض من المحاكمة المعقدة التي يقدمها مرقس ومتى، يُظهر يوحنا لأعضاء المجلس القلقين بشأن الاضطرابات التي يثيرها يسوع بين الناس، دافعاً معقولاً لحكمهم، لأنهم يريدون حماية دوائرهم الانتخابية من خطر الانتقام الروماني، حتى مع خطر الإعدام غير العادل. وبعد أن خان يسوع "وأخذ يهوذا فرقة من الجنود [الرومانيين على الأرجح] وبعض الضباط من عند رؤساء كهنة الفريسيين" (18: 8)، قبض عليه الخاطفون وقيدوه واقتادوه إلى حنان "حمي رئيس الكهنة"، الذي بعد استجوابه "أرسله موثقًا إلى قيافا رئيس الكهنة". تذكر روزماري رويتر أن يوحنا هنا ينوي قمع التهم السياسية الموجهة ضد يسوع - بأنه ادعى أنه ملك - لصالح تهمة دينية، وهي أنه هدد الهيكل.[2]

ورغم أن يوحنا لم يذكر أي محاكمة أخرى أمام محكمة يهودية، فإنه

لا يترك مجالاً للشك في أن رؤساء الكهنة يريدون قتل يسوع. يصور يوحنا الكهنة على أنهم مراوغون ومتغطرسون عندما يسأل بيلاطس عن التهمة: "لو لم يكن هذا الرجل مجرمًا لما أتينا به إليكم" (18: 30). عندما أجاب بيلاطس، وهو لم يسمع أي تهمة، بلا مبالاة أو ازدراء، "خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم"، أجاب "اليهود"، "لا يجوز لنا أن نقتل أحداً" (18: 31).

ويصر بعض العلماء على أن هذا القول الأخير خاطئ. يزعم ريتشارد هازباند أنه بموجب القانون الروماني في القرن الأول، فإن التهمة اليهودية

الضمنية في مرقس ومتى ـ أن الشيطان نفسه هو الذي بدأ خيانة يهوذا:

> وفي أثناء العشاء، كان الشيطان قد ألقى في قلب يهوذا الإسخريوطي ابن سمعان أن يسلمه... ثم بعد اللقمة دخله الشيطان. فقال له يسوع: «ما تريد أن تفعله فافعله بسرعة». "فبعد أن أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً" (13: 2، 27-30).

لأن يوحنا يصر على أن يسوع، على الرغم من إدراكه الكامل للمسار المستقبلي للأحداث، يظل مسيطرًا عليها تمامًا، فإنه يكتب أن يسوع نفسه أعطى يهوذا اللقمة التي تسبق دخول الشيطان (محققًا بذلك نبوءة المزمور 41: 9). ثم يوجه يسوع يهوذا إلى التصرف اللاحق ("ما أنت مزمع أن تفعله، فافعله بسرعة"). في تلك اللحظة المصيرية، التي تبدأ بخيانة يسوع، يصور يوحنا، مثل لوقا، "سلطان الظلمة" (راجع متى 1: 1-4). لوقا 22: 53) يكسو "نور العالم": ومن هنا جاءت عبارته النهائية الصارخة، *en de nux (وكان الليل")*.

هنا، فإن رواية الآلام هي أكثر من مجرد قصة؛ على حد تعبير يسوع يوحنا، إنها حكم أو أزمة (لترجمة المصطلح اليوناني *krisis* حرفيًا). عندما تنبأ يسوع بصلبه، أعلن أنه بدلًا من إظهار دينونة ضده، فإن هذا يُظهر دينونة الله على "هذا العالم"؛ بدلًا من تدمير يسوع، سيُدمر "حاكم العالم" الشيطاني:

> "الآن دينونة هذا العالم. الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجًا. وأنا متى ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع." قال هذا ليبين أي ميتة سيموت بها (يوحنا 12: 31-32؛ انظر أيضًا 14: 30).

وهكذا يُحذِّر قراء يوحنا من أن الأحداث التي يصفها ـ ورواية يوحنا لها أيضًا ـ تعمل أيضًا على الحكم على أولئك الذين شاركوا في تدمير يسوع وإدانتهم باعتبارهم "أبناء الظلمة". يوحنا، مثل لوقا، يكتم كل أثر للمبادرة الرومانية في إعدام يسوع. في كل حلقة تقريبًا، يُظهر يوحنا ما يسميه أحد الباحثين "المبالغة الغريبة" للإصرار على أن اللوم يقع على عاتق الشخص المسؤول عن المبادرة والأمر والتنفيذ.

إن سقوط الصلب يقع على عاتق أعداء يسوع المقربين، أي رفاقه اليهود،

على ما يبدو، باستخدام مصدر مبكر مستقل عن الأناجيل الأخرى، يذكر يوحنا أنه قبل القبض على يسوع،

> جمع رؤساء الكهنة والفريسيون السنهدرين وقالوا: "ماذا نفعل؟ هذا الرجل يقوم بالعديد من الآيات... "إن تركناه هكذا، سيأتي الرومان ويهلكوا مقدساتنا وأمتنا" (11: 47-48).

وأنا أتفق مع أولئك، ومن بينهم الباحث الكلاسيكي البريطاني فيرجوس ميلار، الذين يعتبرون هذا الجزء من رواية يوحنا أقرب إلى الأحداث الفعلية من روايات الأناجيل الأخرى.[22] وعلى النقيض من المحاكمة المعقدة التي يقدمها مرقس ومتى، يُظهر يوحنا لأعضاء المجلس القلقين بشأن الاضطرابات التي يثيرها يسوع بين الناس، دافعًا معقولًا لحكمهم، لأنهم يريدون حماية دوائرهم الانتخابية من خطر الانتقام الروماني، حتى مع خطر الإعدام غير العادل. وبعد أن خان يسوع "وأخذ يهوذا فرقة من الجنود [الرومانيين على الأرجح] وبعض الضباط من عند رؤساء كهنة الفريسيين" (18: 8)، قبض عليه الخاطفون وقيدوه واقتادوه إلى حنان "حمي رئيس الكهنة"، الذي بعد استجوابه "أرسله موثقًا إلى قيافا رئيس الكهنة". تلاحظ روزماري رويتر أن يوحنا هنا ينوي قمع التهم السياسية الموجهة ضد يسوع - بأنه ادعى أنه ملك - لصالح تهمة دينية، وهي أنه هدد الهيكل.[25]

ورغم أن يوحنا لم يذكر أي محاكمة أخرى أمام محكمة يهودية، فإنه

لا يترك مجالاً للشك في أن رؤساء الكهنة يريدون قتل يسوع. يصور يوحنا الكهنة على أنهم مراوغون ومتغطرسون عندما يسأل بيلاطس عن التهمة: "لو لم يكن هذا الرجل مجرمًا لما أتينا به إليكم" (18: 30). عندما أجاب بيلاطس، وهو لم يسمع أي تهمة، بلا مبالاة أو ازدراء، "خذوه أنتم واحكموا عليه حسب شريعتكم"، أجاب "اليهود"، "لا يجوز لنا أن نقتل أحداً" (18: 31).

ويصر بعض العلماء على أن هذا القول الأخير خاطئ. يزعم ريتشارد هازباند أنه بموجب القانون الروماني في القرن الأول، احتفظ السنهدرين اليهودي

بحقه التقليدي في إعدام الأشخاص بسبب جرائم معينة تُعرف بأنها دينية، مثل انتهاك حرمة الهيكل، وانتهاك القانون، والزنا.[24] ويشير هازباند وعلماء آخرون إلى أنه بعد حوالي خمس سنوات فقط من وفاة يسوع، في عام 36 ميلادية، رجم اليهود حتى الموت تابعه ستيفن لأنه "تحدث ضد القانون". ولكن هل كان هذا غوغاءً شنقًا، أم حشدًا ينفذ حكمًا من السنهدرين؟

يكتب يوسيفوس أنه في عام 62 ميلادية، جمع رئيس الكهنة حنان الثاني مجلس السنهدرين وحكم على يعقوب شقيق يسوع بالموت رجما، مع العديد من الآخرين، بتهمة مخالفة القانون. يبدو أن هذه الإعدامات كلفت. استقال حنان الثاني من منصبه كرئيس كهنة بعد أن اشتكى بعض أهل أورشليم إلى الملك اليهودي أغريبياس الثاني والحاكم الروماني ألبينوس من أن حنان أعدم يعقوب وآخرين دون إخطار الوالي، ناهيك عن الحصول على إذنه. يصف يوسيفوس حالة لاحقة - حالة تشير إلى أن القادة اليهود أصبحوا أكثر حذراً بشأن تنفيذ الإعدام دون إذن روماني. رجل اسمه يسوع بن حنانيا، الذي تنبأ بصوت عالٍ بسقوط أورشليم ومعبدها، تم اعتقاله وضربه من قبل زعماء يهود بارزين. وعندما أحضروه أمام ألبينوس، الحاكم الروماني نفسه، على أمل الحصول على عقوبة الإعدام على ما يبدو،

> رفض يسوع الإجابة على أسئلة الحاكم، فسمح له ألبينوس بالذهاب باعتباره مجنونًا. وهكذا، ورغم غضبهم، فإن زعماء اليهود، الذين كان بوسعهم أن يعتقلوا ويجلدوا، لم يجرؤوا على إعدام يسوع هذا كما أعدموا يعقوب (أعمال 6: 2).

وبحلول الستينيات، بدا أن الإذن الروماني بالإعدام كان ضرورياً، أو على الأقل إجراءً ملائماً. ولعدم وجود أدلة قاطعة، لم تنجح التحقيقات العلمية المكثفة والنقاشات في حل هذه القضية. ولكن في حالة يسوع الناصري، نادراً ما تشير المصادر المسيحية إلى أن اليهود قاموا فعلاً بإعدام يسوع، سواء أقر الرومان هذا الفعل أم لا. على الرغم من أن الأناجيل لا تصف حكم بيلاطس الفعلي على يسوع بالموت، فإن الأدلة التاريخية وروايات الأناجيل تشير إلى أن الحاكم لابد أنه أمر جنوده بإعدام يسوع على أساس التحريض على الفتنة. وأما ما جرى بين

السلطات اليهودية والحاكم، فإن دليلنا الوحيد يأتي من الأناجيل نفسها ومن التفسيرات المسيحية واليهودية اللاحقة لهذه الأحداث، المشحونة بالاتهامات المتبادلة والجدل. أيا كان الوضع القانوني للسنهدرين فيما يتعلق بعقوبة الإعدام، فإن النقطة التي يريد يوحنا توضيحها واضحة بما فيه الكفاية: على الرغم من أن الرومان معروفون بتنفيذ إعدام يسوع بطريقتهم الخاصة (انظر 19: 32)، إلا أنهم فعلوا ذلك فقط لأن "اليهود" أجبروهم على ذلك. [25]

عندما سأل بيلاطس يسوع: "هل أنت ملك؟"، تهرب يسوع من

السؤال، فأجابه بيلاطس: "هل أنا يهودي؟" أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليّ، فماذا فعلت؟ (18 :35؛ التأكيد مضاف). يقول يسوع إنه لو كانت مملكته أرضية، "لكان خدامي يقاتلون لكي لا أُسَلَّم إلى اليهود" (18: 36) - وهو عكس ساخر للاتهامات الواردة في أناجيل مرقس ولوقا ومتى، والتي تصف اليهود مرارًا وتكرارًا بأنهم "يسلمون يسوع" إلى "الأمم".

في يوحنا كما في لوقا، يعلن بيلاطس ثلاث مرات براءة يسوع، ويقترح ثلاث مرات إطلاق سراحه؛ ولكن في كل مرة يصرخ رؤساء الكهنة وأولئك الذين يسميهم يوحنا "اليهود"، ويطالبون بيلاطس بدلاً من ذلك "بصلبه" (18: 38-40؛ 19: 5-7؛ 19: 14-15). ويشرح يوحنا أيضًا أن بيلاطس سمح لجنوده بجلد يسوع وتعذيبه فقط من أجل إثارة شفقة الجموع (19: 1-4)، وبالتالي تهدئة ما يسميه الباحث البريطاني دينيس نينهام "غضب اليهود الذي لا يشبع". [26] ويضيف يوحنا أنه عندما احتجوا بأن يسوع قد انتهك شريعتهم الدينية، وبالتالي "يستحق الموت"، كان بيلاطس "أكثر رعبًا" (19: 8). بالعودة إلى يسوع كما لو كان لا يزال يأمل في إيجاد طريقة لتبرئته، تلقى بيلاطس من السجين براءة نسبية من ذنبه: متحدثًا كما لو كان قاضي بيلاطس (كما يعتقد يوحنا أنه كذلك)، أعلن يسوع للحاكم أن "الذي أسلمني إليك له خطيئة أعظم". عندما هدد الحشد باتهام بيلاطس بالخيانة ضد روما (19: 12)، قام بيلاطس بمحاولة أخرى عبثية لإطلاق سراح يسوع - "أأصلب ملككم؟" - حيث أجاب رؤساء الكهنة: "ليس لنا ملك إلا قيصر"، وفي النهاية استسلم بيلاطس للصراخ. في هذه المرحلة، يقول يوحنا، إن بيلاطس، الذي لم يحكم على يسوع ولم يأمر بإعدامه، "سلمهم [يسوع] ليصلبوه" (19: 16). في هذا

المشهد، كما علق سي. إتش. دود، "يمارس الكهنة ضغطًا لا هوادة فيه، بينما يتحول الحاكم ويتضاعف مثل الأرنب المطارد". [27] وبعد أن سلم بيلاطس يسوع لليهود مباشرة، يواصل الراوي قائلاً: "فأخذوا يسوع... إلى المكان الذي يُدعى بالعبرية جلجثة". "فصلبوه هناك وصلبوا اثنين آخرين معه" (19: 17-18).

بعد رواية يوحنا للصلب، والتي يظهر فيها كيف أن موت يسوع المخزي يحقق النبوءة بكل تفاصيلها، يضيف أن يوسف الرامي، "تلميذ يسوع، وإن كان سريًا خوفًا من اليهود" (19: 38)، يطلب من بيلاطس أن يسمح له باستعادة جسد يسوع ودفنه. تشير القصة إلى أن أعداء يسوع كانوا حاقدين لدرجة أن يوسف وتلميذ سري آخر، نيقوديموس، كانا خائفين حتى من تقديم دفن لائق له. وقد ناقش العديد من العلماء دوافع يوحنا وراء تصوير بيلاطس على أنه يرغب في تحرير يسوع البريء، في حين قدم اليهود ليس فقط باعتبارهم "الأشرار، بل أقصى درجات الشر". [28]

ولكن بدلاً من تبرئة بيلاطس تماماً، فإن يسوع يوحنا، الذي لعب دور القاضي لقاضيه، كما رأينا، أعلن بيلاطس مذنباً بالخطيئة، رغم أنها كانت "أقل" خطيئة من اليهود. ومع ذلك، كما لاحظ بول وينتر:

> يصبح بيلاطس الصارم أكثر اعتدالاً من إنجيل إلى إنجيل [من مرقس إلى متى، ومن متى إلى لوقا ثم إلى يوحنا]. كلما ابتعد عن التاريخ، أصبحت شخصيته أكثر إثارة للتعاطف.[29]

وفيما يتعلق باليهود، "العدو الحميم" ليسوع، تحدث عملية موازية، ولكن في الاتجاه المعاكس؛ حيث يصبح اليهود أكثر عدائية على نحو متزايد. في المشهد الافتتاحي لإنجيل مرقس، يتحدى يسوع بجرأة ليس إخوانه اليهود، بل قوى الشر. ثم يدخل في صراع متزايد الشدة، أولاً مع "الكتبة" ثم مع الفريسيين والهيروديين، حتى حشود من شعبه، في صراع يصوره مرقس على أنه صراع داخلي يهودي بالأساس، مما أدى إلى تردد القوات الرومانية في إعدامه. كما رأينا في إنجيل متى، الذي كُتب بعد حوالي عشرين عامًا من إنجيل مرقس، يصور عداءً أشد وطأة وعدوانية بين يسوع وأغلبية معاصريه اليهود، حتى أنه اختار الملك هيرودس ليلعب دور

الطاغية المكروه فرعون. في الواقع، ما إن وُلد يسوع حتى اضطرب هيرودس و"كل أورشليم معه"، بما في ذلك على وجه الخصوص "جميع رؤساء الكهنة وكتبة الشعب"، فقرر هيرودس قتله. يصف متى الفريسيين، القادة الدينيين في عصره، بأنهم "أبناء الجحيم"، ومصيرهم، مع كل من يرفض تعاليم يسوع، العقاب الأبدي في "النار المخصصة لإبليس وجميع ملائكته". ومع ذلك، فإنني أتفق مع التحليل الأخير الذي أجراه أندرو أوفرمان بأن إنجيل متى نفسه يهدف إلى إظهار معركة بين مجموعات الإصلاح المتنافسة من اليهود، حيث تصر كل منها على تفوقها في البر، وتسمي كل منها الأخرى بأنها ممسوسة بالشيطان.[30]

ولوقا، كما رأينا، يذهب إلى أبعد من ذلك بكثير. لم يكد

الشيطان يظهر ليغري يسوع ويدمره حتى غضب جميع أهل بلدة يسوع عندما سمعوا خطابه العلني الأول في مجمعهم وحاولوا إلقائه من أعلى الجرف. فقط في ذروة رواية لوقا يعود الشيطان شخصيًا، إذا جاز التعبير، ليدخل إلى يهوذا وبالتالي لتوجيه العملية التي تنتهي بالصلب.

في حوالي عام 100 ميلادية، كتب يوحنا أن الشيطان هو

شخصية خارقة للطبيعة مستقلة (إذا كان يعرفه بالفعل، كما أظن). وبدلاً من ذلك، كما يروي يوحنا القصة، يظهر الشيطان، مثل الله نفسه، متجسدًا، أولاً في يهوذا الإسخريوطي، ثم في السلطات اليهودية عندما صعدوا معارضتهم ليسوع، وأخيرًا في أولئك الذين يسميهم يوحنا "اليهود" - وهي المجموعة التي يصفها أحيانًا بأنها حلفاء الشيطان، والتي أصبحت الآن منفصلة عن يسوع وأتباعه كما أن الظلمة منفصلة عن النور، أو أن قوى الجحيم منفصلة عن جيوش السماء.

إن تصوير الإنجيليين المتنوع للشيطان يتوافق مع

"التاريخ الاجتماعي للشيطان" - أي مع تاريخ الصراع المتزايد بين الجماعات التي تمثل أتباع يسوع ومعارضيهم. ومن خلال تقديم حياة يسوع ورسالته بهذه المصطلحات الجدلية، لا شك أن الإنجيليين كانوا يهدفون إلى تعزيز التضامن الجماعي. وفي هذه العملية، ساهموا بطرق كانت ستصبح ذات عواقب لا يمكن التنبؤ بها، في تشكيل فهم المسيحيين لأنفسهم في علاقتهم باليهود على مدى ألفي عام.

٧

مملكة الشيطان الأرضية: المسيحيون ضد الوثنيون

بين عامي 70 و 100 ميلادية ـ الفترة الفاصلة بين كتابة إنجيل مرقس وإنجيل يوحنا ـ أصبحت الحركة المسيحية

في معظمها من الأوممين. ووجد العديد من المتحولين أن تحولهم إلى المسيحية وضع حياتهم في خطر، وأنهم لم يتعرضوا للتهديد من قبل اليهود ولكن من قبل الوثنيين ـ الضباط الرومان وحشود المدن الذين يكرهون المسيحيين بسبب "إلحادهم"، الأمر الذي كان الوثنيون يخشون أن يجلب غضب الآلهة على مجتمعات بأكملها. وبعد جيلين فقط من مرقس ومتى، اعتنق الأمميون المسيحية، وكثير منهم وثنيون سابقون من المقاطعات الرومانية ـ آسيا الصغرى، وسوريا، ومصر، وأفريقيا، واليونان ـ مفردات الإنجيل لمواجهة عدو جديد. وكما زعمت الأجيال السابقة من المسيحيين أنهم رأوا الشيطان بين إخوانهم اليهود، فإن المتحولين الآن الذين يواجهون الاضطهاد الروماني يزعمون أنهم رأوا الشيطان وحلفائه الشياطين يعملون بين الأمم الآخرين.

إن ضغوط الاضطهاد الحكومي قد أدت إلى تعقيد مثل هذه التوصيفات للأمم كما وجدناها في متى ولوقا؛ هؤلاء الكتاب، على أمل الحصول على استماع إيجابي بين الجماهير من الأمم، قد صوروا الرومان وغيرهم من الأمم بطرق إيجابية بشكل عام، كما رأينا.[1] وطالما ظل المسيحيون حركة أقلية داخل المجتمعات اليهودية، فإنهم كانوا يميلون إلى اعتبار اليهود الآخرين أعداء محتملين، والأمميين بمثابة معتنقين محتملين. على الرغم من أن الرسول بولس، عندما كتب حوالي عام 55 ميلادية، اشتكى من أنه واجه الخطر في كل منعطف ـ "خطر اللصوص، خطر شعبي، خطر الأمم،

حتى خطر الإخوة الكذبة"[11] (2 كورنثوس 11: 26) - فهو يذكر الاضطهاد الفعلي فقط من إخوانه اليهود: "خمس مرات تلقيت من أيدي اليهود أربعين جلدة إلا واحدة؛ ثلاث مرات ضربت بالعصي؛ مرة واحدة رُجمت" (2 كورنثوس 11 :24). وبحسب رواية لوقا في سفر أعمال الرسل، كان بولس ينظر إلى القضاة الرومان باعتبارهم حماته ضد العداء اليهودي؛ وبولس نفسه، عندما كتب إلى المسيحيين في روما، أمرهم بأن "يطيعوا السلطات العليا؛ لأنه لا سلطان إلا من الله، والسلطات القائمة هي من وضع الله"، حتى في حقهم الممنوح لهم من الله في "حمل السيف" و"تنفيذ غضب الله" (رومية 13 :1).

لكن بولس نفسه أُعدم، ربما بأمر من قاضٍ روماني؛ وبعد حوالي عشر سنوات، عندما ألقى العديد من الرومان اللوم على الإمبراطور نيرون في إشعال حريق دمر جزءًا كبيرًا من روما، أمر الإمبراطور بالقبض على مجموعة من المسيحيين، واتهمهم بإشعال النار عمدًا، وأمر بتعليقهم في حديقته وحرقهم أحياءً كمشاعل بشرية.[2]

أحد أتباع بولس، مدركًا لظروف وفاة معلمه والمخاطر المختلفة التي يواجهها المسيحيون، حذر في رسالة منسوبة إلى بولس، تُسمى رسالة أفسس، من أن المسيحيين لا يصارعون ضد مجرد بشر:

> "إن مصارعتنا ليست ضد لحم ودم [كائنات بشرية]، بل ضد السلطات، ضد الرؤساء، ضد حكام العالم على ظلمة هذا الدهر، ضد أجناد الشر الروحية في السماويات" (6: 12).

يعبر هذا المؤلف البولسي عن الشعور بالحرب الروحية التي يعيشها العديد من المسيحيين، وخاصة أولئك الذين يواجهون الاضطهاد. يقول كاتب سفر الرؤيا أنه عانى من النفي "بسبب كلمة الله وشهادة يسوع" (رؤيا يصف يوحنا بولس الثاني، وهو على دراية بمعاناة الآخرين من السجن والتعذيب والموت على أيدي القضاة الرومان، رؤى مرعبة ومبهجة تستحضر صورًا نبوية تقليدية للحيوانات والوحوش لوصف قوى روما، والتي يحددها بـ "الشيطان والشيطان" (20: 2؛ pas

sim). وعلى الرغم من موقف الأناجيل التصالحي عمومًا تجاه الرومان، فإن رواية الصلب تدعو المسيحيين إلى رؤية قوى شيطانية تعمل من خلال المسؤولين الرومان وكذلك من خلال القادة اليهود؛ ويذهب لوقا إلى حد الإشارة إلى أن صلب يسوع قد أدى إلى تحالف غير مقدس بين بيلاطس وهيرودس، بحيث أصبحت السلطات الرومانية واليهودية أصدقاء "في ذلك اليوم" (23: 12).

كان المتحولون من غير اليهود الذين كانوا مكروهين من قبل غيرهم من غير اليهود - غالبًا أفراد أسرهم، وسكان مدنهم، وحكام مدنهم - يعتقدون أن عبدة الآلهة الوثنية مدفوعون من قبل الشيطان لتهديد شعب الله. مع تزايد توجه الوعاظ المسيحيين إلى غير اليهود، وجد الكثيرون أن ما أثار استياء معظم اليهود في المسيحية أثار استياء الوثنيين أكثر: "قطع المسيحيون الروابط التقليدية بين الدين وأمة أو شعب"، وكما يشير المؤرخ روبرت ويلكن، "كان الناس القدماء يعتبرون أن الدين مرتبط ارتباطًا لا ينفصم بمدينة أو أمة أو شعب معين". [3] لقد حدد اليهود دينهم بالشعب اليهودي ككل، موحدًا بالتقاليد، على الرغم من تشتته في جميع أنحاء العالم؛ بالنسبة للوثنيين، كانت التقاليد تتلخص على وجه التحديد في احترام العادات القديمة وتكريم الأخلاق التقليدية. لكن الحركة المسيحية شجعت الناس على التخلي عن العادات والتقاليد القديمة وكسر الروابط المقدسة للعائلة والمجتمع والأمة.

الحركة التي بدأت كطائفة داخل اليهودية، والتي

رفضها أغلبية اليهود، الذين رفضوها بدورهم، ناشدت الآن الناس من كل أمة وقبيلة للانضمام إلى "المجتمع المسيحي" الجديد وكسر جميع الروابط السابقة من القرابة والانتماء. "في المسيح"، كما أعلن الرسول بولس، "لم يعد هناك يهودي ولا يوناني... عبد ولا حر، ذكر ولا أنثى" (غلاطية 3: 28)؛ بالنسبة لأولئك "المولودين من جديد" في المعمودية (يوحنا 3: 5-8)، يتكون العالم من نوعين فقط من الناس - أولئك الذين ينتمون إلى ملكوت الله، ومواطنتهم في السماء (عبرانيين 12: 22-24؛ 13: 14)، وأولئك الذين لا يزالون يحكمهم الشرير، رعايا الشيطان.

وعلى الرغم من الاستنكار الروماني الرسمي والعداء الوثني الشعبي، فقد نمت الحركة. يتفاخر ترتليان، المتحول من شمال إفريقيا، في نداء موجه إلى الأباطرة الرومان:

> "إن أولئك الذين كانوا يكرهون المسيحية في الماضي... بدأوا الآن يكرهون ما كانوا عليه في السابق، ويعترفون بما كانوا يكرهونه في السابق..." إن الصراخ هو أن الدولة مليئة بالمسيحيين - وأنهم في الحقول، وفي المدن، وفي الجزر؛ ويشكو كثير من الناس، كما لو كانوا يعانون من كارثة ما، من أن الرجال والنساء، من كل الأعمار والحالات، وحتى الأشخاص ذوي المكانة العالية، ينتقلون إلى اعتناق الإيمان المسيحي. [4]

ما الذي قد يدفع الوثنيين إلى "الاعتراف بما كانوا يكرهونه سابقًا" - حتى لو أدى ذلك إلى تعريض حياتهم للخطر؟ لقد ترك لنا ترتليان وعدد قليل من الآخرين - جوستين من ساحل آسيا الصغرى، وتلميذه تاتيان من سوريا، وأوريجانوس المصري - بعض الأدلة.

كان جوستين شابًا جاء إلى روما من آسيا الصغرى حوالي عام 140 ميلاديًا لمتابعة دراسته للفلسفة، وذهب ذات يوم مع أصدقائه إلى المدرج لمشاهدة معارك المصارعة المذهلة التي كانت تُقام هناك للاحتفال بأعياد ميلاد الإمبراطور. هتف المتفرجون للرجال الذين كانوا يتوددون إلى الموت بتهور، وابتهجوا لحظة الضربة القاضية. كان الجمهور يجن جنونه عندما يمد مصارع مهزوم رقبته بتحدٍ ليواجه سيف خصمه؛ وكانوا يسخرون ويطلقون صيحات الاستهجان عندما يندفع الخاسر في حالة من الذعر.[5]

لقد تفاجأ جوستين عندما رأى وسط هذا الترفيه العنيف مجموعة من المجرمين يتم اقتيادهم إلى الخارج ليتم تمزيقهم بواسطة الوحوش البرية. لقد أذهلته الشجاعة الهادئة التي قابلوا بها إعدامهم العلني الوحشي، وخاصة عندما علم أن هؤلاء كانوا أناسًا أميين، مسيحيين، وصفهم السيناتور الروماني تاسيتس بأنهم "طبقة من الناس مكروهة بسبب خرافاتهم"، وأن مؤسسهم، كريستوس، عانى هو نفسه من "أقصى عقوبة" في عهد بيلاطس البنطي قبل حوالي مائة عام.[6] لقد اهتز جوستين بشدة، لأنه رأى مجموعة من الناس غير المتعلمين يحققون بالفعل ما اعتبره أفلاطون وزينو أعظم إنجاز لفيلسوف - قبول الموت بهدوء؛ وهو إنجاز لم يكن سوى سخرية من تبجح المصارعين. وبينما كان يراقب، أدرك جوستين أنه كان يشهد شيئًا يتجاوز الطبيعة تمامًا، معجزة؛ بطريقة أو بأخرى، استغل هؤلاء الأشخاص مصدرًا عظيمًا وغير معروف للقوة.

وكان جوستين ليكون أكثر دهشة لو علم أن هؤلاء المسيحيين لم يروا أنفسهم كفلاسفة بل كمقاتلين في صراع كوني، محاربي الله ضد الشيطان. وكما علم جوستين في وقت لاحق، فإن ثقتهم المذهلة كانت نابعة من قناعتهم بأن معاناتهم وموتهم كانا في الواقع يعجلان بانتصار الله على قوى الشر، القوى المتجسدة في القاضي الروماني الذي حكم عليهم، وفي المتفرجين مثل جوستين نفسه.

وبعد مرور بعض الوقت، بينما كان يتجول بمفرده في حقل بالقرب من البحر، التقى جوستين بشكل غير متوقع برجل عجوز اتضح أنه عضو في هذه المجموعة؟ في البداية سأل الرجل العجوز جوستين عن سعيه وراء الفلسفة؛ ولكن بدلاً من أن ينبهر، كما توقع جوستين، تحداه الرجل العجوز وقال إنه لن يتمكن أبدًا من إيجاد التنوير في الفلسفة.

ما كان جوستين يبحث عنه في الفلسفة لم يكن مجرد الفهم الفكري بل إدراك الذات: كيف أعيش لكي أكون سعيدًا؟ ما هي خطوات التحول؟ في مرحلة مبكرة من بحثه الفلسفي، يقول جوستين إنه "سلم نفسه" لمعلم رواقي، على أمل أن يتجاوز وجهة نظره "الإنسانية" العادية. وعد المعلمون الرواقيون أنه من خلال دراسة الفيزياء - والتي تعني حرفيًا "الطبيعة" - يمكن للمرء أن يتعلم كيفية وضع كل حدث أو عقبة أو ظرف في حياته ضمن منظور عالمي، والمشاركة في الإلهي، وهو مرادف للطبيعة. يقول جوستين إنه شعر بالإحباط لأن معلمه نادراً ما تحدث عن الإلهيات وأحبط الأسئلة حول هذا الموضوع؛ لذلك غادر جوستين وبدأ الدراسة مع فيلسوف مشّائيّ. بعد بضعة أيام، عندما طالبه معلمه الجديد برسوم دراسية، استقال جوستين من اشمئزازه، وقرر أن الرجل "ليس فيلسوفًا على الإطلاق". لم يستسلم جوستين؛ فحاول بعد ذلك الاستعانة بمعلم فيثاغورس، الذي عرض عليه تعليمه الانضباط الجسدي والعقلي لضبط الروح مع الإلهي. قيل له إنه يجب عليه إتقان علم الفلك والرياضيات والموسيقى قبل أن يتمكن حتى من البدء في فهم "ما الذي يجعل الحياة سعيدة"، وقد ترك جوستين هذا المعلم أيضًا.

مهزومًا وعاجزًا، اكتشف جوستين أخيرًا في تعاليم

أحد المفسرين اللامعين لأفلاطون ما كان يعتقد أنه الطريق الصحيح. ويقول إنه قد أحرز بالفعل تقدمًا كبيرًا نحو التنوير،

ويتوقع أن يتمكن قريبًا من رفع عقله لفهم الإلهي. لكن المسيحي العجوز الذي التقى به أثناء سيره على شاطئ البحر تحدى فرضيته الفلسفية الأساسية: "هل توجد إذن مثل هذه القوة العظيمة في عقولنا؟ هل يستطيع العقل البشري أن يرى الله من خلال قدرته الخاصة؟ أعرب الرجل العجوز عن أسوأ مخاوف جوستين - أنه كان يضيع وقته؛ وأن العقل البشري، مهما كان التعليم وزيادة القدرات، غير قادر جوهريًا على الوصول إلى هذا الهدف؛ لا يستطيع العقل أن يفهم الله من خلال جهوده الخاصة.

عندما تحداه الرجل العجوز لأول مرة، اعترض جوستين بشدة، مكررًا الكليشيهات الأفلاطونية. لاحقًا، عندما أعاد جوستين سرد القصة، اعترف بسخرية سذاجته السابقة: فقد وجد نفسه يكرر عبارة "يقول أفلاطون... وأنا أصدقه". وبعد أن شعر جوستين بالغباء بشكل متزايد، أدرك أن اعتراضاته على حجج الرجل العجوز نابعة ببساطة من قبوله الأعمى لسلطة أفلاطون - وليس من أي قناعة أو خبرة خاصة به.

وبينما كان جوستين يتحدث مع الرجل العجوز، رأى لأول مرة أنه تعثر في عملية أعمق بكثير مما يمكن للعقل أن يستوعبه. كان جوستين يفترض أنه يمتلك عقلًا حرًا للتفكير بشكل عقلاني في كل شيء، بما في ذلك الإلهي. والآن سمع العكس: أن العقل نفسه موبوء بقوى شيطانية تشوه تفكيرنا وتشوشه. قبل أن يتمكن هو - أو أي شخص آخر - من تحقيق الفهم، قال الرجل العجوز، يجب على جوستين أن يتلقى الروح الإلهية - وهي قوة أعظم بكثير من فهمنا، وهي قوة "تنير العقل". [10] ولكن أولاً، كان على جوستين أن يخضع لطرد الأرواح الشريرة، وهي طقوس يقوم فيها المحتفل، الممتلئ بالروح الإلهية، باستدعاء تلك الروح لطرد القوى الشيطانية التي تسكن عقل وجسد المرشح وتحتجزه، مثل كل غير المعمدين، أسيرًا للارتباك والجهل.

وبعد جدال حاد مع الرجل العجوز وصراع داخلي كبير،

اقتنع جوستين بأن المسيحيين قد اكتشفوا القدرة على الوصول إلى قوة عظيمة - قوة إلهية، كانت موجودة دائمًا، تنتظر اختراق الغيوم، والتي جلبتها إلى الأرض طقوس المسيحيين القوية، بدءًا من المعمودية.[11]

يقول جوستين إنه قبل أن يتركه الرجل العجوز، نصح الشاب

بأن "يصلي لكي تُفتح لك أبواب النور قبل كل شيء؛ لأن هذه الأشياء لا يمكن إدراكها أو فهمها من قبل الجميع، ولكن فقط من قبل الشخص الذي أعطاه الله ومسيحه الحكمة". [12]

يقول جوستين: "بعد أن غادر،

اشتعلت في نفسي على الفور شعلة، وامتلكني حب... لأولئك الناس الذين هم أصدقاء المسيح؛ وبينما كنت أقلب كلماته مرارًا وتكرارًا في ذهني، وجدت أن هذه الفلسفة وحدها آمنة ومفيدة".[13]

في بحثه عن "أصدقاء المسيح" الآخرين، طلب جوستين أن يصبح مرشحًا لطقس المعمودية. لا يخبرنا بقصة معموديته، لكن مصادر أخرى تشير إلى ما يلي: بعد أن صام وصلى ليجهز نفسه، كان جوستين ينتظر، ربما في الليلة التي تسبق عيد الفصح، الطقوس التي ستطرد القوى الشيطانية الساكنة فيه وتمنحه حياة إلهية جديدة. أولاً، يطلب المحتفل معرفة ما إذا كان جوستين مستعدًا "للتخلي عن الشيطان، وكل مظاهره، وملائكته"؛ فيعلن جوستين بشكل طقسي ثلاث مرات: "أنا أتخلى عنهم". ثم ينزل جوستين عاريًا إلى النهر، ويغمر نفسه فيه دلالة على موت الإنسان القديم وغسل الخطايا. وبمجرد نطق الاسم الإلهي واستدعاء المحتفل للروح للنزول عليه، سيخرج مولودًا من جديد، ليُلبس ثيابًا بيضاء جديدة على الشاطئ ويُقدم له مزيج من الحليب والعسل - طعام الأطفال، المناسب للمولود الجديد.[14]

قال جوستين إنه نال في المعمودية ما سعى إليه عبثًا في الفلسفة: "هذا الغسل نسميه الاستنارة؛ لأن أولئك الذين يتعلمون هذه الأشياء يصبحون مستنيرين في فهمهم". ثم أوضح لاحقًا لمهتدين محتملين آخرين، "بما أننا ولدنا دون وعي أو اختيار، من خلال علاقات والدينا، ونشأنا في عادات سيئة وعادات شريرة"، فإننا نتعمد "لكي لا نكون أطفالًا بعد الآن".

"إنهم ليسوا أبناء الضرورة والجهل، بل يصبحون أبناء الاختيار والمعرفة." [110] إن ولادته الطقسية لوالدين جديدين - الله والروح القدس - مكّنت جوستين من التخلي ليس فقط عن عائلته الطبيعية ولكن أيضًا عن "العادات والتقاليد الشريرة" التي علموه إياها منذ الطفولة - وفوق كل شيء، "التقوى التقليدية" تجاه الآلهة، الذين رآهم الآن كأرواح شريرة. وبعد أن دخل العالم المسيحي القاسي والمستقطب، انضم جوستين إلى هؤلاء المسيحيين الشجعان والأميين الذين شهد موتهم الدموي في المدرج الروماني. والآن، مثلهم، رأى جوستين الكون بأكمله كساحة معركة تتصادم فيها القوى الكونية.

اعتقد جوستين أن عينيه انفتحت فجأة على الحقيقة وراء المظاهر التي تبدو غير ضارة: تماثيل الرخام للإلهتين فورتونا وروما التي كان يراها كل يوم في السوق، وصورة هرقل التي كانت ترأس الحمامات العامة، وتماثيل ديونيسوس وأبولون في المسرح. خلف تلك الوجوه المألوفة المنحوتة، أدرك جوستين الآن "القوى الروحية الشريرة في الأماكن السماوية". فجأة، أدرك جوستين، كما أدرك بولس، أن القوى التي تلعب على الإنسانية العاجزة ليست بشرية ولا إلهية، كما تصور الوثنيون، بل شيطانية.

لقد نشأ جوستين في أسرة وثنية تؤمن بالتقوى التقليدية، وتحترم قوى الطبيعة باعتبارها إلهية. بالنسبة للوثنيين المتدينين، كما يقول الكلاسيكي أ. هـ. أرمسترونغ،

> فإن الآلهة القديمة تتمتع بجمال وخير الشمس والبحر والريح والجبال والحيوانات البرية العظيمة؛ حقائق رائعة وقوية وخطيرة لا تندرج ضمن نطاق الأخلاق، ولا تهتم بأي حال من الأحوال بالجنس البشري.1

امتزجت العبادة الوثنية بالرهبة والرعب من القوى الهائلة التي تهدد جنسنا البشري الهش. لقد حذر العراف في دلفي العابدين، "اعرفوا أنفسكم"، ليس كدعوة للتأمل أو التأمل السامي، ولكن كتذكير صريح بأنهم بشر، زائلون، حرفيًا، "مخلوقات يوم واحد"، مدفوعون نحو الحياة والموت من خلال التفاعل بين القوى الكونية التي تتجاوز بكثير فهمهم.

ومنذ القرن السادس قبل الميلاد فصاعدًا، فكر الفلاسفة

في هذه القوى الكونية بطرق مختلفة. تحدث أفلاطون عن "الضرورة"،

وتحدث آخرون عن قوى "القدر" أو "المصير" التي تحكم الكون. قام الفلاسفة الرواقيون اللاحقون بـ"نزع الأساطير" عن الأساطير القديمة وإعادة تفسير الآلهة أنفسهم - زيوس، هيرا، أفروديت - على أنهم يمثلون عناصر الكون الطبيعي. وقد اقترح البعض، على سبيل المثال، أن هيرا تمثل الهواء، وزيوس يمثل البرق والرعد، وإيروس وأفروديت يمثلان الطاقات الجنسية التي تدفعنا إلى الجماع، وآريس يمثل الطاقة العدوانية التي تدفعنا إلى الحرب.[18] وقد اتفق العديد من الفلاسفة الكلاسيكيين على أن هذه الآلهة لم تكن سيئة ولا جيدة في حد ذاتها؛ ورغم أن الآلهة قد تبدو متقلبة ــ أحياناً خيرة، وأحياناً أخرى معادية ــ فإن معظم المفكرين الوثنيين اتفقوا على أن مثل هذه الأحكام لا علاقة لها بالآلهة أنفسهم، بل فقط بردود الفعل البشرية على أحداث محددة.

بالنسبة لجوستين، فإن التحول غيّر كل هذا. لقد أصبح كل إله وروح

عرفها على الإطلاق، بما في ذلك أبولو وأفروديت وزيوس، الذين كان يعبدهم منذ الطفولة، يعتبرهم الآن حلفاء للشيطان - على الرغم من العرض الرائع لمواكبهم العامة، ومعابدهم الآلاف وكهنتهم المتألقين، وعلى الرغم من حقيقة أن الإمبراطور نفسه كان يعبدهم، والذي كان بمثابة البابا الأعظم لهم. وُلِد جوستين من جديد، ورأى عالم الطاقات الروحية، التي أطلق عليها الفلاسفة الوثنيون المتدينون اسم "الشياطين"، على حد تعبيره، "شياطين دنسة". [19] وبحلول الوقت الذي اجتاحت فيه الحركة المسيحية العالم الغربي، كانت لغتنا تعكس هذا التصور المعكوس، وكان المصطلح اليوناني *daimones*، "طاقات الروح"، سيصبح، في اللغة الإنجليزية، شياطين. يقول جوستين:

> "نحن الذين من بين كل عرق من البشر، كنا في يوم من الأيام نعبد ديونيسوس ابن سيميلي، وأبولون ابن ليتو، الذين في شغفهما بالبشر فعلوا أشياء من المخجل حتى ذكرها؛ الذين كنا نعبد بيرسيفون وأفروديت... أو أسكلبسيوس، أو أي شخص آخر من أولئك الذين يُدعون آلهة، الآن، من خلال يسوع المسيح، نحتقرهم، حتى لو كان ذلك على حساب الموت... نحن نشفق على أولئك الذين يؤمنون بمثل هذه الأمور، والتي نعلم أن الشياطين هم المسؤولون عنها.[21]

يقول جوستين إن الفلاسفة الذين يقولون إن "كل ما يحدث، يحدث وفقًا للضرورة الحتمية" قد ثبت خطأهم، وذلك من خلال أدلة

أولئك "المولودين من جديد لله"؛ لأننا نرى فيهم "نفس الشخص ينتقل إلى أشياء معاكسة". [22] يقول جوستين إنه وجد أن "كلمات المسيح" لها "قوة رهيبة يمكن أن تلهم أولئك الذين يبتعدون عن الطريق الصحيح" [23]؛ الآن هو وإخوانه المسيحيون، الذين كانوا مدفوعين ذات يوم، مثل معظم الآخرين بالعاطفة والجشع والكراهية،

> يقفون بعيدًا عن الشياطين ويتبعون الله؛ ... نحن، الذين استمتعنا ذات يوم بالزنا، نعتنق الآن ضبط النفس؛ نحن، الذين ... قدرنا اكتساب الثروة والممتلكات فوق كل شيء آخر، نضع الآن ما لدينا في صندوق مشترك، ونشاركه مع كل محتاج؛ نحن، الذين كرهنا وقتلنا بعضنا البعض، ولم نشارك حياتنا مع بعض الناس بسبب اختلافاتهم العرقية عنا، نعيش الآن معهم بشكل حميمي. [24]

يرى جوستين في حياته وحياة المسيحيين من حوله دليلاً على القوة الإلهية التي تمكنهم من العيش "خارج الطبيعة". وكما أن هؤلاء المسيحيين الذين شاهدهم يموتون في البحر بعد أن تغلبوا بشجاعتهم الملهمة على غريزة البقاء، فإنه يقول إن آخرين قد تغلبوا على طغيان الدوافع الغريزية:

> "إن العديد منا، رجالاً ونساءً، ممن اعتنقوا المسيحية منذ الطفولة، ظلوا طاهرين في سن الستين أو السبعين؛ وأنا أفتخر بأنني أستطيع أن أنتج مثل هؤلاء الناس من كل عرق... وماذا أقول عن الجموع التي لا تعد ولا تحصى التي أصلحت عاداتها الفاسدة؟ [25]

يذكر جوستين أولئك الذين تم كسر رغباتهم القوية - على سبيل المثال، شرب الخمر القوي. ويقول جوستين إن كثيرين غيرهم "غيّروا تصرفاتهم العنيفة والاستبدادية"، متغلبين على "التحمل المذهل والصبر والصدق الثابت" الذي وجدوه في جيرانهم المسيحيين.[26]

احتفالاً بالمجتمع الجديد الذي شكله هؤلاء الناس "المولودون من جديد"،[27] يرى جوستين الآن المجتمع القديم شريرًا - مجتمع يتخلى، على سبيل المثال، عن الأطفال الرضع ليموتوا أو ليربيهم الانتهازيون، الذين يدربونهم على البغاء ويبيعونهم في سوق العبيد

"مثل قطعان الماعز أو الأغنام؟" 2 *كطالب فلسفة متميز، ربما كان جوستين قد أظهر اللامبالاة الأخلاقية؛ لكنه بدلاً من ذلك كان غاضبًا بشأن هؤلاء الأطفال المهجورين، وانتقد النسبيين الأخلاقيين الذين يفتخرون بتطورهم الفلسفي: "إن أسوأ الشرور على الإطلاق هو القول بأن الخير والشر ليس شيئًا في حد ذاته، بل إنهما مجرد مسألة رأي بشري". [29]

حياة جوستين الآن لها اتجاه أخلاقي. يقارن بين الحياة الطبيعية التي عاشها ذات يوم كفريسة سلبية للشياطين، والحياة المليئة بالروح التي يعيشها الآن:

> لقد تعلمنا كيف نجد الله... ونعتقد أنه من المستحيل على الشرير أو الحسود، أو المتآمر، أو الصالح أن يفلت من نظر الله؛ وأن كل إنسان يلقى العقاب الأبدي أو الخلاص بحسب قيمة أعماله.[30]

في حياته الجديدة، يرى جاستن أن دوره في الكون قد تعزز بشكل كبير؛ فالموقف الذي يتخذه والاختيارات التي يتخذها لا تحدد مصيره الأبدي فحسب، بل تجعله الآن مقاتلاً فعالاً في الصراع العالمي بين روح الله والشيطان. [31]

ومع ذلك، يدرك جوستين المفارقة - والرعب - في وضعه الجديد: فقد انتزعه تلقي التنوير الإلهي من كل ما كان مألوفًا له، وأبعده عن عائلته وأصدقائه، واقتلعه من جزء كبير من ثقافته. الأمر الأكثر إثارة للخوف هو أنه جرده من كل الأمان. إن طرد الأرواح الشريرة الذي قام به أثناء معموديته وضعه في مواجهة الآلهة التي كان يعبدها طوال حياته، وفي صراع مميت محتمل مع كل من عرفه تقريبًا على الإطلاق - وقبل كل شيء، مع السلطات الحكومية. وهو الآن ينتمي إلى مجموعة تنظر إليها الأغلبية الرومانية وقضاة الحكومة بعين الريبة والازدراء، على الرغم من كل جهود الإنجيليين لتهدئة مخاوفهم.[32] أولئك الذين يتهمون علنًا بالولاء للمسيح معرضون للاعتقال والاستجواب، وغالبًا تحت التعذيب؛ "الاعتراف" يعني الإدانة الفورية بالموت، بقطع الرأس، إذا كان المرء محظوظًا بكونه مواطنًا رومانيًا، أو، إن لم يكن كذلك، بالتعذيب المطول والتشهير العامة،

بما في ذلك الحكم بمواجهة الوحوش - أي تمزيقه بواسطة حيوانات برية في الساحة الرياضية العامة، يعرف جوستين حالات تعرض فيها المؤمنون أو عبيدهم، بما في ذلك النساء والأطفال، للتعذيب حتى "اعترفوا" برؤية المسيحيين يرتكبون فظائع، بما في ذلك الأكل الطقسي للحوم البشر وشرب دماء الأطفال حديثي الذبح. قبل ثلاثين عامًا فقط، حتى مسؤول رزين مثل بليني، حاكم بيثينيا في آسيا الصغرى، بعد أن اقتنع بتعذيب المسيحيين بأنهم غير مذنبين بارتكاب أفعال إجرامية، قرر أنهم يستحقون عقوبة الإعدام، ولو لمجرد "عنادهم". [33]

ولكن لماذا يثير مجرد ذكر الاسم المسيحي مثل هذه الكراهية العنيفة وغير العقلانية؟ عند التفكير في هذا السؤال، يجد جوستين أدلة في ما يسميه مذكرات الرسل (التي نسميها نحن الأناجيل). هناك يقرأ جوستين أنه بعد أن نزل روح الله على يسوع في المعمودية، قاوم الشيطان وحلفاؤه الشياطين يسوع، وأخيرًا طاردوه حتى الموت. وهكذا أيضًا الآن، يدرك جوستين، عندما ينزل الروح على المعمدين، أن نفس القوى الشريرة التي حاربت يسوع تهاجم أتباعه. تُظهر الأناجيل لجوستين كيف يمكن للطاقات الروحية، الشيطانية والإلهية، أن تسكن داخل البشر، غالبًا دون علمهم، وتدفعهم نحو الدمار - أو نحو الله. والآن يفهم جوستين تحذير بولس بأن

> صراعنا ليس ضد لحم ودم، بل ضد السلطات، ضد الرؤساء، ضد حكام العالم على ظلمة هذا الدهر، ضد القوات الروحية الشريرة في السماويات (أف 6 :12).

إن الاعتقاد بأن الطاقات غير المرئية تدفع البشر إلى العمل لم يكن جديدًا بالطبع؛ فقد كان مقبولًا عالميًا في جميع أنحاء العالم الوثني. قبل ألف عام، وصف هوميروس كيف تلعب مثل هذه الطاقات على البشر - كيف ألهمت أثينا أخيل للحرب البطولية، وكيف استولت أفروديت على هيلين طروادة وامتلكتها، ودفعتها إلى العاطفة الزانية التي قادت شعبها إلى الحرب. عند تذكر

موت سقراط، أدرك جوستين بصدمة أن سقراط نفسه قال نفس الشيء الذي يقوله المسيحيون - أن كل الآلهة التي يمدحها هوميروس هي في الواقع طاقات شريرة تفسد الناس، "تغوي النساء وتغتصب الأولاد" وترهب الناس ليعبدوها كآلهة.[34] ولهذا السبب، كما يقول جوستين، ندد سقراط بالدين التقليدي واتُهم بالإلحاد. هذه القوى الشيطانية نفسها، الغاضبة من سقراط لتهديده بكشف هويتهم، دفعت الغوغاء الأثينيين إلى إعدامه. ويدرك جوستين أن هذا الخداع الشيطاني الشامل هو المسؤول عن الكراهية غير العقلانية التي يثيرها مجرد وجود المسيحيين بين الوثنيين - ليس فقط بسبب المشاعر العنيفة للغوغاء الجاهلين والفوضويين، ولكن أيضًا بسبب تجريم المسيحيين، الذي وافق عليه حتى أكثر الأباطرة استنارة الذين حكموا روما على الإطلاق.

يوجه جوستين بجرأة رسالة احتجاج مفتوحة إلى هؤلاء

القادة - الإمبراطور أنطونيوس بيوس وابنيه، الأمير الرواقي ماركوس أوريليوس، الذي يطلق عليه "الفيلسوف الحقيقي"، و"لوسيوس الفيلسوف" - مناشدًا إياهم باعتبارهم زملاء في الفلسفة، على أمل، كما يقول، أن يفتحوا أعينهم. يعلن جوستين أنه يكتب نيابة عن "أولئك الناس من كل أمة الذين يتعرضون للكراهية والقتل ظلماً؛ وأنا جوستين، ابن بريسكوس وحفيد باخوس، من فلافيا نيابوليس، وأنا واحد منهم". [35] من خلال التعريف بنفسه علنًا مع أولئك الذين يسعى الشياطين إلى قتلهم، يبدأ جوستين تحديًا عامًا لن ينتهي بالعفو ولكن، كما يعترف أنه يخشى، بمحاكمته وإعدامه.

على الرغم من أن جوستين بدأ بمخاطبة الإمبراطور أنطونيوس بيوس وأبنائه بكل احترام، إلا أنه سرعان ما أخبرهم بصراحة أنه على الرغم من تطلعاتهم الفلسفية، فإنهم ليسوا حتى أسياد عقولهم. "حتى الآن،" يحذر جوستين حكام العالم الروماني، "يسعى هؤلاء الشياطين إلى إبقائكم عبيدًا لهم، من خلال منعكم من فهم ما نقوله." [36] يقول جوستين إن كراهيتهم العلنية غير العقلانية للمسيحيين تثبت أن عقولهم قد استحوذت عليها نفس الأرواح الشريرة التي حرضت الأثينيين على قتل سقراط؛ والآن، وللسبب نفسه، تدفعهم هذه الأرواح إلى قتل المسيحيين.

لم يمض وقت طويل بعد أن كتب جوستين إلى الأباطرة (ومن الواضح أنه لم يتلق أي رد) حتى سمع عن قضية تتعلق باعتقال امرأة أرستقراطية اعتنقت المسيحية. قبل اعتناقها المسيحية، تقول جوستين إنها كانت تشارك زوجها في علاقات سكر مع عبيد منزلهما وغيرهم من الناس؛ ولكن بعد المعمودية، أصبحت واعية، ورفضت المشاركة في مثل هذه الأفعال، وأرادت الطلاق منه. أقنعها أصدقاؤها بالبقاء معه، على أمل التصالح، ويقول جوستين: "لقد انتهكت مشاعرها وبقيت معه". ولكن عندما سمعت أن زوجها، في رحلة إلى الإسكندرية، تصرف بشكل أسوأ من أي وقت مضى، طلبت الطلاق وتركته. أبلغ زوجها عنها للسلطات باعتبارها مسيحية، ورغم أنها نجحت في تأخير محاكمتها من خلال الاستئناف إلى الإمبراطور، إلا أن زوجها انقلب غاضبًا على بورفيري، معلمها في المسيحية، وأمر باعتقاله مع العديد من الآخرين وإعدامهم على الفور.[37]

وقد أثار هذا الحكم انزعاج جوستين وقلقه، فكتب رسالة احتجاج ثانية،

موجهًة هذه المرة إلى "مجلس الشيوخ المقدس". [38]* وبعد فترة من الوقت تم اتهام جوستين نفسه واعتقاله واستجوابه. أمر روستيكوس، حاكم روما، جوستين وطلابه الذين تم القبض عليهم معه بـ "طاعة الآلهة والخضوع للحكام". عندما عُرض عليه البراءة من عقوبة الإعدام إذا ضحى للآلهة، رفض جوستين بتحدٍ: "لا يتحول أي شخص في عقله الصحيح من التقوى إلى الكفر". وحذر روستيكوس المتهم مرة أخرى من العواقب، وبعد أن وجدها حاسمة، أصدر الحكم:

> "يجب أن يُضرب أولئك الذين رفضوا تقديم التضحيات للآلهة وإطاعة أوامر الأباطرة، ويُقتادوا بعيدًا ليعانوا عقوبة قطع الرأس، وفقًا للقوانين."[39]

بعد أن خسروا قضيتهم في المحكمة الرومانية، سار جوستين ورفاقه نحو زنزانة الجلد، وهم يعزون أنفسهم بأنهم رغم ذلك فازوا في المعركة الحاسمة؛ لقد انتصروا على الشياطين، الذين استخدموا الرعب - الخوف من الألم والموت - كسلاحهم النهائي.

ولو كان الحكام الذين خاطبهم جوستين قد قرأوا بالفعل عرائضه

(ومن المرجح أن يكون أحد السكرتيرين الإمبراطوريين قد أودعها

في أرشيف حكومي)، لكانوا قد نظروا إلى رؤية جوستين للعالم الروحي بازدراء.[40] ربما كان ماركوس أوريليوس، المعروف جيدًا من الكتابات المحفوظة في مذكراته الخاصة، ليكره "الفلسفة المسيحية" لجوستين باعتبارها عظيمة بشكل فاحش - على عكس ما اعتبره ماركوس الحقائق التي اكتسبها هو نفسه بشق الأنفس من الفلسفة.[41] كان ماركوس، الذي كان يحظى بالاحترام في عهده باعتباره سيد العالم المتحضر (حوالي 161-180)، يقدر أكثر من إكليلا إمبراطوريته ويكرم الفلسفة الدينية التي ساعدته على تحمل مسؤولياته ودعمته خلال الوحدة والإحباط والحزن. في جولته اليومية من الواجبات، كان ماركوس يلجأ باستمرار إلى التأمل الفلسفي لتذكير نفسه بأنه، مثل أي شخص آخر، كان خاضعًا للقوى التي تحكم الكون.

نشأ ماركوس على يد والده الإمبراطور أنطونيوس بيوس ليتولى الحكم. تخلى ماركوس على مضض عن الفلسفة، حبه الأول، من أجل دراسة أنشطة عملية مثل فنون الدفاع عن النفس، والتحدث أمام الجمهور، وركوب الخيل، وبناء شخصية مناسبة للإمبراطور. يمتدح ماركوس والده باعتباره أعظم نموذج للشخصية الإنسانية، ويمتدح الآلهة لجميع الظروف التي رافقت حياته، وخاصة لقدرته الإلهية على "تخيل حياة تعيش وفقًا للطبيعة بوضوح وفي كثير من الأحيان"، و"التذكيرات - وتقريبًا، التعليمات - من الآلهة"، الذين يجسدون قوى الطبيعة.[4.9]

على الرغم من أن ماركوس غالبًا ما يعبر عن نفسه بلغة التقوى التقليدية، إلا أنه كان قد تبنى تأملات بعض المعلمين الرواقيين مثل موسونيوس روفوس، الذي أعاد تفسير "الآلهة القديمة" - زيوس، وهيرا، وأفروديت، وأبولو - باعتبارها عناصر من الكون الطبيعي. في عملية نزع أسطورة الأساطير القديمة، كان الفلاسفة الرواقيون يميلون إلى التقليل من الصفات الغريبة والمتقلبة والمعادية التي نسبها الشعراء القدماء هوميروس وسافو وهسيود إلى الآلهة.[43] لقد توصل ماركوس إلى الاعتقاد بأن جميع الآلهة والشياطين ("الكائنات الروحية")، مهما بدت فوضوية أو حتى متضاربة، هي في الواقع جزء من نظام كوني واحد.[44] وحيدًا، في الليل، يكتب في مذكراته، ربما في خيمة معسكرة مع جنوده في البرية الغريبة على طول أحد روافد نهر الدانوب أو على نهر الهون،

في سهول غاريان، غالبًا ما يعبر ماركوس عن الرهبة الممزوجة بإحساس واضح بضعف جنسنا البشري الهش. ومع ذلك فهو يعتقد أن التقوى تتلخص في الخضوع طوعاً للطبيعة، والضرورة، والقدر، وهي مصطلحات يعتبرها ماركوس قابلة للتبادل. في ذهنه ليس هناك شك في أننا جميعًا خاضعون لهذه القوى الكونية؛ السؤال الوحيد هو ما إذا كان بإمكاننا أن نخضع أنفسنا لها بهدوء.

بصفته رجلاً يحاول ترويض مشاعر الغضب والحزن، يذكر ماركوس نفسه باستمرار أن "الموت، مثل الولادة، هو لغز من أسرار الطبيعة[45] حيث يكمل كل منهما الآخر بالضرورة:

> كل ما يحدث هو عادي ومتوقع مثل وردة الربيع أو ثمرة الصيف؛ وهذا ينطبق على المرض والموت والافتراء والمؤامرة مثل أي شيء آخر... لذا، إذا كان لدى الشخص حساسية وبصيرة أعمق للأشياء التي تحدث في الكون، فإن كل شيء تقريبًا، حتى لو كان مجرد نتاج ثانوي لشيء آخر، سيساهم في المتعة، كونه، بطريقته الخاصة، جزءًا متناغمًا من الكل.[46]

في استذكاره لمعارك المصارعة والعروض التي تصور أشخاصًا تمزقهم الحيوانات البرية حتى الموت، يعتقد ماركوس أن الفيلسوف الحقيقي

> سوف ينظر إلى الفكين المفتوحين للحيوانات البرية بسرور لا يقل عن سروره بالتمثيلات الفنية لها؛ وسوف يكون قادرًا على تقدير جودة العمر لدى كبار السن، رجالًا ونساءً، والنظر بحكمة معتدلة إلى الجمال الإيروتيكي للشباب.[47]

يتحدث ماركوس عن "الآلهة" باعتبارها القوى الكونية الهائلة التي من خلالها تُنسج حياتنا الفردية في نسيج الوجود، والذي ستذوب فيه عناصرنا في النهاية:

> إن النفس البشرية تكون أكثر غطرسة عندما تصبح، بقدر ما تستطيع،
> نوعًا من الخراج أو الورم في الكون. فالشكوى من أي شيء يحدث هي تمرد على الطبيعة..[48]

إن ماركوس يدرك تمامًا أن الكارثة والحظ السعيد "يقعان دون تمييز على أولئك الذين هم طيبون وأولئك الذين هم أشرار"، ويكافح من أجل فهم هذه الحقيقة. هل يعمل الكون ببساطة بشكل فوضوي، "بدون تصميم ولا اتجاه"؟ [49] هل الصدق يقتضي منا أن نصبح ملحدين؟ ولكنه يرفض فكرة أن الحياة لا معنى لها، ويقول بدلاً من ذلك،

> أليس من الخلل في الطبيعة، كما لو كانت الطبيعة جاهلة، أو عاجزة، أو ترتكب أخطاء، أن تسقط الأشياء الجيدة والشريرة دون تمييز على أولئك الذين هم طيبون وأولئك الذين هم أشرار؟ [50]

على العكس من ذلك، فإن هذا التمييز يظهر أن "الحياة والموت، والسمعة والعار، والألم والمتعة، والثروة والبؤس، ليست في الواقع خيرًا ولا شرًا"؛ بدلاً من ذلك، كل ذلك على حد سواء هو ببساطة جزء من "عمل الطبيعة". ومع ذلك، فإن ما ينطوي عليه الخير والشر هو كيفية استجابتنا لما تفعله الطبيعة:

> الشيء الوحيد الذي يجعل الرجل الصالح فريدًا هو أنه يحب ويرحب بكل ما حدث، وما حُكِم له بالقدر؛ و... لا يُدنِّس الروح الإلهية في داخله... ويتبع الله بانسجام.[51]

عازمًا على تجاوز استجاباته الطبيعية للخيانة والخسارة - الغضب والشفقة على الذات والحزن - يوجه ماركوس كل طاقته الأخلاقية نحو الانضباط في ممارسة التوازن، وغالبًا ما يعود إلى ما أطلق عليه القدماء "الحزن الذي لا يطاق"، فقدان طفل. لقد شهد ماركوس وزوجته فوستينا، مثل العديد من معاصريهما، هذا الأمر مرارًا وتكرارًا؛ حيث مات أحد عشر من أصل أربعة عشر طفلاً ولدوا لهما في سن الرضاعة أو الطفولة. خلال إحدى هذه الأزمات كتب ماركوس لنفسه: "أرى أن طفلي مريض". فهمت. ولكنني لا أرى أنه في خطر"[52]- لأن فلسفته تصر على أن الموت يعادل الحياة. يوبخ ماركوس نفسه بشدة على اندفاعه للصلاة، "دعوا طفلي ينجو"[53]؛ حتى أن التمني بأن يعيش طفله ولا يموت، يعتقد ماركوس، هو "شكوى ضد الطبيعة". يعزي ماركوس نفسه بكلمات أبكتاتوس، أحد أعظم أساتذة الرواقية: "عندما تقبّل طفلك، أهمس في

نفسك، "أخشى أنك قد تكون ميتًا". "كلمات مشؤومة" وبخ آخرون أبكتاتوس، لكنه أجاب، "لا على الإطلاق، بل تشير فقط إلى فعل من أفعال الطبيعة. هل سيكون من المشؤوم الحديث عن حصاد الذرة الناضجة؟ [54] مثل أبكتاتوس، يتجاهل ماركوس الاعتراض الواضح بأن الطفل لا يكون "ناضجًا" لحصاد الموت؛ فهو يفكر فقط في أن كل واحد منا سوف يسقط، "مثل حبات البخور على المذبح، بعضها عاجلاً وبعضها لاحقاً؟" [55] وهكذا، يواصل حواره الداخلي، بدلاً من أن يقول: "كم أنا غير محظوظ لأن هذا قد حدث لي"، ينبغي للمرء أن يسعى إلى القول: "كم أنا محظوظ لأن هذا قد حدث، ومع ذلك ما زلت سالماً، لا يسحقني الحاضر، ولا أخشى المستقبل؟" [56] يتأمل ماركوس في تقلبات الحظوظ - اغتيال الأباطرة فجأة، وتحرير العبيد - ويقول لنفسه:

> كل ما يحدث لك، بالنسبة لك، جاء من القدر؛ وتشابك الأسباب نسج في نسيج واحد وجودك وهذا الحدث. [57]

إن المادة الأساسية لإيمان ماركوس تتضمن وحدة كل الكائنات:

> كل الأشياء منسوجة مع بعضها البعض، والرابط الذي يوحدهم مقدس؛ ونادراً ما يكون أي شيء غريباً عن أي شيء آخر. لأنهما منظمان في علاقتهما ببعضهما البعض، ويتحدان معًا لتنظيم نفس الكون. لأن هناك كونًا واحدًا يتكون من كل الأشياء؛ وجوهر واحد، وقانون واحد، وسبب إلهي واحد، وحقيقة واحدة؛ و... أيضًا تحقيق واحد للكائنات الحية التي لها نفس الأصل، وتشترك في نفس الطبيعة؟ [58]

يرى ماركوس أن الطبيعة والمصير قد اندمجا في واقع واحد مشحون إلهيًا، ويسعى جاهدًا لقبول مصيره باعتباره مسألة التزام ديني. إنه لا يتوقع أقل من أي شخص آخر - بالتأكيد من أي شخص يطمح إلى الفلسفة.

كان ماركوس فريدًا من نوعه؛ إذ لم يحاول سوى عدد قليل من الوثنيين بناء مثل هذا التوليف

الفعال بين الفلسفة والأخلاق والتقوى. ومع ذلك، فإن جميع الذين عبدوا الآلهة تقريبًا يتفقون على أن هذه الطاقات غير المرئية

ترأس كل عنصر من عناصر الحياة، وتمنح الخصوبة أو تمنعها، وتحدد عند الولادة متوسط عمر كل شخص، وتخصص الصحة والثروة لبعض الناس، وللآخرين الفقر والمرض والعبودية، فضلاً عن الإشراف على مصير كل أمة.

كان العديد من الوثنيين، وربما الأغلبية، يؤدون الطقوس في مهرجانات المعابد، ويشاركون في الأعياد، ويسكبون القرابين المقدسة، وبالتالي يقدسون هذه القوى الخارقة للطبيعة باعتبارها عناصر من "الإلهي". ولكن بحلول زمن ماركوس، كان العديد من العابدين قد اتفقوا على أن جميع الآلهة والشياطين، حتى تلك التي تبدو في صراع مع بعضها البعض، يجب أن تكون جزءًا من نظام كوني موحد، سواء أطلقوا عليه اسم الإلهي، أو الطبيعة، أو العناية الإلهية، أو الضرورة، أو القدر.

إن الإيمان بالقوة الكونية للقدر، والتي ناضل ماركوس من أجل قبولها، أثار في الآخرين دافعًا قويًا لمقاومة
قوتها الشاملة. وكما أظهر هانز ديتر بيتز وجون غاجر، فقد زار العديد من الناس السحرة الذين زعموا أنهم قادرون على استدعاء بعض الشياطين وربطها، مقابل أجر، لتحسين الصحة، أو لضمان النجاح في الحب، أو سباقات الخيل، أو الأعمال التجارية.[59] وسعى آخرون إلى الانضمام إلى الطوائف الأجنبية، على أمل أن يجدوا في آلهة مصرية غريبة مثل إيزيس وسرابيس قوة إلهية تفوق قوة كل الآلهة الأكثر شهرة، ويمكنها أن تقلب مراسيم القدر. يصف لوسيوس أبوليوس، الذي ربما خضع هو نفسه لتدريب صارم على أسرار إيزيس، اكتشافه المذهل بأن عبادة الإلهة المصرية يمكن أن تكسر قوة القدر:

> انظر هنا لوسيوس، الذي يفرح برعاية إيزيس القوية. ها هو قد تحرر من قيود الشقاء، وانتصر على مصيره.[60]

على الرغم من أن العديد من الوثنيين قد آمنوا بأن جميع قوى الكون هي في نهاية المطاف واحدة، إلا أن اليهود والمسيحيين فقط هم الذين عبدوا إلهًا واحدًا واستنكروا جميع الآلهة الأخرى باعتبارها شياطين شريرة. لقد قسم المسيحيون العالم الخارق للطبيعة إلى معسكرين متعارضين، الإله الواحد الحقيقي ضد أسراب الشياطين؛ ولم يبشر أحد غير المسيحيين بالانقسام على الأرض ـ ويمارسونه.[61] ومن خلال رفضهم عبادة الآلهة، كان المسيحيون يدقون

إسفينًا بينهم وبين جميع الوثنيين، بين العقوبات الإلهية والحكومة الرومانية ـ وهي حقيقة تم الاعتراف بها على الفور
بواسطة روستيكوس، معلم ماركوس في الفلسفة الرواقية وصديقه الشخصي، الذي، في دوره العام كحاكم لروما، حكم شخصيًا على جوستين وطلابه وحكم عليهم بالإعدام.

بعد قطع رأس جوستين، كتب تلميذه الشاب تاتيان، وهو شاب سوري متحمس اعتنق المسيحية، "خطابًا لاذعًا إلى اليونانيين"، يبدأ بمهاجمة الفلسفة والدين اليوناني، وينتهي بإدانة الحكومة والقانون الرومانيين. يريد تاتيان أن يُظهر "للإغريق" -الذين يفهمهم تاتيان على أنهم "وثنيون"- أوهامهم الشيطانية. ويطرح السؤال الحاسم:

> لأي سبب، أيها الوثنيون، تريدون أن تحشدوا القوى العقلية الحاكمة ضدنا، كما في مباراة مصارعة؟ [63]

ثم يعلن استقلاله الروحي:

> إذا لم أرغب في الالتزام ببعض عاداتكم، فلماذا أكره كما لو كنت حقيرًا؟ هل يأمرني المحافظ بدفع الضرائب؟ أنا أفعل ذلك طوعا. هل يأمرني بالخدمة؟ أنا أعترف بخضوعي. "فإن الإنسان يجب أن يكرم البشر على نحو يليق بهم، ولكن يجب أن يخاف الله وحده، ذلك الذي لا يمكن رؤيته بالعين البشرية، ولا يمكن إدراكه بأي وسيلة معروفة لنا."[63]

يتفق تاتيان مع جوستين في أن الوثنيين لا يستطيعون فهم عنف استجابتهم للمسيحيين حتى يبدأوا في رؤية أن كل القوى الخارقة للطبيعة التي يعبدونها هي كائنات شريرة تأسرهم. كل القوى التي يعبدونها ليست أكثر من تداعيات مستمرة لتمرد كوني بدائي. وهكذا يبدأ تاتيان، مثل جوستين، من البداية: "الله هو روح"، كما يوضح، خالق الكائنات الخارقة للطبيعة والبشر على حد سواء. في الأصل، كانت جميع الكائنات الخارقة للطبيعة حرة، ولكن، كما يوضح تاتيان، مستشهدًا بالروايات اليهودية عن سقوط الملائكة، "تمرد البكر على الله، وأصبح شيطانًا... وأولئك الذين قلدوه... وأوهامه، أصبحوا جيشًا من الشياطين". [64] هذا السرب من الشياطين، يغضب عندما يعاقب

ارتداده، ضعيف للغاية بحيث لا يستطيع الانتقام من الله: "لا شك أنهم لو استطاعوا، فسوف يهدمون السماوات بأنفسهم، مع بقية الخليقة".[65] ولأنهم امتنعوا عن تدمير الكون بالكامل، فقد وجهوا كل طاقاتهم نحو استعباد البشرية. "مستوحى من الحقد العدائي تجاه البشرية"، يروعون الناس بالصور التي يرسلونها في الأحلام والخيالات. لا ينكر تاتيان أن هؤلاء "الآلهة" يمتلكون قدرات حقيقية؛ فهو يقول إنهم يستخدمون قوتهم للسيطرة على العقول البشرية. ولا يقتصر استهداف الشياطين على الأميين والخرافيين فقط. إن الفلسفيين السفسطائيين من أمثال ماركوس أوريليوس ليسوا أقل عرضة للخطر من صانع الأحذية المحلي، لأنه كما قد تظهر فلسفة ماركوس نفسه، فإن الشياطين بإمكانهم تحويل الفلسفة نفسها إلى وسيلة لإخضاع الناس
لطغيانهم. يسخر تاتيان من الفلاسفة، ويصف

أرسطو بأنه "سخيف" بسبب تصريحه الشهير بأن الإنسان مجرد "حيوان عاقل" *(logikon zoon)*، وهو جزء من النظام الطبيعي؟ [66] حتى الفيلة والنمل، كما يقول تاتيان، هي "حيوانات عقلانية" بمعنى أنها "تشارك في الطبيعة الغريزية والعقلانية للكون"، ولكن أن تكون إنسانًا يعني أكثر من ذلك بكثير. وهذا يعني أن الإنسان يشارك في الروح، لأنه خُلق على صورة الله الذي هو روح.[67]

يسخر تاتيان من الفلاسفة، ويرفض بشدة أن يرى نفسه كجزء من الطبيعة فقط. يقول تاتيان إنه منذ معموديته، لم يعد إحساسه بذاته له أي علاقة بالطبيعة تقريبًا؛ "بعد ولادته من جديد"، أصبح الآن يتماهى مع الله الذي يقف وراء الطبيعة. يرى تاتيان وجوده الأساسي كروح، غير قابلة للتدمير في نهاية المطاف:

> حتى لو أبادت النار جسدي، وبدد الكون مادته، ورغم تشتتي في الأنهار والبحار، أو تمزقي بواسطة الحيوانات البرية، فأنا محفوظة في مخزن سيد ثري... والله الملك، عندما يشاء، سيعيد المادة التي لا يراها إلا هو إلى نظامها الأصلي.[68]*

إن قوة القدر ليست إلهية، كما يتصور ماركوس، بل هي مجرد مؤامرة شيطانية؛ إذ كان شيطان، كما يشرح تاتيان بسخرية، من نسل الملائكة الساقطين، هم الذين،

> بعد أن أظهروا للبشر خريطة لموقع النجوم، اخترعوا القدر ـ وهو ظلم هائل*. "فإن الذين يحكمون والذين يُحكم عليهم هم كذلك بفعل القدر؛ والقتلة وضحاياهم، والأغنياء والمعوزين، هم ذرية نفس المصير؛ وكل ولادة بشرية تُعتبر بمثابة نوع من الترفيه المسرحي من قبل أولئك الكائنات التي يقول عنها هوميروس: "إن بين الآلهة يثيرون ضحكًا لا يُطفأ" (التأكيد مضاف)؟" [69]

وكما يتوافد المتفرجون على مدرجات المدينة لتسلية أنفسهم، فيراهنون بينما يشاهدون بعض المصارعين يفوزون وآخرين يموتون في عذاب، كذلك يقول تاتيان، فإن الآلهة تسلي نفسها بالانتصارات والمآسي البشرية. لكن أولئك الذين يقدسون الآلهة عن جهل "ينسبون الأحداث والمواقف إلى القدر، معتقدين أن مصير كل شخص يتشكل منذ الولادة"؛ وهم "يستخدمون الأبراج ويدفعون ثمن العرافة والتنجيم" لمعرفة ما يخبئه القدر.

يسخر تاتيان من هؤلاء الناس الخرافيين لفشلهم في رؤية أن المرض والمعاناة الأخرى تحدث ببساطة بسبب عناصر جوهرية في تكويننا الجسدي: والمثير للدهشة أنه يجعل المرض والحوادث والموت أمورًا علمانية، ويزيلها مما هو فوق طبيعي. ورغم أن الجميع معرضون لهذه الطوارئ، كما يقول تاتيان، فإنها لا تمتلك أي سلطة حقيقية على الأشخاص الذين ينتمون إلى الله، لأن المعمودية تكسر الروابط التي كانت تربطنا ذات يوم بالقدر وبالطبيعة. الآن، يقول،

> نحن متفوقون على القدر، وبدلاً من عبادة الكواكب والشياطين، أصبحنا نعرف ربًا واحدًا... نحن لا نتبع هداية القدر، بل نكفر [بالشياطين] الذين أسسوه.[70]

يرفض تاتيان الاعتراف بأي خضوع للطبيعة، ويرفض الخضوع لمطالب الثقافة والمجتمع اللذين ولد فيهما جسديًا:

> أنا لا أريد أن أكون حاكمًا؛ أنا لا أهتم بالثراء؛ أنا أرفض القيادة العسكرية؛ أنا أكره الفجور الجنسي؛ أنا

> لا أدفع بأي حب لا يشبع للمال للذهاب إلى البحر؛ أنا لا أتنافس على السمعة؛ أنا خالٍ من التعطش الجنوني للشهرة؛ أنا أحتقر الموت؛ أنا متفوق على كل أشكال المرض؛ الحزن لا يلتهم سوقي إذا كنت عبدًا، فأنا أتحمل العبودية؛ إذا أنا حر، ولا أفتخر بمولدي السعيد لماذا أنت "مُقدَّر" في كثير من الأحيان أن تتمسك بالأشياء، وأن تموت في كثير من الأحيان؟ موتوا للعالم، رافضين الجنون الذي يسوده. عش لله، ومن خلال إدراكك لله، ستدرك طبيعتك ككائن روحي خلق على صورته.[71]

لقد شن تاتيان هجوما عنيفا على الطبيعة والثقافة - وهي جدالات تعبر عن الشكوك حول كل منهما والتي سوف تنسج في اللاهوت المسيحي - لمدة تقرب من ألفي عام. إن نوع الهجوم الذي شنه تاتيان من شأنه في نهاية المطاف أن يؤدي إلى تغيير مواقف الغرب تجاه الحضارة اليونانية. لقد أصبحت الحضارة الكلاسيكية بالنسبة للمسيحية الغربية مرادفة للوثنية تقريبًا.[72] ومثل جوستين، احتج تاتيان على اللامبالاة الوثنية تجاه الحياة البشرية:

> أرى أناسًا يبيعون أنفسهم ليُقتلوا؛ يبيع الرجل نفسه، ويشتري الرجل الغني شخصًا ليقتله؛ ولهذا يجلس المتفرجون في مقاعدهم، ويتواجه المقاتلون في قتال فردي بدون أي سبب على الإطلاق؛ ولا ينزل أحد من المدرجات للمساعدة!... كما تذبحون الحيوانات لتأكلوا لحومها، كذلك تشترون البشر لتقدموا وليمة آكلي لحوم البشر للنفس، وتغذونها بأبشع أنواع سفك الدماء. يرتكب اللصوص جرائم القتل من أجل الغنائم؛ لكن الرجل الغني يشتري المصارعين ليشاهدهم وهم يُقتلون! [73]

لا يبالغ يا تاتيان هنا. يذكر الباحث الفرنسي جورج فيليس أن المتفرجين في المدرج الروماني قد يشاهدون ما يصل إلى ثلاثمائة وخمسين مصارعًا يموتون أمام أعينهم في يوم ترفيهي واحد [74]

يعلن تاتيان تحرره من كل الانتماءات الدنيوية، ويتحدى الحكام الوثنيين علنًا: "أنا أرفض تشريعاتكم، ونظام حكمكم بأكمله". إن الولاء للإله الواحد الحقيقي وحده "يمكن أن يضع حدًا للعبودية الموجودة في العالم،

و ينقذنا من حكام كثيرين، ثم من عشرة آلاف طاغية" - محررًا المؤمن من طغاة شيطانيين لا حصر لهم وفي الوقت نفسه من آلاف الحكام البشر الذين يسيطرون عليهم سرًا. [75]

نحن لا نعرف تقريبًا أي شيء عن حياة تاتيان أو ما تعنيه هذه الإدانة بالنسبة له في الممارسة العملية؛ ولكننا نعرف ما يعنيه ذلك بالنسبة للشاب المسيحي المصري المسمى أوريجانوس، الذي كان في السابعة من عمره عندما رأى والده المسيحي الحبيب، ليونيدس، يُعتقل ويُعدم على الفور لرفضه التضحية للآلهة. وبعد ذلك قرر أوريجانوس، الذي لُقّب فيما بعد بأدامانتيوس ("الأدامانت" أو "الذي لا يقهر")، أن يكون محاربًا في صف الله ضد قوى الشيطان. منذ الطفولة، كما سنرى، شهد أوريجانوس صراعًا مريرًا - ثم سلسلة مذهلة من التحولات والانعكاسات - في العلاقة بين المسيحيين والقوة الإمبراطورية. لقد ظل حذراً من أصحاب السلطة طيلة حياته. على الرغم من اعتقاده بأن المسيحيين استفادوا من السلام الذي وفرته الإمبراطورية الرومانية، إلا أنه أصبح أول مسيحي يجادل علنًا بأن الناس لديهم حق أخلاقي فطري في اغتيال الطغاة.

وُلِد أوريجانوس عام 185 لأب روماني وأم مصرية، وكلاهما مسيحيان معمدان، وكان عمره سبع سنوات عندما قُتل الإمبراطور الحاكم، لوسيوس كومودوس، الابن الوحيد الباقي لماركوس أوريليوس، في حمامه.[76] وألقت الشائعات باللوم على مؤامرة في القصر شملت مدرب كومودوس الرياضي ومارسيا، محظيته؛ لكن حشودًا من الناس، عندما سمعوا بوفاة الإمبراطور، تدفقوا إلى الشوارع للاحتفال، لأن كومودوس تمرد على كل ما مثله والده الموقر. بحلول الوقت الذي تم خنقه فيه، كان كومودوس محتقرًا على نطاق واسع باعتباره مجنونًا وطاغية؛ فقد صدم ناخبيه بتظاهره بأنه مصارع، وانخراطه في معارك عامة في الساحة، والتخلي فعليًا عن مسؤولياته الإمبراطورية من خلال لعب دور العبد. لقد أهمل أيضًا اضطهاد المسيحيين: يبدو أن مارسيا كانت تفضل المسيحيين وشجعت كومودوس على تركهم وشأنهم.

استمرت معارك الخلافة لمدة ثلاث سنوات. خرج سيبتيموس سيفيروس منتصراً، وبعد سبع سنوات، في عام 202 ميلادية، بدأ في اتخاذ تدابير جديدة

لتطهير إمبراطوريته من المسيحيين. في ذلك الوقت رأى أوريجانوس والده يُعتقل مع آخرين، ويُتهم بالاعتراف بالمسيحية، ويُحكم عليه بقطع الرأس؛ ويبدو أنه كان محميًا بالمواطنة الرومانية، كما كان جوستين، من التعذيب البطيء والإعدام العلني.

بينما كان ليونيدس في السجن، حاول أوريجانوس بشكل متهور الانضمام إلى جماعة الشهداء والنجاة من الموت، كما قيل، فقط لأن أمه أخفت ملابسه حتى لا يتمكن من مغادرة المنزل. لكن أوريجانوس حث والده بشدة على عدم اليأس بسبب قلقه على زوجته وأولاده السبعة: "احذر أن تغير رأيك بسببنا". [77] لقد صمد والده، ولكن إعدامه ترك الأسرة معدمة، حيث صادرت الدولة ممتلكاته باعتباره مجرمًا محكومًا عليه بالإعدام. لم ينس أوريجانوس أبدًا أن القوى الإمبراطورية، مهما بدت حميدة في نظر العديد من المسيحيين فيما بعد، قد تُظهر في أي لحظة أصولها الشيطانية.

لقد تم إنقاذ أوريجانوس من الفقر بفضل كرم مسيحية غنية، حيث دعته إلى منزلها ودعمته لعدة أشهر بينما استمر في دراسة الأدب والفلسفة. في العام التالي، وبعد أن تم الاعتراف بتفوقه وتعليمه، وهو في الثامنة عشرة من عمره، بدأ أوريجانوس في التدريس بمفرده، معيلاً نفسه وأمه وأطفالها الستة الأصغر سناً. استمر الاضطهاد الذي كلف ليونيدس حياته في الإسكندرية مع عدة تغييرات إدارية؛ حيث تم القبض على العديد من تلاميذ أوريجانوس نفسه وإعدامهم بتهمة اعتناق المسيحية، وعاش هو نفسه تحت الشكوك. هددت حشود غاضبة حياته أكثر من مرة، خاصة عندما تجاهل المخاوف على سلامته واحتضن علنًا صديقًا محكومًا عليه بالإعدام، رجل يُدعى بلوتارخ، وحضر إعدامه. حتى الآن، نجا أوريجانوس نفسه من الاعتقال والاستجواب، ربما لأن اضطهاد سيفيروس كان يستهدف المتحولين من الطبقة العليا، وخاصة المواطنين الرومان، مثل والد أوريجانوس والعديد من طلابه. يبدو أن أوريجانوس كان محميًا لأنه ورث من والدته المصرية المكانة المتدنية التي منحها القانون الروماني للمواطنين الأصليين غير الأجانب.

عندما كان أوريجانوس في السادسة والعشرين من عمره، وما زال يعلم ويكتب

ويفسر الكتاب المقدس، توفي سيبتيموس سيفيروس وخلفه

ولدان، أحدهما، كاراكالا، اغتال على الفور شقيقه جيتا لكنه ترك المسيحيين بمفردهم. في الوقت الحالي، بدت الحكومة حميدة إلى حد ما. في أحد الأيام من عام 215، أثناء حكم كاراكالا، وصل الجنود إلى الإسكندرية برسالة من حاكم الجزيرة العربية (الأردن حاليًا)، يدعو فيها أوريجانوس للحضور إلى القصر. وكان الحاكم قد سمع عن ذكاء أوريجانوس وأراد أن يلتقي بالشاب، فوافق أوريجانوس. ولكن بعد أن حكم كاراكالا لمدة ست سنوات، اغتيل على يد ماكرينوس، الذي حكم لمدة عام واحد فقط قبل أن يُقتل هو أيضًا. وخلفه هيليوغابالوس، ابن عم كاراكالا، وهو شاب منعزل ومتعصب يعبد إله الشمس، وهو الرجل الذي اعتبره كثير من الناس مجنونًا.

وبعد أربع سنوات، تولى ابن عم آخر، وهو ألكسندر سيفيروس، محل

هيليوغابالوس على العرش، والآن، وللمرة الأولى في التاريخ الروماني، لم يتسامح أعضاء البيت الإمبراطوري مع المسيحيين فحسب، بل فضلوهم أيضًا. أرسلت والدة سيفيروس، الإمبراطورة جوليا ماميا، التي جمعت العديد من الشخصيات المرموقة في بلاطها، جنودًا لدعوة أوريجانوس للانضمام إليهم؛ وعندما وصل، ناقشت معه، من بين أمور أخرى، إمكانية التوفيق بين المسيحيين والحضارة الرومانية. كان المسيحيون في ذلك الوقت ليبتهجوا لو سمعوا شائعة متداولة في الإمبراطورية - سواء كانت صحيحة أم لا - مفادها أن الإمبراطور نفسه أقام تماثيل لإبراهيم وعيسى إلى جانب تماثيل سقراط وغيره من الرجال المقدسين في حرم قصره الخاص!

لكن الآمال في عصر جديد من التسامح تحطمت عندما

قام ماكسيمينوس، وهو فلاح قاس من تراقيا، باغتيال سيفيروس، واستولى على العرش، وجدد على الفور اضطهاد المسيحيين. تابع أوريجانوس بقلق بالغ التهديد بالاعتقال الذي طال العديد من أصدقائه المقربين وشركائه، بما في ذلك أمبروز، راعيه وصديقه الغني والمؤثر، والكاهن بروتوكتتوس. أوريجانوس، الذي لم يُعتقل، كتب إليهم في "تحريض عاطفي على الاستشهاد"، محذرًا إياهم من التردد، أو الانخداع بالتوسلات الصادقة ظاهريًا للتخلي عن إيمانهم من أجل إنقاذ حياتهم. قال إن الاستسلام يعني الاستسلام للشيطان؛ بالنسبة لأولئك الذين تم القبض عليهم من أجل المسيح، فإن الموت فقط هو الذي يجلب النصر. [78]

في الصراع على العرش الذي أعقب وفاة ماكسيمينوس، انتصر الإمبراطور الشاب جورديان الثالث، وترك المسيحيين بمفردهم أيضًا. تم اغتياله على يد جنوده بعد أن حكم لمدة أربع سنوات، وخلفه رئيس جنرالاته. الإمبراطور الجديد، فيليب، وهو أول عربي يصل إلى هذا المنصب، نجح على الفور في تأمين حكمه بقتل ابن جورديان الصغير.

ربما كان فيليب العربي أول إمبراطور مسيحي. ويشهد ثلاثة شهود على الأقل بأنه قام بالتوبة العلنية عن تلك الجريمة أمام الجماعة المذهولة، خلال التجمعات الضخمة التي حضرت قداس عيد الفصح في الربيع التالي - وهي التوبة التي فرضها على الإمبراطور الأسقف المسيحي في أنطاكية. خلال عهد فيليب، امتلأت الكنائس بالآلاف من المتحولين الجدد. وقد اشتكى أوريجانوس في إحدى عظاته من أن التحول أصبح شائعًا جدًا وحتى عصريًا لدرجة أنه لم يعد خطيرًا.

ولكن شكوك أوريجانوس حول سلطة الحكومة تأكدت عندما قتل ديكيوس فيليب، واستولى على السلطة، وبدأ اضطهادًا جديدًا وأكثر عدوانية للمسيحيين. ولكن هذه المرة، تم القبض على أوريجانوس، الذي كان الآن في منتصف الستينيات من عمره وأكثر شهرة من أي وقت مضى، وتعرض للتعذيب الوحشي؛ وكان الحاكم يأمل في الحصول على تراجع مفيد من سجينه الأكثر شهرة، لكن المحاولة باءت بالفشل.

كان أوريجانوس يعلم أن المعارضة الوثنية للمسيحية كانت في كثير من الأحيان مبنية على أكثر من الخرافات والتحيز. قبل سنوات من اعتقاله، قرأ أوريجانوس رسالة بعنوان "الكلمة الحق"، والتي اتهم فيها "الإلحاد" المسيحي بأنه يخفي تمردًا ضد كل ما يدعمه المجتمع والحكومة. قبل بضع سنوات فقط من اعتقاله، قرر أوريجانوس الرد على هذه الاتهامات، لأن هذا
كان أحد أكثر الهجمات قسوة وتدميرًا على المسيحيين على الإطلاق. [79]

كان سيلسوس، الذي كتب الرسالة حوالي عام 180 ميلاديًا، فيلسوفًا أفلاطونيًا ذا ميول دينية. يبدأ باتهام "طائفة المسيحيين بأنها جمعية سرية، يختبئ أعضاؤها معًا في الزوايا خوفًا من تقديمهم للمحاكمة والعقاب". مستشهدًا برفضهم أوامر القضاة بتقديم التضحيات للآلهة، يقول سيلسوس أنه إذا تبنى الجميع موقف المسيحيين، فلن يكون هناك سيادة للقانون.[80] عاش سيلسوس في وقت

عندما كانت الحركة المسيحية تنمو بسرعة، وخاصة بين الأميين. ويكتب أن رفض المسيحيين الانصياع لقوانين معينة والتعاون مع المسؤولين المحليين أو الإمبراطوريين يهدد "بتدمير السلطة الشرعية، وإعادة العالم إلى الفوضى والبرابرة" - بل وحتى "إسقاط الإمبراطورية، والإمبراطور معها".

يبدأ أوريجانوس رده المتحدي بتحدي الشرعية الأخلاقية للحكم الإمبراطوري:

> ليس من غير المنطقي تكوين جمعيات مخالفة للقوانين القائمة، إذا كان ذلك من أجل الحقيقة. فكما أن من يحسن أن ينضم إلى جمعية سرية لقتل طاغية استولى على حريات دولة، كذلك المسيحيون أيضًا، عندما يُستبد بهم الشيطان، يُشكلون جمعيات تخالف قوانين الشيطان، ضد سلطته، لحماية أولئك الذين ينجحون في إقناعهم بالثورة ضد حكومة همجية واستبدادية.[81]

يتوقف أوريجانوس عن تعريف القانون الإمبراطوري بشكل مباشر بالشيطان، وفي مكان آخر يمتدح حتى السلام الروماني لأنه حافظ على السلام بحكمة أثناء حياة يسوع. ومع ذلك فإن أوريجانوس يصف جميع القوانين والأشخاص المعادين للمسيحيين بأنهم مستوحون من الشيطان. ومع ذلك، فإن المسيحيين سينتصرون على أعدائهم؛ ويوضح أن يسوع مات "ليدمر دابنونًا عظيمًا - في الواقع، حاكم الدابنون، الذي أخضع أرواح البشرية". [82] يقول إن كل من يدرس الأدلة التجريبية سيضطر إلى الاعتراف بأن انتشار المسيحية، على الرغم من معارضة السلطات البشرية والحكومية والعسكرية بالإجماع لها، يثبت أن هناك قوة هائلة غير معروفة من قبل تعمل الآن في العالم:

> ومن يفحص الأمر يجد أن يسوع حاول أن يقوم بأعمال تفوق قدرة الإنسان وأنجزه بنجاح. فكل شيء عارض انتشار تعاليمه في العالم، بما في ذلك الحكام في كل فترة، وقادتهم العسكريين وجنرالاتهم، وكل شخص، وكل شخص على وجه العموم، ممن امتلكوا حتى أدنى تأثير،

وبالإضافة إلى هؤلاء، حكام جميع المدن المختلفة، والجيوش، والشعب/[83]

يعترف أوريجانوس بأن النجاح المذهل الذي حققته الحركة المسيحية حدث بشكل رئيسي بين الفقراء والأميين، ولكن فقط لأن "الأميين يفوقون بالضرورة عدد المتعلمين". ومع ذلك فإن "بعض الأشخاص ذوي الذكاء والتعليم" - وكان من الممكن أن يذكر جوستين، وتاتيان، وحتى نفسه - قد كرسوا حياتهم للإيمان المسيحي. وهكذا، وعلى الرغم من كل الصعوبات، يواصل أوريجانوس،

فإن يسوعنا، الذي احتُقر لأنه ولد في قرية ريفية - ولا حتى قرية يونانية [أي متحضرة]، ولا ينتمي إلى أي أمة تحظى بالاحترام على نطاق واسع؛ ورغم احتقاره لأنه ابن امرأة عاملة فقيرة، [مع ذلك] كان قادرًا على هز العالم المتحضر بأكمله/[84]

إن تأثير يسوع يفوق تأثير "فيثاغورس أو أفلاطون، ناهيك عن تأثير أي حاكم أو قائد عسكري في العالم".

تقدم لنا التحولات المذهلة للأحداث في تاريخ العالم دليلاً تجريبياً على أن روح الله، العامل في يسوع، ينتصر على الشيطان. يتفق أوريجانوس مع متى ولوقا في أن

الحقيقة الوحيدة التي تثبت أن يسوع هو شيء إلهي ومقدس هي أن اليهود عانوا بسببه لفترة طويلة من الكوارث الرهيبة... فأية أمة تُنفى من عاصمتها ومن المكان المقدس لعبادة آبائها إلا اليهود وحدهم؟... لقد كان من المناسب، إذن، أن تهلك المدينة التي عانى فيها يسوع من الألم تمامًا، وأن تُدمر الأمة اليهودية... ويمكننا أن نقول بثقة تامة أنها لن تعود إلى حالتها السابقة أبدًا.

إذا كان معاناة اليهود دليلاً على أن الله يعاقبهم، فماذا يقول هذا عن معاناة المسيحيين؟ وماذا عن هؤلاء الأبرياء الذين يعانون من الأمراض أو الكوارث أو الوحشية الإنسانية؟ هنا اختار أوريجانوس أن يكون غير متسق. ويقول إن مثل هذه

المشاكل الصعبة غير قابلة للحل، وهي "مسائل ذات عمق عميق لا يمكن تفسيره في إدارة الكون بأكمله". [86] وعلى النقيض من كثير من المسيحيين اللاحقين، يرفض أوريجانوس أن ينسب معاناة الأبرياء إلى "إرادة الله" فحسب، لأنه، كما يقول، "ليس كل ما يحدث يحدث وفقًا لإرادة الله، أو وفقًا للعناية الإلهية". يقول إن بعض الأشياء هي "نتائج عرضية" لأعمال العناية الإلهية؛ وتحدث أشياء أخرى عندما ينتهك البشر -وكذلك الكائنات الخارقة للطبيعة- الإدارة الإلهية المنظمة للكون ويتسببون في الأذى عمدًا. إن العديد من حالات الشر البشري، فضلاً عن بعض الكوارث الطبيعية التي تبدو غير مبررة، مثل الفيضانات والبراكين والزلازل، يتم تحريضها من قبل "شياطين شريرة وملائكة شريرة". [87]

كان سيلسوس ليجد مثل هذه الاقتراحات مزعجة للغاية، لأنه كفيلسوف أفلاطوني يدعي أنه يقدس "الإله الوحيد الذي يحكم الجميع". وهنا يدافع الوثني سيلسوس عن التوحيد ضد ما يراه - بدقة تامة - ازدواجية المسيحيين العملية:

> إذا قبلنا أن الطبيعة كلها، وكل شيء في الكون، يعمل وفقًا لإرادة الله، وأن لا شيء يعمل على عكس مقاصده، فعلينا أيضًا أن نقبل أن الملائكة والشياطين، الأبطال - كل الأشياء في الكون - تخضع لإرادة الإله الواحد الذي يحكم كل شيء.[88]

ويحث سيلسوس المسيحيين أيضًا على عبادة الإله الواحد وتبجيل كل ما تجلبه العناية الإلهية باعتباره مظهرًا من مظاهر صلاحه.

وفي دعوته إلى هذا التوحيد، لا يتفق سيلسوس مع

غيره من المثقفين ذوي التوجهات الفلسفية مثل ماركوس أوريليوس فحسب، بل يتفق أيضًا مع ملايين الأشخاص في جميع أنحاء الإمبراطورية ــ الغالبية العظمى منهم أميون ــ الذين عبدوا الآلهة. كانت الترانيم التي سمعوها تُرتَّل في معابد إيزيس، والطقوس الدينية التي أُقيمت على مذابح سيرابيس العظيمة، والتعاويذ التي أُنشدت خلال المواكب تكريمًا لهيليوس أو زيوس، والصلوات التي أُنشدت في مهرجانات هيكاتون، غالبًا ما تُحدِّد الإله المعين الذي جاؤوا لعبادته مع الكائن الإلهي

بأكمله. يقول عالم الكلاسيكيات رامساي ماكمولين إنه بحلول عهد ماركوس أوريليوس، كان كثيرون يعتبرون وحدة جميع الآلهة والشياطين في مصدر إلهي واحد أمرًا مسلمًا به 89

إن ما يفصل الوثنيين عن المسيحيين، إذن، لم يكن التوحيد بقدر ما كان المحافظة الجوهرية للوثنيين، لأن العديد من الوثنيين كانوا يميلون أيضًا إلى التوحيد. إن العبادة الوثنية تربط الإنسان بمكانه في العالم، وتطلب من العابد الوفاء بأي التزامات فرضها القدر أو المصير أو "الآلهة". وكما رأينا، فإن ماركوس يذكر نفسه باستمرار بأن التقوى تعني اتخاذ موقف موقر تجاه مسؤولياته العائلية والاجتماعية والوطنية. وفي تأمله حول ما إذا كان الآلهة يهتمون بمصير الفرد، يقول ماركوس:

> إذا اتفقت الآلهة بشأني، فإن مشورتهم كانت جيدة... وحتى لو لم تكن لديهم أي فكرة خاصة بي، فإنهم على الأقل فكروا في الكون؛ وينبغي لي أن أرحب بكل ما يحدث نتيجة لذلك وأقبله. وحتى لو لم تكن الآلهة تهتم بشؤون البشر، فإن طبيعتي هي طبيعة عقلانية وسياسية؛ لدي مدينة، ولدي بلد؛ بصفتي ماركوس لدي روما، وبصفتي إنسانًا لدي الكون؛ وبالتالي، فإن أي فائدة تعود على هذه المجتمعات هي الخير الوحيد الذي أعرفه. 90

لقد رأينا كيف كافح ماركوس بشدة لقبول التزاماته، على الرغم من إدراكه لامتيازاته ومسؤولياته، لكن العديد من معاصريه وجدوا حافزًا أقل للقيام بذلك. ومع استمرار توسع الإمبراطورية وتزايد ضغوط التضخم والحرب، تضاءلت المزايا التي قدمتها المواطنة الرومانية لملايين الناس؛ وعلاوة على ذلك، وجد عدد متزايد من الناس أنفسهم مستبعدين من فوائدها بينما كانوا مثقلين بشكل هائل بالضرائب والتجنيد الإجباري. أصدر الإمبراطور كاراكالا في عام 213 مرسومًا وسع نطاق المواطنة لتشمل جميع سكان الإمبراطورية، ولكن من الصعب تحديد التأثير الفعلي لهذا المرسوم.

قدمت الحركة المسيحية بديلاً جذرياً، وربما كان البديل الحقيقي الوحيد إلى جانب اليهودية في الإمبراطورية الرومانية. إن ما اشتكى منه السيناتور الروماني تاسيتوس بشأن اليهود كان صحيحًا بشكل مضاعف بالنسبة لهؤلاء الطائفيين المنشقين:

أول ما يفعلونه حين يسيطرون على الناس هو تعليمهم احتقار آلهتهم، وإهمال مدنهم، وكراهية عائلاتهم؛ فهم يهملون كل ما نعرفه عن التقوى. 91

لقد رأينا أن المسيحيين لم يعلّموا المتحولين فقط أن روابط الأسرة والمجتمع والأمة ليست مقدسة، بل إنها أعباء شيطانية مصممة لاستعباد الناس لـ "العادات الرومانية"، أي للشياطين.

ويكتب سيلسوس أن ما يجعل رسالة المسيحيين خطيرة ليس إيمانهم بإله واحد، بل انحرافهم عن التوحيد من خلال إيمانهم "الكفر" بالشيطان. يقول سيسيوس إنه بالرغم من كل "الأخطاء الفاجرة" التي يرتكبها المسيحيون، فإنهم يُظهرون جهلهم الأعظم من خلال "اختلاق كائن معارض لله، وتسميته "شيطانًا"،[1] أو في اللغة العبرية "سيتن".[111] ويعلن سيسيوس أن كل هذه الأفكار ليست سوى اختراعات بشرية، بل إنها تدنيس للمقدسات حتى مجرد تكرارها: "إن القول بأن الإله الأعظم لديه عدو يقيد قدرته على فعل الخير هو تجديف...". إن سيلسوس غاضب لأن المسيحيين، الذين يزعمون عبادة إله واحد، "يقسّمون مملكة الله بشكل غير تقي، ويخلقون تمردًا فيها، كما لو كانت هناك فصائل متعارضة داخل الإلهي، بما في ذلك واحدة معادية لله!" 92

يتهم سيلسوس المسيحيين بـ "اختراع التمرد" *(stasis*، بمعنى "الفتنة") في السماء لتبرير التمرد هنا على الأرض. وهو يتهمهم بإصدار "بيان تمرد" برفضهم عبادة الآلهة - ولكنه يقول إن مثل هذا التمرد متوقع "من أولئك الذين عزلوا أنفسهم عن بقية الحضارة". لأنهم عندما يقولون هذا، فإنهم في الواقع يسقطون مشاعرهم على الله. 93 يسخر سيلسوس من تحذير بولس بأن المسيحيين لا يجب أن يأكلوا الطعام المقدم للآلهة، خشية أن "يشاركوا في الشركة مع الشياطين" (1 كورنثوس 10 :20-22). وبما أن الشياطين هي القوى التي تنشط جميع العمليات الطبيعية، يزعم سيلسوس أن المسيحيين لا يستطيعون حقًا تناول أي شيء على الإطلاق - أو حتى البقاء على قيد الحياة - دون المشاركة في الشركة مع الشياطين. يقول سيلسوس أنه

عندما يأكلون الخبز، أو يشربون الخمر، أو يلمسون الفاكهة، ألا يتلقون هذه الأشياء - بالإضافة إلى الماء الذي يشربونه والهواء الذي يتنفسونه - من عناصر مختلفة من الطبيعة؟ 94

لذلك، يضيف،

> يجب علينا إما أن لا نعيش، بل لا نأتي إلى هذه الحياة على الإطلاق، أو يجب أن نفعل ذلك بشرط أن نقدم الشكر والقرابين والصلوات إلى الذين تم تعيينهم لإدارة الكون؛ ويجب أن نفعل ذلك طالما نحن على قيد الحياة، حتى يكونوا راضين عنا؟ [5]

يحذر سيلسوس المسيحيين من أنه كما يتخذ الإداريون البشريون، سواء كانوا رومانيين أو فارسيين، إجراءات ضد الرعايا الذين يحتقرون حكمهم، فإن هؤلاء الشياطين الحاكمين سوف يعاقبون بالتأكيد أولئك الذين يثبتون عصيانهم. يتفق سيلسوس بشكل ساخر مع المسيحيين الذين يشكون من أن الشياطين يحرضون على الاضطهاد؛ ويجادل بأن لديهم سببًا وجيهًا للقيام بذلك:

> ألا ترى يا سيدي الكريم أن من يشهد ليسوع لا يجدف عليه وينفيه من كل مدينة فحسب، بل أنت نفسك، الذي أنت كما لو كنت صورة مخصصة له، يتم القبض عليك واقتيادك إلى العقاب وربطك على عمود، بينما من تسميه "ابن الله" لا ينتقم على الإطلاق من الفاعل الشرير؟ [96]

ويعترف أوريجانوس بأن هذا صحيح، ويعترف بأنه في مثل هذه اللحظات قد يتصور المرء أن القوى الشريرة قد انتصرت. "إنه صحيح"، كما يقول، "أن نفوس أولئك الذين يدينون المسيحيين، وأولئك الذين يخونونهم ويستمتعون باضطهادهم، مليئة بالشر"، مدفوعة بالشياطين.[97] ومع ذلك، بالنسبة للشهداء، فإن المعاناة والموت ليسا الهزيمة الكارثية التي تبدو عليها. وعلى العكس من ذلك،

> عندما تخرج أرواح الذين يموتون من أجل الإيمان المسيحي من الجسد بمجد عظيم، فإنهم يدمرون قوة الشياطين، ويحبطون مؤامرتهم ضد البشرية.[98]

والشياطين أنفسهم، عندما يدركون ذلك، يتراجعون أحيانًا، خوفًا من قتل المسيحيين، خشية أن يضمنوا بذلك تدمير أنفسهم. ولهذا السبب، يقول أوريجانوس، لا يحدث الاضطهاد

إلا بشكل متقطع. ولكن عندما يستعيد الشياطين جرأتهم ويثورون مرة أخرى على المسيحيين، "فإن أرواح الأتقياء ستدمر جيش الشرير مرة أخرى". إن وعي الشياطين بأن المسيحيين ينتصرون بالموت يتجلى، كما يعلن أوريجانوس، في مواقف وأفعال القضاة البشر.

> الذين يتضايقون من أولئك الذين يتحملون الاعتداءات والتعذيب، ولكنهم سعداء عندما يتغلب المسيحي [ويستسلم]. "ولم يحدث هذا بدافع خيري."

لقد شهد أوريجانوس هذا الأمر بنفسه عندما أُلقي القبض عليه في قيصرية أثناء اضطهاد ديكيوس في عام 251. عندما رفض أوريجانوس مطالب القاضي بالتخلي عن إيمانه، عانى من التعذيب المتكرر. لقد تم تقييده في زنزانة مظلمة. في البداية، قام معذبوه بتمزيق أطرافه وتقييده بالسلاسل؛ وفي أوقات أخرى، قاموا بإحراقه وتهديده بأشكال رهيبة من الإعدام. يكتب أحد رفاقه الحزينين، متأثرًا بشجاعة الرجل العجوز، أن محنة أوريجانوس لم تنته إلا بعد أن "جربه القاضي بكل الطرق الممكنة وبكل ثمن لتجنب الحكم عليه بالإعدام"، [100] ليس من باب الشفقة، بل على أمل حمله على التراجع علنًا عن إيمانه. وبعد فشل ذلك، أطلق القاضي سراحه؛ ولكن التعذيب والتعرض الذي تعرض له أوريجانوس في السجن أدى إلى تعجيل وفاته.

يحذر سيلسوس من أن "الجنون" الذي يدفع المسيحيين إلى "عدم رفض التزاماتهم الدينية، والاندفاع بكل قوة لإهانة الإمبراطور والحكام"[101]، قد يؤدي في الواقع إلى تدمير الإمبراطورية، وإلغاء حكم القانون، وإغراق العالم في الفوضى. ويطالب سيلسوس المسيحيين بأن يفعلوا بدلاً من ذلك ما يجب على جميع المواطنين الأتقياء والوطنيين فعله،

> أي مساعدة الإمبراطور في جهوده لتوفير الصالح العام، والتعاون معه فيما هو حق، والقتال من أجله إذا لزم الأمر.[102]

يرفض أوريجانوس مثل هذه الاقتراحات بازدراء. ويجيب بأن المسيحيين يساعدون الإمبراطور من خلال صلواتهم، التي "تقهر كل الشياطين الذين يثيرون الحرب و... يخلون

السلام... لذا، على الرغم من أننا لا نؤمن بأننا زملاء جنود معه، فإننا نقاتل نيابة عن الإمبراطور. *[103] (يقول ترتليان، في كتاباته في شمال أفريقيا، إن العديد من المسيحيين يخدمون في الجيش؛ ويبدو أن هذه الممارسات كانت تختلف من ظرف إلى آخر.) [104] أما بالنسبة لتولي المناصب العامة، فيقول أوريجانوس: "نحن نعترف في كل أرض بوجود منظمة وطنية أخرى" - كنيسة الله. يعلم أوريجانوس أنه يقاتل من أجل النفوس للمساعدة في إضعاف قوة الشيطان؛ وينهي جداله ضد سيلسوس بتحية راعيه أمبروز، الذي كان قد وقف أمام المحكمة قبل عشر سنوات وعانى من السجن والتعذيب.

لقد قام المسيحيون المضطهدون مثل أوريجانوس بتشكيل تقليد متطرف قوض الموافقة الدينية للدولة، وادعى أنها لصالح الضمير الديني - وهو التقليد الذي كان من شأنه أن يؤثر بشكل هائل على الحكومات والسياسات الغربية اللاحقة. لقد فتحت المعمودية الباب أمام أبعاد جديدة واسعة من الواقع - إلى ملكوت الله، حيث يجد شعب الله موطنهم الحقيقي، وإلى سيادة الشيطان، التي يُنظر إليها على أنها الحقيقة الأخلاقية النهائية التي تكمن وراء "هذا العصر الشرير الحالي". على الرغم من أن غير المؤمنين مثل سيلسوس سخروا من المسيحيين لإيمانهم بأوهام سخيفة وطفولية، إلا أن العديد من المتحولين وجدوا في رؤيتهم لمملكة الله مكانًا للوقوف، ومنظورات جديدة للعالم الذي ولدوا فيه.

وهذا لا يعني أن المسيحيين كانوا المتآمرين المثيرين للفتنة كما تصورهم سيلسوس. أصر جوستين وآخرون بشدة على أن معظم المسيحيين مواطنون صالحون، وأن معظمهم، بلا شك، أرادوا تجنب المواجهة مع السلطات، وحاولوا اتباع المبادئ الواردة في رسائل العهد الجديد مثل رسالة بطرس الأولى، والتي تترجم إلى مصطلحات مسيحية الاتفاقيات القديمة للفضيلة المدنية:

> "من أجل الرب، اقبلوا سلطة كل مؤسسة بشرية، سواء سلطة الإمبراطور، باعتباره الأعلى، أو سلطة الحكام، باعتبارهم مرسلين من قبله لمعاقبة أولئك الذين يخطئون ويمدحوا أولئك الذين لا يفعلون ذلك... كعبيد لله، عيشوا كأحرار... احترموا جميع الناس. أحبوا الأخوة. اتقوا الله. تكريم الإمبراطور (1 بط. 2 :13—16).

ولكن ما كان ثوريا هو أن المسيحيين أعلنوا ولاءهم الأساسي لله. إن مثل هذا الولاء قد يؤدي إلى تقسيم ولاءات المرء؛ فهو يتحدى كل مؤمن أن يفعل شيئًا لم يفكر معظم الوثنيين في فعله أبدًا - أن يقرر بنفسه الالتزامات العائلية والمدنية التي يقبلها، والتي يرفضها.

على سبيل المثال، عاش ترتليان في عالم حيث كان ما نسميه حرية الدين غريبًا أو غير معروف، ومع ذلك يدعي هذه الحرية لنفسه وينتقد الأباطرة "السلبهم الحرية الدينية *[libcrtcitem religionis]* حتى لا أتمكن بعد الآن من العبادة وفقًا لميولي، بل أُجبرت على العبادة ضدها". [105] أوريجانوس، كما لاحظنا، وهو يدافع عن المسيحيين ضد اتهامات عدم الشرعية، يجرؤ على القول بأن الناس الذين يفرض عليهم حكومة شريرة لهم الحق ليس فقط في عصيان قوانينها، بل حتى في الثورة واغتيال الحكام الطغاة:

> ليس من غير المنطقي تكوين جمعيات مخالفة للقوانين القائمة، إذا كان ذلك من أجل الحقيقة. فكما أن من يحسن أن ينضم إلى جمعية سرية لقتل طاغية استولى على حريات دولة، كذلك المسيحيون أيضًا، عندما يُستبد بهم الشيطان، يُشكلون جمعيات تتعارض مع قوانين الشيطان، ضد سلطته، لحماية أولئك الذين ينجحون في إقناعهم بالثورة ضد حكومة همجية واستبدادية.[106]

ولم تنشأ مثل هذه القناعات من الشعور بـ"حقوق الفرد"، وهو المفهوم الذي ظهر بعد ذلك بألف وخمسمائة عام فقط مع عصر التنوير. وبدلاً من ذلك، فهم متجذرون في معنى كونهم شعب الله، مسجلين بالمعمودية كـ "مواطنين في السماء"، ولم يعودوا خاضعين فقط "لحكام هذا العصر الشرير الحالي"، والسلطات البشرية والقوى الشيطانية التي تسيطر عليهم في كثير من الأحيان.

وبعد مرور مائة عام على كتابة الأناجيل، تكيف المسيحيون

مع ظروف الاضطهاد الوثني، والنموذج السياسي والديني الذي وجدوه في تلك الأناجيل - شعب الله ضد شعب الشيطان - وعرفوا أنفسهم كحلفاء لله، يعملون ضد القضاة الرومان والغوغاء الوثنيين،

الذين يرونهم عملاء للشيطان. وفي الوقت نفسه، كما سنرى في الفصل التالي، أدرك قادة الكنيسة الذين أزعجهم المنشقون داخل الحركة المسيحية وجود الشيطان يتسلل بين الأعداء الأكثر حميمية للجميع - المسيحيين الآخرين، أو كما أطلقوا عليهم، الزنادقة.

VI

العدو من الداخل:
شيطانة الزنادقة

خلال القرن الثاني، أثار نجاح المسيحية في جذب المتحولين أسئلة جديدة حول ما يتطلبه "كون المرء مسيحيًا". داخل المدن الإقليمية في جميع أنحاء الإمبراطورية، اكتسبت الجماعات المسيحية آلافًا عديدة من المتحولين الجدد. وخاصة في المدن، أثار التحول صراعات داخل الأسر. عندما اعتنق رؤساء الأسر الغنية المسيحية، كانوا في كثير من الأحيان يطلبون من عائلاتهم وعبيدهم قبول المعمودية. ومع ذلك، في أغلب الأحيان، حدثت التحولات بين نساء الأسرة، وكذلك بين التجار والمتاجرين والجنود ومئات الآلاف من العبيد الذين كانوا يخدمون في كل المجالات في الشقق الرومانية والمنازل الكبيرة والقصور. ربما حدثت تحولات أيضًا داخل أسرة الإمبراطور. يكتب ترتليان في مدينة قرطاج في شمال أفريقيا (حوالي 180) مفتخرًا لمعاصريه الوثنيين قائلاً: "نحن من الأمس فقط، وقد ملأنا كل مكان بينكم: المدينة والجزر والحصون والمدن والأسواق ومعسكر الجيش والقبائل والقصر ومجلس الشيوخ والمنتدى [1]". لقد فهم جميع المتحولين، بالطبع، أن المعمودية تغسل الخطايا وتطرد الأرواح الشريرة، وتنقل إلى المتلقي روح الله، الروح التي تحول الخاطئ إلى حليف للمسيح وملائكته. ولكن ماذا بعد ذلك؟ ماذا يجب على المسيحي أن يفعل حتى يكون "مع الملائكة" في هذا العالم؟ ما المطلوب تحديدًا إذا كان المسيحي المعمد متزوجًا من وثنية، أو كان جنديًا، أو أقسم بالولاء للإمبراطور، أو كان عبدًا؟ اعتبر معظم الوثنيين معمودية أحد أفراد الأسرة

أو العبد بمثابة كارثة تنذر بالاضطراب داخل الأسرة. يصف ترتليان نفسه كيف نبذ الوثنيون المتحولين:

> الزوج يطرد زوجته من بيته؛ الأب يحرم ابنه من الميراث؛ السيد، الذي كان لطيفًا في السابق، يأمر الآن العبد بالخروج من أمامه؛ إنها جريمة كبيرة أن يُدعى أي شخص بهذا الاسم البغيض [مسيحي].[2]

وقد ناقش المسيحيون فيما بينهم ما إذا كان ينبغي للمتحولين الحفاظ على العلاقات الاجتماعية والأسرية العادية أو قطعها، كما طلب يسوع في الأناجيل عندما قال: "من لا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته، بل حتى الحياة نفسها، فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لوقا 14: 26). أثارت مثل هذه الأسئلة العديد من الإجابات المختلفة مع تزايد الحركة في الحجم والتنوع في جميع أنحاء الإمبراطورية. في بعض الأحيان، كانت هناك عدة مجموعات في المدينة الواحدة، كل منها تفسر "الإنجيل" بشكل مختلف إلى حد ما، وغالبًا ما كانت تتصارع مع بعضها البعض بنفس العنف الذي يُحفظ عادةً للنزاعات العائلية. الرسول بولس نفسه، عندما واجهه معلمون منافسون قبل جيلين، حاول منعهم من الكلام، واصفًا إياهم بأنهم عبيد الشيطان،

> رسل كاذبون، عاملون مخادعون، متنكرون في صورة رسل المسيح. ولا عجب! حتى الشيطان نفسه يتنكر في صورة ملاك نور. لذلك ليس من الغريب أن يتنكر عبيده في صورة عبيد البر (2 كورنثوس 11 :13-15).

"ولكن،" يضيف بولس بنبرة تنذر بالسوء، "في النهاية سوف يحصلون على ما يستحقونه." كان المسيحيون يخشون هجمات الشيطان من الخارج ـ أي من الوثنيين المعادين ـ ولكن كثيرين منهم كانوا يعتقدون أن هجمات الشيطان بين أشد الأعداء حميمية على الإطلاق ـ المسيحيين الآخرين، أو كما قال معظمهم عن أولئك الذين اختلفوا معهم، بين الزنادقة.

وفي إطار الحركة، بدأ بعض الناس في تطوير أنظمة تنظيمية لتوحيد الجماعات المسيحية داخليًا، وربطها بجماعات مسيحية أخرى في جميع أنحاء الإمبراطورية

الرومانية. كانت السلطة التي اعترف بها جميع المسيحيين، إلى جانب سلطة يسوع نفسه، هي سلطة الرسولين بطرس، الذي يُبجل تقليديًا باعتباره أول زعيم للمسيحيين في روما، وبولس، مؤسس الكنائس الممتدة من اليونان إلى آسيا الصغرى. وقد كتب بعض المسيحيين، بعد بولس بجيلين أو ثلاثة أجيال، رسائل منسوبة إلى بطرس وبولس، بما في ذلك رسالة بطرس الأولى ورسائل بولس إلى تيموثاوس. هذه الرسائل، التي أدرجت لاحقًا في العهد الجديد ويُعتقد على نطاق واسع أنها كتبت من قبل الرسل أنفسهم، حاولت بناء جسر بين الرسل والمسيحيين من الأجيال اللاحقة من خلال الادعاء، على سبيل المثال، بأن بولس "وضع يديه" على تيموثاوس الشاب الذي اعتنق المسيحية لينصبه "مشرفًا" أو "أسقفًا" على الجماعة خلفًا لبولس. تهدف هذه الرسائل إلى إظهار أن الأساقفة، مثل تيموثاوس، يمارسون بشكل شرعي السلطة "الرسولية" على جماعاتهم.

كان أولئك الذين كتبوا رسالتي بطرس الأولى وتيموثاوس الأولى مهتمين أيضًا بتحويل العداء الوثني تجاه المسيحيين من خلال تعديل بعض المطالب الأكثر صرامة التي تنسبها الأناجيل إلى يسوع. إن هؤلاء المؤلفين، الذين كانوا في حاجة إلى قواعد سلوك تقدم إرشادات أخلاقية لأولئك المتزوجين والمنخرطين في المجتمع العادي والذين لم يكونوا مستعدين لرفض هذه الالتزامات، كما حذرهم يسوع وفقًا للوقا، استعاروا من أساطير وثنية عن الفضيلة المدنية لبناء قواعد أخلاقية "مسيحية" جديدة. وكما أظهر عالم العهد الجديد ديفيد بالش، فإن هذه الرسائل ألقت بطرس وبولس في الدور غير المتوقع المتمثل في حث المؤمنين على محاكاة السلوك الروماني التقليدي.[5] لذلك، في رسالة بطرس الأولى، يحث "بطرس" المؤمنين، "من أجل الرب، اقبلوا سلطة كل مؤسسة بشرية" (2: 13)، وتحديدًا سلطة الإمبراطور وحكومته. ويصر "بطرس" أيضًا على أن المؤمنين يقومون بمسؤوليات منزلية أساسية؛ يجب على الزوجات "أن يقبلن سلطة أزواجهن [7]، حتى لو كان بعضهم لا يطيعون الكلمة" (3: 1)؛ ويجب على الأزواج "أن يكرموا المرأة، باعتبارها الإناء الأضعف" (3: 7). يجب على العبيد أن يخدموا أسيادهم كما لو كانوا يخدمون الرب نفسه، وعلى السادة، في المقابل، ألا يسيئوا معاملة عبيدهم؛ ويجب على الأبناء أن يظهروا لوالديهم الاحترام والطاعة اللائقة (2: 18-22؛ 5: 5). وفي رسالة تيموثاوس الأولى أيضًا، يقدم "بولس" لتيموثاوس نصيحة أخلاقية مماثلة، ويطلب من الأسقف الشاب، بدوره، أن يأمر بها جماعته.

ولكن لم يقبل الجميع هذه القواعد السلوكية أو القادة الذين عزموا على تطبيقها. حوالي عام 90 ميلادية، تظهر رسالة شهيرة منسوبة إلى إكليمندس، وهو رجل يعتبره الكثيرون الأسقف الثاني أو الثالث لروما بعد الرسول بطرس، ومكتوبة إلى المسيحيين في مدينة كورنثوس اليونانية، موقع الكنيسة التي أسسها بولس نفسه في الأصل، أن المجتمع كان في حالة من الاضطراب بسبب مسألة القيادة.[4] في هذه الرسالة، يعرب الأسقف إكليمندس عن حزنه لأن أولئك الذين يسميهم "مجموعة من الناس المتهورين والمتعصبين" يرفضون قبول السلطة العليا للكهنة الذين يصر على أنهم قادتهم المناسبون. لقد بدأ هؤلاء المنشقون ما يسميه إكليمندس "الأسد المتمرد الرهيب وغير المقدس"[6] داخل الكنيسة. لقد رفضوا العديد من الكهنة الذين تم تعيينهم فوقهم؛ ويبدو أنهم يعترضون أيضًا على أن التمييز بين "رجال الدين" و"العلمانيين" - بين أولئك الذين يدعون أنهم يشغلون مناصب السلطة وأولئك الذين يطلقون عليهم الآن "الشعب" (باليونانية، *laos*) - ليس فقط غير مسبوق ولكنه غير مقبول بين المسيحيين.

في رفضه لاتهامات المنشقين بأن الرتب الدينية هي بدعة، يصر إكليمندس، مثل مؤلف رسالة تيموثاوس الأولى، على أن الرسل أنفسهم "عينوا أول المتحولين ... ليكونوا أساقفة وشمامسة". يستشهد إكليمندس بسلطة النبي إشعياء، ويدعي بشكل مبالغ فيه أن إشعياء كان قد أقر في العصور القديمة "مناصب" الأسقف والشمامسة. يستشهد إكليمندس بإشعياء 60: 17 ("سأجعل مشرفيك سلامًا، ورؤساءك برًا")، ويفسر المصطلحين الرئيسيين ("الأساقفة" و"الشمامسة" على التوالي)، المترجمين إلى اليونانية، لتناسب حجته.

ويستشهد إكليمندس أيضًا برسائل بولس إلى تيموثاوس ليؤكد أن "الرسل أنفسهم عيّنوا المهتدين الأوائل "أساقفة" و"شمامسة". "على الرغم من أن إكليمندس كتب في نفس الوقت تقريبًا الذي كتب فيه مؤلفا إنجيل متى ولوقا، اللذين يصوران رؤساء الكهنة اليهود كأعداء ليسوع، إلا أن إكليمندس يشجع المسيحيين على تقليد الكهنوت اليهودي. يقول إكليمندس إنه بين المسيحيين، كما كان الحال بين اليهود، فإن الكهنة العظام والكهنة المرؤوسين مُرسَمون إلهيًا لأداء واجبات خاصة، بينما "يلتزم العلمانيون بترتيب العلمانيين". حتى أن إكليمندس يحث إخوانه المسيحيين على تقليد الجيش الروماني:

> فلنخدم إذن في جيشنا أيها الإخوة... دعونا نفكر في أولئك الذين يخدمون كجنرالات لدينا ... ليس كلهم ولاة، ولا رؤساء بلديات، ولا قادة مئات، ولا قادة عسكريين، أو ما شابه ذلك، ولكن كل واحد منهم ينفذ في رتبته أوامر الإمبراطور والقادة العسكريين؟

وفي وقت لاحق، قام المسيحيون بالفعل بتكييف ممارسة التنظيم في مناطق (أبرشيات) من إدارة الجيش الروماني، حيث تُدار كل منها بواسطة مشرف مركزي (أسقف)، وهي استراتيجية تنظيمية لا تزال مستمرة حتى يومنا هذا.

وباعتباره أسقفًا، يصف إكليمندس موقف المعارضين بأنه نشأ عن الغطرسة والغيرة. "ويقول: "حتى الرسل كانوا يعلمون أنه سيكون هناك صراع على لقب الأسقف" (2 إكليمندس 14: 1)." ويتابع إكليمندس أن العلاج هو أن "يخضع كل شخص للكهنة"، ويقبل التكفير الذي سيفرضه الكاهن على عصيانهم، "وينحنون أمام تفوق [الكهنة]" (1 إكليمندس 17: 1). ولعل إكليمندس كان يأمل أن يخضع الآن أولئك الذين رفضوا الطاعة، ولذلك يتجنب ربطهم بالشيطان، كما فعل القادة اللاحقون مع المعارضين الأكثر رسوخًا.

نحن لا نعرف نتيجة هذا النزاع، ولم يبق أي من ردود أفعال الخصوم. ولكن خلال القرن الثاني، ومع انتشار هذه الخلافات في الكنائس في جميع أنحاء الإمبراطورية، قام قادة الكنيسة الذين حددوا أنفسهم بـ "الخلافة الرسولية" المناسبة بنسخ رسالة إكليمندس على نطاق واسع وتوزيعها في جميع أنحاء العالم الروماني، إلى جانب العديد من الكتابات الأخرى التي أدرجوها في مجموعة تسمى "آباء الكنيسة الرسوليون". نحن لا نعرف إلا القليل عن العملية التي نشأت منها هذه المجموعة؛ ولكننا نستطيع أن نرى أن الكتابات التي تتضمنها جميعها تميل إلى التأكيد على السلطة المتنامية لرجال الدين وتأمر بالالتزام بالقواعد الأخلاقية التفصيلية والعملية.

يبدو أن معظم المسيحيين قبلوا، إلى جانب "القانون" الناشئ للكتاب المقدس، هذا "القانون" الثاني من تقاليد الكنيسة. وقد سعت العديد من الكتابات المدرجة ضمن "الآباء الرسوليين" إلى مراجعة وتدجين أقوال يسوع الجذرية، مثل: "لا تستطيعون أن تخدموا الله والمال" (متى 6: 24)؛ "أعط من سألك" (متى 5 :42)؛

"بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ ثُمَّ تَعَالَ اتْبَعْنِي" (لوقا 18: 22). على سبيل المثال، يتضمن كتاب "الآباء الرسل" دليلًا مسيحيًا شهيرًا يُسمى "تعاليم الرسل الاثني عشر"، والذي يُعيد صياغة تعليم يسوع الأساسي على النحو التالي: "أحب الله وقريبك، وكل ما لا تريد أن يفعله الناس بك، فلا تفعله للآخرين". [9] من خلال نسج أقوال من عظة الجبل والتقدم الذكي، فإن التعليم يؤهل أمر يسوع القاطع "أعط كل من يطلب منك" بإضافة، "دع أموالك تتعرق في يدك حتى تعرف لمن تعطيها". [10] يتكيف التعليم ويوسع بعض الوصايا العشر، معلنًا أن "الوصية الثانية من تعاليم الرسل هي: لا تقتل، لا تزن"، ويحدد أن هذا يعني عمليًا أنه "لا تمارس الجنس مع الصبيان الصغار، لا تزن، لا تسرق، لا تُجهض، لا تقتل الأطفال حديثي الولادة". [11]

هناك نص آخر ضمن "الآباء الرسوليين" وهو رسالة

برنابا، ينسب تعليمًا أخلاقيًا مماثلًا إلى رفيق بولس وزميله في الوعظ. برنابا، مثل التعليم، يستشهد بتعاليم يهودية تقليدية عن "الطريقين" - "طريق النور"، الذي يتألف من قائمة من الأفعال التي هي جيدة، و"طريق الظلمة" الذي يتألف من أفعال شريرة. [2] يفسر برنابا الوصايا العشر للمسيحيين على أنها تتطلب ما لا يقل عن أربعين أمرًا محددًا، بما في ذلك التحذيرات ضد "غطرسة السلطة" و"الدفاع عن الأغنياء" مع حرمان الفقراء من العدالة، بالإضافة إلى نفس الخطايا الجنسية التي ندد بها التعليم: "الجماع [الذكوري] مع الأولاد" و"الزنا" {والذي يعني على الأرجح النشاط الجنسي خارج نطاق الزواج من أي نوع} والزنا والإجهاض. [3] وهكذا يحدد برنابا قانونًا أخلاقيًا من شأنه أن يهيمن على التعاليم المسيحية لأجيال، بل ولآلاف السنين، قادمة.

يضع برنابا هذه الطرق المتناقضة للحياة في سياق روح الله في صراعه ضد الشيطان خلال "الوقت الشرير الحاضر". [14] تذكير المسيحيين بأن "روح الله قد انسكب عليكم من الرب"/[15] يحثهم برنابا على ممارسة اليقظة الأخلاقية، حتى "لا تكون للشيطان فرصة"

"لا يستطيع أحد أن يدخل الكنيسة، حتى وإن كانت الأيام شريرة، والمجرم لا يزال في السلطة" [16] وبينما يشجع برنابا المسيحيين على قبول نسخة معدلة من المواقف والممارسات الأخلاقية اليهودية، فإنه يحذر المسيحيين من الوقوع في طرق اليهود، الذين، كما يقول، "تجاوزوا لأن ملاكًا شريرًا كان يقودهم إلى الخطأ". [17] يجب على شعب الله الجديد أن "يتجنب طريق الظلمة" ويعتنق "طريق النور"، لأنه "على أحدهما ملائكة الله الحاملة للنور، ولكن على الآخر ملائكة الشيطان".

ورغم أن أغلب المتحولين قبلوا تعليمات الأساقفة بشأن ما يجب على المسيحيين فعله وما لا يجب عليهم فعله، فإن بعضهم، وربما أقلية، شككوا في سلطة الكهنة والأساقفة ورفضوا مثل هذه التعاليم الأخلاقية العملية. حوالي عام 180 ميلادية، ادعى إيرينيئوس سلطة الخلافة الرسولية بصفته أسقفًا لجماعة في ليون، وكتب هجومًا ضخمًا من خمسة مجلدات على المسيحيين المنحرفين - الذين وصفهم بالزنادقة - مهاجمًا إياهم باعتبارهم عملاء سريين للشيطان.[18] في افتتاحية عمله المؤثر للغاية، ضد الزنادقة، يعترف إيرينيئوس بأن "الخطأ لا يُطرح أبدًا بشكل عارٍ"، باعتباره حماقة صارخة، ولكن "مُتنكرًا فقط في أقنعة ذكية ومبتكرة". [19] يعلن إيرينيئوس أن هناك من يزعمون أنهم مسيحيون، ويعتبرهم الجميع كذلك، لكنهم في الواقع يعلمون "هاوية من الجنون والتجديف ضد المسيح". [20] إن هؤلاء المؤمنين الزائفين "يستخدمون اسم المسيح يسوع [فقط] كنوع من الإغراء"، من أجل تعليم العقائد المستوحاة من الشيطان، "وإصابة السامعين بالسم المرير والخبيث للثعبان، المحرض الأكبر على الارتداد". [21] يقترح إيرينيئوس أن أولئك الذين يقاومون التعاليم الأخلاقية للأساقفة يفعلون ذلك لأنهم أنفسهم مدفوعون بالعاطفة؛ ويحذر من أن بعضهم "يستسلمون لشهوات الجسد بأقصى درجات الجشع". [22]

لمدة تقرب من ألفي عام، أخذ معظم المسيحيين كلام إيرينيئوس على محمل الجد، معتقدين أن العديد من أولئك الذين وصفهم بالزنادقة كانوا مخادعين، أو فاسقين، أو كليهما. ولكن بعد اكتشاف العديد من كتابات هؤلاء الذين يسمون بالزنادقة في صعيد مصر عام 1945، بالقرب من مدينة نجع حمادي، تمكن هؤلاء المسيحيون الذين قمع الأساقفة أعمالهم من التحدث عن أنفسهم، لأول مرة في التاريخ تقريبًا.[23] عندما نقرأ كتاباتهم، نجد أن بعض

معتقداتهم تبدو غريبة بعض الشيء؛ بينما يبدو البعض الآخر وكأنه يعكس عقولاً مكثفة ومستفسرة منخرطة في مجموعة متنوعة من المسارات الروحية. أحد أكثر هذه النصوص تطرفًا هو "شهادة الحقائق"، وهو نص يطرح السؤال الأساسي الذي طرحه المصلحون المسيحيون على مدى ألفي عام، بدءًا من المعلم الغنوصي فالانتينوس في القرن الثاني، مرورًا بفرانسيس الأسيزي، ومارتن لوثر، وجورج فوكس، مؤسس جمعية الأصدقاء، وماري بيكر إيدي: ما هو "الإنجيل"؟ ما هي "الشهادة الحقيقية" عن المسيح ورسالته؟ مثل غيره من المصلحين المحتملين، يبدأ المؤلف المجهول لشهادة الحقيقة بالحديث إلى "أولئك الذين يعرفون كيف يستمعون، ليس فقط بآذانهم، بل بفهمهم أيضًا". [24] وبعيدًا عن تأييد الفجور، تصر الشهادة على أن المسيحيين يمارسون الزهد. يكتب هذا المؤلف باعتباره حارسًا للإنجيل الحقيقي؛ فهو يعتقد أن الغالبية العظمى من المسيحيين - أولئك الذين يقبلون نوع القيادة والأخلاق المروضة التي يدعو إليها "الآباء الرسوليون" - قد وقعوا في خطأ أخلاقي. "لقد بحث كثيرون عن الحقيقة ولم يتمكنوا من العثور عليها، لأنهم وقعوا تحت تأثير "خميرة الفريسيين العتيقة ومعلمي الناموس". "[25]

يقول هذا المعلم إن معظم المسيحيين يقبلون دون تفكير رواية سفر التكوين عن الخلق، والتي تنص على أن الخالق "يأمر الإنسان أن يتخذ زوجًا أو زوجة وينجب ويتكاثر مثل رمل البحر" (تكوين 1: 28؛ 13: 16).[26] ولكن هذا المعلم يعترض قائلاً إن هؤلاء المسيحيين يفشلون في إدراك أن الإنجيل يقف في معارضة تامة للناموس: "خرج ابن الإنسان من عدم الفساد"،[27] وجاء إلى العالم لإنهاء النظام القديم وبدء النظام الجديد. ودعا أولئك الذين ينتمون إليه إلى التحول: "هذه هي الشهادة الحقيقية: عندما يعرف الإنسان نفسه والله الذي يرأس الحقيقة، فإنه يخلص". [28] لكن معرفة الله تتطلب التخلي عن كل شيء آخر: "لا أحد يعرف إله الحق إلا من تخلى عن كل شيء في العالم". "[29] إن التخلي وحده هو الذي يمكّن الإنسان من التخلص من الذات القديمة الزائفة المليئة بالخوف والجشع والغضب والشهوة والحسد، واستعادة الذات الحقيقية في الله. إن المسيحي الحقيقي يتبع طريقًا يتجنبه معظم من يسمون أنفسهم مسيحيين؛ ويقول هذا الكاتب عن مثل هذا الشخص:

> "يفكر في القوة التي تدفقت على الكون بأكمله، والتي تأتي عليه... وهو تلميذ لعقله..." يبدأ بالصمت في داخله... يرفض الجدل والنزاع... يصبر على الجميع، ويساوي نفسه بالجميع، وينفصل عنهم أيضًا. [30]

كان المسيحيون مثل جوستين الشهيد، أحد آباء الكنيسة، يشاركون في مثل هذه التطلعات إلى ضبط النفس. كان جوستين معجبًا بشدة بالمسيحيين الذين يمارسون الزهد والعزوبة؛ حتى أنه أثنى بشكل خاص على شاب اعتنق المسيحية في الإسكندرية، والذي قدم التماسًا إلى فيليكس، الحاكم،

> طالبًا أن يُمنح الجراح الإذن بإخصائه. وكان الجراحون قد قالوا إنه ممنوع عليهم القيام بذلك دون إذن الحاكم. وعندما رفض فيليكس رفضًا قاطعًا التوقيع على مثل هذا الإذن، ظل الشاب عازبًا.[31]

كان أوريجانوس، الذي كان يُبجل أيضًا باعتباره أبًا للكنيسة، مصممًا على الفوز في صراعه ضد الأهواء لدرجة أنه خصى نفسه في شبابه، على ما يبدو دون أن يطلب إذنًا من أي شخص، وخاصة الحاكم.

إن مؤلف الشهادة لم يذكر الإخصاء قط، ناهيك عن تأييده، ولكنه يصر مع ذلك على أن أولئك الذين "ينكرون العالم كله"، بدءًا من النشاط الجنسي والمعاملات التجارية، هم وحدهم من يصلون إلى معرفة الله. لقد اعتبرت أغلب الكنائس المسيحية، منذ القرن الثاني وحتى الوقت الحاضر، مثل هذا التخلي بمثابة نصيحة للكمال، لا يمكن تحقيقها إلا من قبل قلة من الأبطال - في الكنائس الأرثوذكسية في جميع أنحاء العالم من قبل الرهبان، وفي الكنائس الكاثوليكية الرومانية من قبل جميع الكهنة والأساقفة، وكذلك الرهبان والراهبات. ومع ذلك، فإن مؤلف الشهادة يذهب إلى أبعد من المسيحيين مثل جوستين أو أوريجانوس، عندما يعلن أن التخلي ليس فقط أمرًا مثيرًا للإعجاب، بل هو ضروري لأي مسيحي حقيقي. وهو يعلم بالطبع أن الغالبية العظمى من المسيحيين يؤمنون بأن الله خلق الذكر والأنثى وأمر جميع مخلوقاته، من الحيوانات

والإنسان، "أن يثمر ويكثر" (تكوين 1: 28). لكن كاتب الشهادة، وهو يتأمل في اغترابه عن غالبية المسيحيين "الدنيويين"، يعتقد فجأة أنه يفهم تحذير يسوع لتلاميذه بأن "يحذروا من خمير الكتبة والفريسيين" (مرقس 8: 15). لا ينبغي أن تؤخذ كلمات يسوع حرفيًا، كما لو كانت تشير إلى المعلمين اليهود فقط؛ بدلاً من ذلك، إذا أخذناها رمزيًا، فإنها تحرض ضد المعلمين المسيحيين مثل مؤلف برنابا أو تعاليم الرسل الاثني عشر، الذين يستشهدون بالكتاب المقدس لتبرير الحياة العادية.

وبحسب الشهادة فإن "الكتبة والفريسيين" و"القادة العميان" الذين حذر منهم يسوع (متى 23) ليسوا سوى أغلبية المسيحيين - المسيحيون الذين تم خداعهم ليعبدوا ليس الله بل "حكامًا" خارقين للطبيعة أقل من الإلهية. يعتبر مؤلف الشهادة أن تحذير يسوع يعني أن المؤمنين يجب أن يتجنبوا تأثير "الشهوة الضالة للملائكة والشياطين"[32] - الملائكة الساقطين الذين وقعوا في الخطأ بسبب شهواتهم الخاصة. بل إن الشهادة تزعم أن الإله الذي يعبده معظم المسيحيين، إله الكتاب المقدس العبري، هو نفسه أحد الملائكة الساقطين - بل إنه رئيس الملائكة الساقطين، الذي جاء المسيح ليحرر البشر من طغيانهم: لأن الشهادة تعلن أن "كلمة ابن الإنسان... تفصلنا عن ضلال الملائكة".[33]

ما لم يقله بارنابا عن اليهود - أنهم تعرضوا للخداع من قبل "ملاك شرير" - وما يقوله غالبية المسيحيين عن الوثنيين - أنهم يعبدون عن غير قصد الشياطين التي ولدتها الملائكة الساقطة - يقول هذا المؤلف عن المسيحيين الآخرين، ويوثق هذا المعلم المتطرف ما فعله ملايين المسيحيين الساخطين منذ ذلك الحين: اعتبار غالبية المسيحيين مرتدين، وقرأهم في الأناجيل على أنهم "فريسيون وكتبة" (أو على الأقل كتلاميذ ساذجين، عرضة للإغواء من قبل هؤلاء المعلمين). وبعد مرور أربعة عشر قرنًا من الزمان، على سبيل المثال، أصبح مارتن لوثر ينظر إلى زملاءه المسيحيين السابقين[7] - الروم الكاثوليك - على أنهم "الفريسيون والكتبة" الذين حذر يسوع تلاميذه منهم. في حين يرى معظم المؤمنين في المسيح ورسالته القوة للتغلب على قوى الشر في العالم، إلا أن بعض المسيحيين المعارضين منذ القرن الثاني زعموا أن الإنجيل نفسه قد استغلته قوى الشر.

لكن مؤلف شهادة الحقيقة يذهب إلى ما هو أبعد من المسيحيين "المحتجين" في عصر الإصلاح والعصور اللاحقة. مقتنعًا بأن رسالة المسيح هي عكس "الناموس" تمامًا - أي الكتاب المقدس العبري - يطرح هذا المعلم أسئلة جذرية:

> ما هو النور؟ وما هو الظلام؟ ومن هو الذي خلق العالم؟ ومن هو الله؟ ومن هم الملائكة؟ . . . . وما هي الحاكمية (للعالم)؟ ولماذا يكون البعض أعرج، والبعض أعمى، والبعض غني، والبعض فقير؟ [34]

عند التعامل مع قصة التكوين بأسئلة مثل هذه، "يكتشف" هذا المعلم أن القصة تكشف الحقيقة فقط عندما نقرأها بالعكس، مدركين أن الله هو الشرير في الواقع، وأن الحية هي القدوس! يشير هذا المعلم، على سبيل المثال، إلى أنه في سفر التكوين 2: 17، أمر الله آدم ألا يأكل من ثمرة الشجرة في وسط الجنة، محذرًا إياه من أنه "في اليوم الذي تأكل منه تموت". لكن الحية تقول لحواء العكس: "لن تموتا، بل الله يعلم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر" (3: 4-5). من الذي قال الحقيقة، تسأل الشهادة؟ عندما أطاع آدم وحواء الحية، "فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان" (3: 7). ولم يموتوا "في ذلك اليوم" كما حذرهم الله، بل انفتحت أعينهم على المعرفة كما وعدهتم الحية. ولكن عندما أدرك الله ما حدث، "لعن الحية ودعاها إبليس" (تكوين 3: 14-15).[35] والآن بعد أن نال آدم المعرفة الإلهية، قرر الله أن يطرده من الفردوس، "لئلا يمد يده ويأكل من شجرة الحياة فيحيا إلى الأبد" (تكوين 3 :22)، والحصول على الحياة الأبدية مع المعرفة.

"أي نوع من الإله هذا الإله؟ ..." "لقد أظهر نفسه

كشخص حاسد خبيث،"[36] يقول مؤلف الشهادة. هذا الإله ليس غيورًا على خلقه فحسب، بل هو أيضًا جاهل وانتقامي. وماذا عن الحية التي لعنها الله وأطلق عليها اسم إبليس؟ وفقًا لشهادة الحقيقة، فإن الحية

التي قادت آدم وحواء إلى التنوير الروحي هو في الواقع المسيح. ظهر في هذا التخفي في الجنة ليحرر آدم وحواء من "خطأ الملائكة"[37] - أي الخطأ الذي أحدثه "حكام" خارقون للطبيعة أشرار، يتنكرون في صورة الله في هذا العالم.

سأل أحد طلاب معلم مسيحي مجهول الهوية آخر، تم اكتشاف كتاباته في نجع حمادي، عما يعنيه "الرسول العظيم" بولس عندما حذر من أن "محاكمتنا ليست ضد لحم ودم، بل ضد حكام العالم وأرواح الشر" (أفسس 6 :12). فأجاب بكتابة وحي سري اسمه حقيقة الحكام، قال: "أرسلتك إليه بما أنك سألت عن حقيقة الحكام". [38] يشرح المعلم أن "رئيسهم [إله الكتاب المقدس العبري أعمى؛ بسبب قوته وجهله وغروره، كما قال، ... "أنا هو الله، وليس هناك أحد غيري." "[39] ثم يقول هذا المعلم:

> وعندما قال هذا، أخطأ في حق المكان كله. وخرج صوت من فوق مملكة السلطة المطلقة قائلاً:
>
> "أنت مخطئ يا سمائل" أي "إله العميان"...
>
> وقال: «إن كان أمامي شيء آخر فليظهر لي»
>
> وعلى الفور مدت الحكمة إصبعها وأدخلت النور إلى المادة...
>
> وقال لنسله: "أنا إله الكل".
>
> فصرخت الحياة، ابنة الإيمان والحكمة، وقالت: "أنت مخطئ يا سايداس!" (أي "أحمق"). نفخت في وجهه، فصار أنفاسها ملاكًا ناريًا بالنسبة لها؛ فربطه ذلك الملاك وألقاه في تارتروس تحت هاوية الطقوس.[40]

في الكون الذي يصوره هذا المعلم لا يوجد شيطان، ولا حاجة إلى واحد، لأن "الرب" - إله اليهود ومعظم المسيحيين على حد سواء - يعمل بنفسه كرئيس للملائكة الساقطين الذين يغوون البشر ويستعبدونهم. بإعلانه نفسه بأنه الإله الأسمى والفريد للكون، "أخطأ ضد

الكل"، رافضًا الاعتراف بنفسه كجزء من حقيقة إلهية أكبر بكثير*. تكشف تفاخراته أنه مجرد كائن أقل شأناً وجاهل، قادته قوته إلى الكبرياء المفرط (الغطرسة) وإلى الدمار.

وبحسب حقيقة الحكام، فإنهم سمائل ورفاقه "حكام الظلمة" (أف 6: 12)، ليس الإله الحقيقي، الذي شكل جسد آدم المادي (تكوين 2: 7)، الذي جعله يعمل في الفردوس "لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا." (تكوين 2: 15)، ثم نومه وصنع شريكة له من ضلعه (تكوين 2: 21-22). وأمر هؤلاء الحكام أنفسهم آدم بعدم الأكل من ثمرة شجرة المعرفة، التي يمكن أن تفتح عينيه على الحقيقة، لأنهم أرادوا بغيرة الاحتفاظ بالسيطرة عليه. وعندما تحدى آدم وحواء، المستنيرين بالمبدأ الروحي الأنثوي الذي ظهر لها في صورة الحية، لعن الحكام المرأة والثعبان، وطردوا آدم وحواء من الجنة:

> علاوة على ذلك، ألقوا بالبشرية في تشتت كبير وفي حياة من العمل، حتى انشغلت البشرية بالشؤون الدنيوية، ولم تتح لها الفرصة للتكريس للروح القدس.[41]

وبحسب مؤلفي هذه التعاليم، فإن الحالة الإنسانية، التي تشمل العمل والزواج والإنجاب، لا تعكس البركة الإلهية، بل تُظهر العبودية للقوى الكونية التي تريد أن تعمي البشر عن قدرتهم الفطرية على التنوير الروحي. يعتقد هؤلاء المسيحيون المتطرفون أن معظم الناس، بما في ذلك معظم المسيحيين، قد وقعوا فريسة لحكام الظلام، وبالتالي، مثل معظم اليهود والوثنيين، ما زالوا متورطين في عبودية جنسية واجتماعية واقتصادية.

ومع ذلك، هناك قلة من الناس، من بينهم هؤلاء المؤلفون أنفسهم،

الذين انفتحت أعينهم، واستيقظوا على المصدر الإلهي الذي يأتي منه البشر وينتمون إليه - وهو مصدر مخفي عميقًا في التجربة العادية. النموذج الأولي للشخص المستيقظ روحياً هو ابنة حواء، نوريا. عندما حاول "الحكام" إغواءها وخداعها، صرخت نوريا إلى الله وتلقت مساعدة إلهية؛ كشف لها الملاك

إلكلث (الذي يعني اسمه العبري "الفهم") كيف أصبحت هذه القوى الفاسدة والمحدودة تحكم العالم، وأكد لها أنها لا تنتمي إليهم، بل إلى القوى العليا - أب الكل، وإلى فيضه و"ابنته"، الحكمة، وإلى الحياة الإلهية:

> أنت، مع ذريتك، من فوق؛ هذه الأرواح خرجت من النور الخالد. ولذلك لا يستطيع الحكام الاقتراب منها بسبب روح الحق الموجود فيها؛ وكل من يعرف هذا الطريق يعيش بلا موت في وسط البشرية المحتضرة.[42]

أولئك الذين يحملون "روح الحق في داخلهم" يرفضون الدخول في الزواج، أو العمل، أو أي ارتباطات دنيوية أخرى، من أجل البقاء "جيلًا غير خاضع للهيمنة"، حرًا "ليكرس نفسه للروح القدس". [43]

يقدم كتاب يوحنا السري، وهو "كشف" آخر معروف تم اكتشافه في نجع حمادي، قراءة أسطورية أخرى لسفر التكوين تهدف إلى الكشف عن الروابط التي تربط الناس بحياة عقيمة وغير مرضية. يوضح الكتاب السري أنه بعد خلق آدم، قام الحاكم الرئيسي وحلفاؤه بسلسلة من ثلاث هجمات تهدف إلى السيطرة على أبناء آدم وأسرهم. أولاً، "أغوى الحاكم الرئيسي [حواء] ... وأنجب منها ابنين"، قابيل وهابيل؛ وبالتالي، من ذلك الوقت "حتى يومنا هذا، استمرت الجماع، بسبب الحاكم الرئيسي"، الذي "زرع الرغبة الجنسية" في حواء. ولكن لأن بعض الناس ما زالوا يفلتون من سيطرته على الرغم من ضغوط الرغبة الجنسية،[44] فقد وضع الحاكم الرئيسي بعد ذلك "خطة بالتعاون مع سلطاته" لإخضاع حتى أقوى الأرواح البشرية: لقد ارتكب الحكام "الزنا بالحكمة، وولد لهم مصير مرير". [45] منذ ذلك الوقت، أثبت القدر أنه الرابط الأكثر حتمية:

> فمن ذلك المصير خرجت كل خطيئة وكل ظلم وكل تجديف وكل نسيان وكل جهل وكل حالة قاسية وكل انتهاكات خطيرة وكل رعب عظيم. "فأُعْمِيَتْ الْخَلِيقَةُ كُلُّهَا لِكَيْ لاَ يَعْرِفُوا اللهَ الَّذِي هُوَ فَوْقُهَا جَمِيعًا."[46]

وبما أن اختراع القدر ترك الحكام غير مرتاحين بشأن سيطرتهم على البشر، فقد خططوا لمؤامرة ثالثة. «أرسل الرئيس ملائكته إلى بنات البشر»[47] (راجع سفر التكوين 6: 2) للتزاوج والتكاثر معهم، والمشاركة معهم وتعليمهم كيفية استخراج الذهب والفضة والحديد والنحاس. وهكذا يصور الكتاب السري بؤس الحياة البشرية العادية، المتورطة في العمل، والتي تحركها العاطفة الغريزية، والتي يسيطر عليها القدر، والتي تقضي حياتها في الحصول على المال ومحاولة تجميع الثروة. وبكل هذه الأساليب استطاع الحكام إبقاء البشر تحت سيطرتهم:

> "وقادوا الناس الذين تبعوهم إلى انحراف كبير؛ وأصبح الناس شيخوخيين دون أن يكون لهم فرح؛ وماتوا دون أن يجدوا الحقيقة، ودون أن يعرفوا الله..." "وهكذا استعبدت لهم الخليقة كلها منذ تأسيس العالم إلى الآن."[48]

وقد ردّ بعض المسيحيين الذين وقفوا مع الأغلبية على هؤلاء المتطرفين. كان ترتليان، وهو أحد المتحولين إلى المسيحية في مدينة قرطاج في شمال أفريقيا ومعاصر لإيرينيئوس (حوالي عام 180 ميلادية)، يتفق مع إيرينيئوس في إدانة كل من انحرف عن إجماع الأغلبية باعتباره "زنذيقا". يصر كلا آباء الكنيسة على أن ما يميز الكنيسة الحقيقية هو الإجماع - الاتفاق في العقيدة والأخلاق والقيادة. يقول ترتليان، نقلاً عن بولس، إن المسيحيين يجب أن "يتكلموا ويفكروا جميعًا في نفس الأمور". [49] كل من يحيد عن الإجماع هو، بحكم التعريف، زنذيق؛ لأنه، كما يشير ترتليان، فإن الكلمة اليونانية المترجمة "زنذيق" *(bairesis)* تعني حرفيًا "اختيار"؛ وبالتالي فإن "الزنذيق" هو "من يتخذ خيارًا". [50] يلاحظ ترتليان أن الزنادقة في الواقع يفتخرون بالنقاط التي يختلفون فيها عن الأغلبية، ويعتبرون هذه النقاط دليلاً على رؤيتهم العميقة. يقول ساخرًا:

> كلما عثروا على أي جديد، فإنهم يطلقون على افتراضهم على الفور اسم "■" "هبة روحية"، لأنهم لا يقدرون الوحدة ولكن التنوع... وبالتالي، فإنهم غالبًا ما يكونون في حالة من الانقسام، ويكونون على استعداد للقول - وبصدق تام -

عن نقاط معينة في معتقداتهم، "هذا ليس صحيحًا"، و"أنا آخذ هذا بمعنى مختلف"، ولا يقبلون ذلك. [51]

لكن ترتليان يصر على أن اتخاذ الاختيار هو شر، لأن الاختيار يدمر وحدة المجموعة. يقول ترتليان إنه للقضاء على البدعة، يجب على قادة الكنيسة ألا يسمحوا للناس بطرح الأسئلة، لأن "الأسئلة هي التي تجعل الناس زنديقا" [52*] - وفوق كل شيء، أسئلة مثل هذه: من أين يأتي الشر؟ لماذا مسموح به؟ . -أرأيت ما هو أصل البشر؟ يريد ترتليان أن يوقف مثل هذه الأسئلة ويفرض على جميع المؤمنين نفس ″قاعدة الإيمان″ أو العقيدة. يعرف ترتليان أن "الزناذقة" سوف يعترضون بلا شك، قائلين إن يسوع نفسه شجع على الاستفسار، قائلاً: "اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم" (متى 7: 7). ولكن ترتليان ليس لديه صبر مع هؤلاء الناس: "أين ستكون نهاية البحث؟ إن الهدف من البحث هو العثور على شيء ما، والغرض من العثور هو الإيمان. والآن، بعد أن أصبحت الكنيسة قادرة على تقديم إجابة مباشرة وبسيطة لجميع الأسئلة في قاعدة إيمانها، يقول ترتليان، إن العذر الوحيد للاستمرار في البحث هو العناد المحض:

> بعيدا عن الشخص الذي يبحث دائما، فإنه لا يجد شيئا أبدا؛ لأنه يبحث حيث لا يمكن العثور على شيء. "بعيدًا عن الذي يطرق دائمًا، لأنه يطرق حيث لا يوجد أحد يفتح، بعيدًا عن الذي يسأل دائمًا، لأنه يسأل من لا يسمع."[54]

يعلن ترتليان أن المسيحي الحقيقي هو الذي يقرر ببساطة "أن لا يعرف شيئًا... يتعارض مع حقيقة الإيمان". ولكن عندما "يصر الناس على أن نسأل عن القضايا التي تهمهم"، كما يقول ترتليان، "فإن لدينا التزامًا أخلاقيًا بدحضهم..." "يقولون إنه يجب علينا أن نطرح الأسئلة حتى نتمكن من المناقشة،" يواصل ترتليان، "ولكن ما الذي يمكننا مناقشته؟" عندما يعترض "الزنذيق" على أن المسيحيين يجب أن يناقشوا المعنى الحقيقي للكتاب المقدس، يعلن ترتليان أن المؤمنين يجب أن يرفضوا كل جدال حول تفسير الكتاب المقدس؛ فمثل هذا الجدل "لا يؤدي إلا إلى اضطراب المعدة أو الدماغ". [55] وبالإضافة إلى ذلك، يقول ترتليان إن مثل هذا النقاش يجعل الموقف الأرثوذكسي يبدو ضعيفًا:

"إذا ناقشتهم، فسيكون تأثير ذلك على المتفرجين هو جعلهم غير متأكدين من أي جانب هو الصحيح... الشخص الذي في شك... سيشعر بالارتباك من حقيقة أنه يراك لا تحرز أي تقدم، بينما الجانب الآخر على قدم المساواة معك في المناقشة... وسيذهب بعيدًا وهو أكثر شكًا بشأن أي جانب يجد أنه زندقة... لأنه، بلا شك، لديهم أيضًا أشياء ليقولوها؛ سيتهموننا بالتفسير الخاطئ، لأنهم، لا يقلون عنا، يزعمون أن الحقيقة في صفهم (التأكيد مضاف)؟" [56]

يقول ترتليان إنه بدلاً من السماح للزناذقة بالدخول في مناقشات حول الكتاب المقدس، يجب على المسيحيين "المستقيمين فكرياً" (الترجمة الحرفية لكلمة "أرثوذكسي")[57] أن يطالبوا ببساطة بالكتاب المقدس باعتباره ملكاً خاصاً بهم:

لا ينبغي أن يُسمح للزنادقة بالطعن في الاستئناف إلى الكتاب المقدس، لأننا ... نثبت أنه لا علاقة لهم بالكتاب المقدس. فما داموا زنادقة، فلا يمكن أن يكونوا مسيحيين حقيقيين؟

ولكن كيف يأتي الزناذقة بمثل هذه الحجج الذكية والمقنعة من الكتاب المقدس؟ يقول ترتليان إن إلهامهم يأتي من "الشيطان، بالطبع، الذي تنتمي إليه الحيل التي تشوه الحقيقة". [58] فالشيطان، بعد كل شيء، هو من اخترع كل فنون الحرب الروحية، بما في ذلك التفسير الكاذب. تحذير بولس من "قوى الشر الروحية في الأماكن السماوية"، والتي تحولها حقيقة الحكام ضد الإله التوراتي وملائكته، يأخذه ترتليان بالمعنى المعاكس: هنا، كما يقول، يحذر بولس من الشيطان، الذي يخترع قراءات خاطئة للكتاب المقدس ليقود الناس إلى الخطأ.[59] بدلاً من الاختيارات والأسئلة والمناقشات حول تفسير الكتاب المقدس، يوصي ترتليان بالقبول بالإجماع لقاعدة الإيمان، ولضمان ذلك، الطاعة لـ "الانضباط" الكنسي المناسب - أي للكهنة الذين يقفون في خلافة مناسبة من الرسل.[60] لو تم تطبيق "وصفات" ترتليان، لربما أثبتت فعاليتها ضد المعلمين المتطرفين مثل أولئك الذين كتبوا شهادة الحقيقة، وحقيقة الحكام، والكتاب السري

ليوحنا. على أية حال، ظلت المجموعات التي تمثلها هذه النصوص هامشية بين المسيحيين؛ وكان جاذبيتها محدودة بالقِلة الذين كانوا على استعداد للاستجابة لإنجيل يتطلب من المرء أن يقطع ليس فقط علاقته بالعالم، بل وأيضاً علاقته بالأغلبية المسيحية.

ولكن آخرين اعتبرهم ترتليان وإيرينيئوس زناذقة كانوا أقل تطرفاً إلى حد كبير ـ ولهذا السبب على وجه التحديد، كانوا أكثر تهديداً للسلطات الدينية الناشئة وأنصارها. كان من أبرزهم أتباع فالانتينوس، وهو معلم مسيحي من مصر هاجر إلى روما في نفس الفترة التي هاجر فيها جوستين، حوالي عام 140 ميلادي. لم يكن لفالانتينوس أي خلاف مع السلطة الدينية؛ بل إننا، إذا صدقنا ترتليان في هذه النقطة، "كان يتوقع أن يصبح أسقفًا، لأنه كان رجلاً بارعًا، في العبقرية والبلاغة". [61] ولكن فالانتينوس "انفصل عن كنيسة الإيمان الحقيقي"،[62] يقول ترتليان، لأنه تم تعيين رجل آخر أسقفًا بدلاً منه؛ وينسب ترتليان، مثل إكليمندس، إلى أولئك الذين يتحدون السلطة الأسقفية دوافع الحسد والطموح المحبط.

كان فالانتينوس قد تعمد وقبل البيان الكنسي للإيمان وشارك في العبادة المسيحية المشتركة. ولكن بعد معموديته، تلقى حلمًا كاشفًا ظهر له فيه الكلمة في شكل طفل حديث الولادة؛[63] فأخذ هذه الرؤية كحافز لبدء استكشافاته الروحية الخاصة. وبعد أن سمع عن معلم اسمه ثيوداس الذي ادعى أنه تلقى تعليمًا سريًا من الرسول بولس نفسه، تعلم فالانتينوس منه بكل شغف كل ما استطاع. ومنذ ذلك الحين أصبح هو نفسه معلمًا، حيث قام بتضخيم ما تعلمه من ثيوداس من خلال استكشافاته الروحية الخاصة، وتشجيع طلابه على تطوير قدرتهم الداخلية على الفهم الروحي.

كان فالانتينوس ينوي أن يسلك طريقا وسطا بين طرفين متطرفين ـ بين أولئك الذين زعموا أن إيمان الأغلبية هو الإيمان الحقيقي الوحيد، وأولئك، مثل مؤلفي أجزاء من شهادة الحقيقة وواقع الحكام، الذين رفضوه باعتباره كاذبا ومنحطا. في حين أنه كان يعتبر قبول المعمودية والاعتراف بالإيمان المشترك بالله والمسيح أمرًا ضروريًا لأولئك الذين يبدأون في الإيمان، فقد حث إخوانه المؤمنين على الذهاب إلى ما هو أبعد مما يتصوره المسيحيون.

وقد قام الوعاظ بتعليم ما هو أبعد من التفسير الحرفي للكتاب المقدس، وذلك من أجل التشكيك في المعنى الأعمق للأناجيل. ومن خلال القيام بذلك، كان يعتقد أنه يمكن للإنسان أن يتقدم إلى ما هو أبعد من الإيمان إلى الفهم، أي إلى الغنوص. غالبًا ما تُترجم هذه الكلمة إلى "المعرفة"، لكن الترجمة مضللة إلى حد ما، لأن الغنوصية تختلف عن المعرفة الفكرية (كما في عبارات مثل "إنهم يعرفون الرياضيات")، والتي تتميز في اليونانية بكلمة *eidein* (التي اشتُق منها الكلمة الإنجليزية *idea*). اللغة الإنجليزية غير عادية ضمن مجموعتها اللغوية لأنها تحتوي على فعل واحد فقط ("معرفة") للتعبير عن أنواع مختلفة من المعرفة. تستخدم اللغات الأوروبية الحديثة كلمة واحدة لوصف المعرفة الفكرية وأخرى لمعرفة العلاقات الشخصية: الفرنسية، على سبيل المثال، تميز بين كلمتي *savoir* و*connaitre*، والإسبانية بين كلمتي *saber* و*conocer*، والإيطالية بين كلمتي *sapere* و*conoscerey*. والألمانية بين *wissen* و *kennen*. الكلمة اليونانية *gigndsko*،

و التي تشتق منها الغنوص تشير الى معرفة العلاقات الشخصية (كما في "نحن نعرف المسيح" أو، على حد تعبير عراف دليفي، "اعرف نفسك"). من الأفضل أن تُترجم هذه الكلمة إلى "البصيرة" أو "الحكمة". يشجع أحد المعلمين الغنوصيين طلابه على البحث عن الغنوص في داخلهم:

> اترك البحث عن الله، والخلق، والأشياء المشابهة من هذا القبيل. بدلا من ذلك، اعتبر نفسك نقطة البداية. اسأل من هو الذي بداخلك الذي يجعل كل شيء ملكًا له قائلاً: "عقلي"، "قلبي"، "إلهي". تعرف على مصادر الحب والفرح والكراهية والرغبة. فإذا تأملت هذه الأمور جيداً، وجدت الله في نفسك. [64]

يقول معلم آخر أن الغنوصية تكشف "من كنا، ومن أصبحنا؛ إلى أين نحن ذاهبون؛ من أين أتينا؛ ما هي الولادة، وما هي الولادة الجديدة". [65] إن ما يدركه المسيحي الغنوصي في النهاية هو أن إنجيل المسيح يمكن إدراكه على مستوى أعمق من المستوى المشترك بين جميع المسيحيين. من يسلك طريق الغنوص يكتشف أن الإنجيل هو أكثر من مجرد رسالة عن التوبة ومغفرة الخطايا؛ فهو يصبح طريقًا للصحوة الروحية، والتي من خلالها يكتشف الإنسان الإلهي في داخله. سر الغنوص هو أنه عندما يتجه الإنسان

لمعرفة نفسه على المستوى الأعمق، فإنه يتجه لمعرفة الله كمصدر لوجوده.

يصف مؤلف إنجيل فيليب، وهو أحد أتباع فالانتينوس، الغنوص بأنه تطور طبيعي من الإيمان. وكما يتم جمع الحصاد من خلال التفاعل التعاوني بين العناصر الطبيعية، الماء، والتراب، والرياح، والنور، يقول فيليب:

> تتكون زراعة الله من أربعة عناصر: الإيمان، والأمل، والحب، والغنوص. الإيمان هو أرضنا التي نتجذر فيها. والأمل هو الماء الذي نرتفع به، والحب هو الريح التي ننمو بها. الغنوص إذن هو النور الذي ننضج من خلاله [أو: "نصبح ناضجين"].[66]

وعلى النقيض من المسيحيين المتطرفين الذين يؤمنون بحقيقة الحكام أو كتاب يوحنا السري، فإن فالانتينوس وأتباعه لم يرفضوا الوصايا الأخلاقية التي علمها الكهنة والأساقفة؛ ولم يحتقروا الكتاب المقدس العبري أو يحرفوه، ولم ينكروا علانية سلطة الكهنة والأساقفة. "وبدلاً من ذلك، قبلوا كل ذلك، ولكن مع شرط حاسم: لقد قبلوا الإجماع الأخلاقي والكنسي والكتابي باعتباره ملزماً لغالبية المسيحيين، ولكن ليس لأولئك الذين تجاوزوا مجرد الإيمان إلى الغنوص - أولئك الذين أصبحوا ناضجين روحياً".

كما قبل فالانتينوس وأتباعه النظام الأخلاقي الذي فرضه الأساقفة، والذي ينص على الأعمال الصالحة وينهى عن الأعمال السيئة، باعتباره ضروريًا للمبتدئين. لكن فالانتينوس وأتباعه رأوا في الكنائس نوعين مختلفين من المسيحيين.[67] ويطلقون على معظم المسيحيين اسم المسيحيين "الكنسيين" أو "النفسيين" (أي أولئك الذين يعملون على مستوى النفس أو الروح)؛ "ويقولون"، يحتج إيرينيئوس بسخط، "إننا في الكنيسة مثل هؤلاء الأشخاص". [68] ولكن أولئك الذين يقبلون المبادرة الثانية السرية التي تسمى "الفداء" يعتبرون أنفسهم من الآن فصاعدًا مسيحيين ناضجين "روحيين"، تقدموا من مجرد الإيمان إلى الفهم الروحي، أو الغنوص.

لأن فالانتينوس وأتباعه قبلوا المعمودية علنًا، وحضروا العبادة المشتركة، وأعلنوا نفس العقيدة، اعتبرهم معظم المسيحيين مؤمنين غير مؤذين تمامًا، وأصروا هم أنفسهم على أن هذا هو ما كانوا

عليه. ولكن بعد جيل واحد من تعاليم فالانتينوس في روما، اكتسبت الحركة شعبية كبيرة في جميع أنحاء العالم المسيحي، وخاصة بين الأعضاء الأكثر تعليما في الكنيسة. يشكو ترتليان من أن "الأكثر إيمانًا، والأكثر حكمة، والأكثر خبرة" من أعضاء الكنيسة "هم الذين انتقلوا إلى الجانب الآخر". [69] لقد وجد إيرينيئوس، لدهشته، معلمين الفالنتينين نشطين بين أعضاء جماعته في ليون، يدعون المؤمنين لحضور اجتماعات سرية، لطرح الأسئلة حول الإيمان ومناقشة "معناه الأعمق". [70] وفي مثل هذه الاجتماعات، التي لم يأذن بها الأسقف، قام هؤلاء الفالنتينيون بتعليم ما اعتبره إيرينيئوس تجديفًا. لقد علموا، على سبيل المثال، أن الله الخالق الموصوف في سفر التكوين ليس هو الإله الوحيد، كما يعتقد معظم المسيحيين - كما أنه ليس رئيس الملائكة الساقطين الشرير المنحط، كما يتصور المتطرفون. وفقًا لفالانتينوس، فهو صورة مجسمة للمصدر الإلهي الحقيقي الذي يكمن وراء كل كائن، المصدر الذي لا يمكن التعبير عنه ولا وصفه والذي يسميه فالانتينوس "العمق" أو "الهاوية". عندما يستحضر فالانتينوس صورًا لهذا المصدر، فإنه يصفه بأنه ديناميكي وثنائي في جوهره، وهو "أب الجميع" و"أم الجميع" الإلهي. [71] وقد يسمع أيضًا أولئك الذين حضروا مثل هذه الاجتماعات أن الأسقف - إيرينيئوس نفسه - على الرغم من أنه رجل صالح، إلا أنه كان شخصًا محدود الفهم ولم يتقدم إلى ما هو أبعد من الإيمان إلى الغنوص.

يعترف إيرينيئوس في كتابه ضد الهرطقة بأن أتباع فالانتينوس يعتبرون أنفسهم أشخاصًا يصلحون الكنيسة ويرفعون مستوى فهمها الروحي؛ لكنه يقول إنه لا يوجد شيء جيد يمكن أن يحققوه من تعويض عن الضرر الذي يلحقونه بـ "تقسيم جسد المسيح العظيم والمجيد"، [72] الكنيسة. وباعتباره أسقفًا، رأى إيرينيئوس أن مجرد التزام المسيحيين الغنوصيين بالاستكشاف الروحي يميزهم عن الباقين، ويؤدي فعليًا إلى تقسيم المجتمع. إن وجودهم كتهديد داخلي خبيث أدى إلى إضعاف الهياكل الهشة للإجماع التنظيمي والأخلاقي الذي كان قادة مثل إيرينيئوس يحاولون من خلاله توحيد الجماعات المسيحية في جميع أنحاء العالم.

في حين اتفق المسيحيون الفالنتينيون على أن التعليم الأخلاقي

للأساقفة كان ضروريًا للمسيحيين النفسيين، فإنهم مالوا إلى

اعتبار أنفسهم معفيين، أحرارًا في اتخاذ قراراتهم الخاصة بشأن الأفعال التي حظرها الأساقفة. يقول إيرينيئوس إن بعض المسيحيين الفالنتينيين يحضرون المهرجانات الوثنية مع عائلاتهم وأصدقائهم، مقتنعين بأن هذا لا يمكن أن ينجسهم؛ ويتهم آخرين بالذهاب إلى عروض المصارعة، وهم مذنبون بما وصفه بالتجاوزات الجنسية الصارخة. [73] على سبيل المثال، يستشهد إيرينيئوس بماركوس، وهو معلم فالنتيني نشط "في منطقتنا في وادي الرون/" ويسميه إيرينيئوس مُغويًا يصنع منشطات جنسية خاصة لإغراء العديد من النساء اللاتي "تدنسهن، وامتلأن بالعاطفة تجاهه"، بما في ذلك "زوجة أحد شمامستنا... امرأة ذات جمال رائع"،[74] والتي غادرت المنزل بالفعل للسفر مع مجموعة ماركوس.

ولكن عندما يشرع إيرينيئوس في وصف أساليب ماركوس الفعلية في الإغواء، نستطيع أن نرى أنه يتحدث مجازيًا. ما يهم الأسقف، من بين أمور أخرى، هو الجاذبية الهائلة التي كانت لتعاليم الفالنتينية لدى المؤمنات، اللواتي تم استبعادهن بشكل متزايد خلال القرن الثاني الميلادي من المشاركة الفعالة في كنيسة إيرينيئوس. يقول إيرينيئوس إن ماركوس "يغوي النساء" بدعوتهن للمشاركة في الاحتفال بالقداس الإلهي، وبإلقاء صلوات القربان المقدس بكلمات مغرية مثل الصلوات إلى النعمة، الأم الإلهية، إلى جانب الآب الإلهي. [75] والأسوأ من ذلك، أن ماركوس "يضع يديه" على النساء لاستدعاء الروح القدس لينزل عليهن، ثم يشجعهن على التحدث بالنبوة. [76] وعندما يتهم إيرينيئوس أتباع ماركوس بالزنا، فإنه يستشهد بصورة توراتية تقليدية للمشاركة في ممارسات دينية "غير مشروعة". على سبيل المثال، كان الأنبياء هوشع وإشعياء وإرميا يستخدمون في كثير من الأحيان استعارات الزنا والدعارة لإدانة أولئك الذين اتهموهم بـ "عدم الوفاء" بعهد الله.

تم اكتشاف العديد من الأعمال الفالنتينية في نجع حمادي، بما في ذلك إنجيل الحقيقة وإنجيل فيليب، والتي تقدم تصحيحات للاتهامات التي وجهت للفالنتينيين بأنهم كانوا غير أخلاقيين. في أحد الأجزاء القليلة المتبقية من تعاليمه، يقول فالانتينوس نفسه، معلقًا على قول يسوع "الله وحده صالح"، أنه بعيدًا عن نعمة الله، فإن قلب الإنسان هو "مسكن للعديد من الشياطين". "ولكن عندما ينظر إليه الآب، الذي هو وحده الصالح،

فإنه يطهره وينيره بنوره؛ وبالتالي فإن من لديه مثل هذا القلب يكون مباركًا، لأنه يرى الله." [78] يقدم إنجيل الحقيقة، الذي ربما كتبه فالنتينوس أيضًا، التعليمات الأخلاقية التالية للمسيحيين الغنوصيين:

> تحدث عن الحقيقة مع من يطلبها، والغنوص مع من ارتكب الذنوب في ضلاله. ثبّت أقدام من عثر، ومد يديك للمرضى. أطعم الجائع وأرح المتعب... لأنكم أنتم الفهم المستخرج. إذا كانت القوة تعمل بهذه الطريقة، فإنها تصبح أقوى. .. لا تكن مسكنًا للشيطان، لأنك قد أهلكته بالفعل.[79]

يقدم إنجيل فيليب بديلاً للتصور المسيحي الشائع عن الخير والشر باعتبارهما متضادين كونيين.[80] في هذا الإنجيل، وعلى عكس أناجيل العهد الجديد، لا يظهر الشيطان أبدًا. وبدلاً من ذلك، فإن الآب الإلهي والروح القدس، يعملان في انسجام مع بعضهما البعض، ويوجهان كل ما يحدث، حتى تصرفات القوى الكونية الدنيا، بحيث في النهاية، على حد تعبير بولس، "كل الأشياء تعمل معًا للخير" (رومية 8 :28). يقدم إنجيل فيليب نقدًا أصليًا للطريقة التي يتعامل بها جميع المسيحيين الآخرين، الأرثوذكس والراديكاليين على حد سواء، مع الأخلاق. على الرغم من اختلافهم حول المحتوى، فإن المسيحيين الأرثوذكس والمسيحيين المتطرفين يفترضون أن الأخلاق تتطلب وصف مجموعة واحدة من الأفعال، ومنع أخرى. لكن مؤلف فيليب يريد أن يتخلص من كل قوائم الأشياء الجيدة والسيئة - القوائم التي تشكل أساس الأخلاق المسيحية التقليدية. فكما يقترح هذا المؤلف، فإن ما نحدده على أنه متضادات - "النور والظلام، الحياة والموت، الخير والشر" - هي في الواقع أزواج من المصطلحات المترابطة حيث يشير كل منها إلى الآخر.[81]

بهدف نقل الانضباط الأخلاقي المسيحي إلى مفهوم جديد،

يأخذ مؤلف فيليب قصة شجرة معرفة الخير والشر كمثل يوضح عبثية النهج التقليدي للأخلاق. وفقًا لفيليب، "كان الناموس هو الشجرة"؛ فالناموس، مثل شجرة المعرفة، يدعي أنه يمنح "معرفة الخير والشر"، لكنه لا يستطيع تحقيق أي شيء

للتحول الأخلاقي. بل "خلق الموت لمن أكل منها". لأنه عندما قال: "كل هذا، لا تأكل هذا" أصبح بداية الموت.[82]

ولإظهار أنه لا يمكن التمييز بين الخير والشر بهذه الطرق البسيطة والقاطعة، يروي فيليب مثلًا آخر عن رب بيت مسؤول عن عقار يضم أطفالًا وعبيدًا وكلابًا وخنازير وماشية. إن رب البيت، الذي يطعم كل فرد من أفراده الطعام المناسب لنوعه، هو صورة "تلميذ الله"، الذي "يدرك ظروف نفس [كل شخص]، ويتحدث إلى كل واحد" وفقًا لذلك، مدركًا أن لكل فرد احتياجات مختلفة ويقف على مستوى مختلف من النضج الروحي [83] وبالتالي يرفض فيليب الجدال حول السلوك الجنسي - على سبيل المثال، ما إذا كان ينبغي للمسيحيين أن يتزوجوا أو يظلوا عازبين. وباعتبارها متناقضة، فإن هذه الخيارات أيضًا تقدم ثنائية زائفة. ينصحنا هذا الكاتب قائلاً: "لا تخف من الجسد ولا تحبه". "فإن خشيته سيطر عليك، وإن أحببته يلتهمك ويشل حركتك." [84] ينوي فيليب أن يتبع رؤية بولس بأن الزواج قد يكون "النظام الغذائي" المناسب لشخص ما، والعزوبة لشخص آخر.

في حين يرفض هذا المؤلف الثنائية المعتادة بين الخير والشر،

فإنه لا يهمل المسائل الأخلاقية، ناهيك عن الإشارة إلى أنها ليست مهمة. بالنسبة له فإن السؤال ليس ما إذا كان الفعل "خيرًا" أو "شرًا"، بل كيف يمكن التوفيق بين الحرية التي ينقلها الغنوص ومسؤولية المسيحي في محبة الآخرين. هنا يفكر المؤلف في مقولة من إنجيل يوحنا ("ستعرفون الحق، والحق يحرركم") ومناقشة الرسول بولس عن المحبة والغنوص في رسالة كورنثوس الأولى، الإصحاحين 8 و9. هناك يقول بولس إنه يعتبر نفسه، بسبب غنوصه ، حرًا في أن يأكل ويشرب ما يشاء، وحرًا في السفر مع أخت مسيحية كزوجة، وحرًا في أن يعيش كمبشر على نفقة الجماعة. نعم، يقول بولس، "لأنه ليس كل أحد لديه هذا الغنوص" (1 كورنثوس 8: 7-13)، فهو يتخلى عن حريته طواعية من أجل الحب، حتى لا يسيء إلى المتحولين المحتملين أو المسيحيين غير الناضجين. إن كاتب رسالة فيليب يتبع خطى بولس، إذ يطرح السؤال المركزي: كيف يمكن للمسيحي أن يتجنب الخطيئة؟ كيف يمكن للإنسان أن ينسجم مع الغنوص من جهة، ومع المحبة من جهة أخرى؟

الموضوع الرئيسي لإنجيل فيليب هو القوة التحويلية للحب: ما يصبح عليه الإنسان يعتمد على ما يحبه.[85] من ينضج في الحب لا يثير الهموم ولا يسبب الضيق للآخرين: "طوبى للذي لم يسبب حزنًا لأحد؟ [86] يسوع المسيح هو نموذج من لا يسيء إلى أحد ولا يحزنه، بل ينعش ويبارك كل من يلتقيه، سواء كان "كبيرًا أو صغيرًا، مؤمنًا أو غير مؤمن". [87] لذا، يجب على المسيحي الغنوصي أن يمزج دائمًا بين الحرية التي يمنحها الغنوص وبين الحب للآخرين. ويقول المؤلف أيضًا إنه يتطلع إلى الوقت الذي ستنسجم فيه الحرية والحب تلقائيًا، بحيث يصبح الشخص الناضج روحياً حرًا في اتباع رغباته الحقيقية دون أن يحزن أي شخص آخر. بدلاً من أن تأمر بـ "اسمع هذا، ولا تأكل ذاك"، كما فعلت "شجرة" الناموس السابقة، فإن شجرة الغنوص الحقيقية ستنقل الحرية الكاملة:

> "في المكان الذي آكل فيه كل شيء توجد شجرة المعرفة..." تلك الحديقة هي المكان الذي سيقولون لي فيه: "كل هذا، أو لا تأكل ذاك، كما تريد". *[88]

عندما ينسجم الغنوص مع المحبة، يصبح المسيحي حرًا في المشاركة أو الرفض، وفقًا لرغبة قلبه. وعلى النقيض من ذلك، وصف أغلب المسيحيين التكوين الروحي، كما وصفه الأسينيين، بأنه صراع داخلي بين قوى الخير والشر. كان الزاهد المسيحي العظيم أنطونيوس، الذي عاش في مصر حوالي عام 250-355 ميلادية وأصبح رائدًا بين آباء الصحراء، يعلّم ورثته الروحيين في التقاليد الرهبانية أن يصوروا الشيطان باعتباره العدو الأكثر حميمية على الإطلاق - العدو الذي نسميه أنفسنا. يصف كتاب "حياة أنطونيوس" الذي كتبه أثناسيوس، أسقف الإسكندرية، في القرن الرابع، كيف يغري الشيطان أنطونيوس بالتحدث من خلال أفكاره الداخلية ودوافعه، ومن خلال الخيال والرغبة. ومن ناحية أخرى، يفسر فيليب الميل البشري إلى الخطيئة دون اللجوء إلى الشيطان. لكن هذا لا يعني، كما اشتبه بعض المسيحيين الأرثوذكس، أن المسيحيين الفالنتينيين اعتقدوا بسذاجة أنهم لم يكونوا بحاجة إلى الانخراط في صراع أخلاقي لأنهم "خارج نطاق الخير والشر"، وغير قادرين على الخطيئة في الأساس. (في المقابل،

يعلّم فيليب أن داخل كل شخص يكمن "جذر الشر". هذا هو تفسير فيليب للتعاليم اليهودية التقليدية للـ"يتزر هراي" الذي أطلق عليه الحاخامون اسم "الدافع الشرير." طالما بقينا غير مدركين لـ "جذر "الشر" في داخلنا، كما يقول فيليب، "إنه قوي؛ ولكن عندما يتم التعرف عليه، يتم تدميره". ويواصل،

> وأما نحن، فليبحث كل واحد منا عن جذور الشر في داخله، وليقتلع هذه الجذور من القلب. سيتم اقتلاعها إذا تعرفنا عليها. ولكن إذا لم نتعرف عليه فإنها تتجذر في قلوبنا وتثمر ثمارها في قلوبنا. إنه يسود علينا، ويجعلنا عبيدًا له. فهو يأسرنا، حتى "نفعل ما لا نريد، وما لا نريد أن نفعله نفعله" [راجع رومية 7 :14-15]. إنها تصبح قوية لأننا لم ندركها؟ [89]

من الأساسيات في الغنوصية أن "نعرف" إمكانياتنا الخاصة للشر. وفقًا لفيليب، فإن التعرف على الشر داخل الذات هو بالضرورة عملية فردية: لا يمكن لأحد أن يملي على الآخر ما هو الخير أو الشر؛ بدلاً من ذلك، يجب على كل شخص أن يسعى إلى التعرف على حالته الداخلية، وبالتالي تحديد الأفعال التي تنبع من "جذر الشر"، والذي يتألف من دوافع مثل الغضب والشهوة والحسد والكبرياء والجشع. يفترض هذا المعلم أنه عندما يدرك المرء أن فعلاً معيناً ينبع من مثل هذه المصادر، فإنه يفقد القناعة اللازمة لدعم هذا الفعل. من أجل ارتكاب الشر - سواء كان ذلك الانغماس في خطاب غاضب، أو ارتكاب جريمة قتل، أو إعلان حرب عدوانية - يبدو أن المرء يحتاج إلى الوهم بأن فعله مبرر، وأنه يتصرف لأسباب صحيحة. إن هذا المؤلف لديه قناعة متفائلة بأن "الحقيقة ... أقوى من الجهل بالخطأ". [90] إن معرفة الحقيقة بهذه الطريقة تتضمن أكثر من مجرد عملية فكرية؛ إنها تتضمن تحول كيان الإنسان، وتحول طريقة عيشه: "إذا عرفنا الحقيقة، فسوف نجد ثمارها في داخلنا؛ وإذا انضممنا إليها، فسوف ننال اكتمالنا". [91]

ويقترح فيليب أن العقيدة والمبادئ الأخلاقية للكنيسة المؤسسية أصبحت ثانوية بالنسبة للمسيحي الناضج، إن لم تكن غير ذات صلة. ومع ذلك، وعلى عكس العديد من المسيحيين البروتستانت اللاحقين،

لم يرفض المسيحيون الفالنتينيون الهياكل الكنسية فحسب. وبدلاً من ذلك، زعموا أنهم بنوا عليها باعتبارها أساسًا، تمامًا كما ادعى المسيحيون ككل أنهم بنوا على أسس اليهودية. في الواقع، فإن كاتب رسالة فيليب، مثل كاتب سفر الشهادة، يستخدم في مرحلة ما مصطلحي "عبراني" و"مسيحي" لمقارنة العلاقة بين أولئك الذين تلقوا الوحي الأولي فقط، وأولئك الذين تلقوا الفهم الكامل للإنجيل.

وهكذا ينتقد كاتب رسالة فيليب أولئك الذين يسميهم عبرانيين ويعرّفهم بـ "الرسل والرسولية"، الذين فشلوا في فهم، على سبيل المثال، معنى الميلاد العذراوي. يأخذ الكثيرون هذا الأمر حرفيًا، وكأن "ميلاد يسوع العذراء" يشير إلى الحمل والإنجاب الفعلي. يسخر فيليب من هذا الاعتقاد:

> وقال بعضهم: «حبلت مريم من الروح القدس». إنهم مخطئون. إنهم لا يعلمون ما يقولون، فمتى حملت أنثى من أنثى؟ [92]

وكما يرى فيليب، فإن يسوع، المولود من مريم ويوسف كوالديه البشريين، قد وُلِد من الروح القدس، العنصر الأنثوي للكائن الإلهي (لأن المصطلح العبري للروح، Ruah، مؤنث) ومن "الآب الذي في السموات"، الذي حث يسوع تلاميذه على مخاطبته في الصلاة ("أبانا الذي في السموات...")‏.). ومع ذلك، يضيف المؤلف، فإن مجرد ذكر القوة الروحية الأنثوية "يُعتبر لعنة كبيرة على العبرانيين، الذين هم الرسل والشعب الرسولي". [93]

يرى هؤلاء الناس أن المعمودية هي ولادة جديدة من خلال الروح القدس، لكنهم لا يفهمون أنه يجب أن يولدوا من الآب السماوي أيضًا. هكذا يقول فيليب:

> "حين كنا عبرانيين، لم يكن لنا إلا أمنا، ولكن حين صرنا مسيحيين، كان لنا أب وأم." [94]

تختلف المعمودية، إذن، باختلاف الأشخاص. يقول المؤلف إن البعض "ينزلون في الماء [المعمودية] ويخرجون دون أن ينالوا شيئًا"، [95] ومع ذلك يقول مثل هذا الشخص: "أنا مسيحي". بالنسبة لهؤلاء الأشخاص، وفقًا لفيليب، فإن اسم

"مسيحي" هو مجرد وعد بما قد يتلقونه في المستقبل. أما بالنسبة للآخرين، فإن المعمودية تصبح لحظة تحول: "هكذا هو الحال عندما يختبر الإنسان لغزًا".[96] كل من يولد من الآب السماوي والأم السماوية يصبح إنسانًا كاملاً مرة أخرى، ويستقبل جزءًا من الذات البشرية التي فقدت في بداية الزمان - "الروح، شريكة النفس". ويصبح مثل هذا الشخص كاملاً مرة أخرى، و"مقدسًا، حتى في الجسد".[97] لا يمكن وصف مثل هذا الشخص بالمسيحي، "لأن هذا الشخص لم يعد مسيحيًا، بل أصبح المسيح".[98]

ماذا عن الأسئلة العملية المحددة؟ إن موقف هذا الكاتب يذكرنا بما ورد في إنجيل توما، حيث سأل تلاميذ يسوع عنه توجيهات محددة: "أتريد أن نصوم؟ كيف نصلي؟ هل نتصدق؟ ما النظام الغذائي الذي يجب أن نلتزم به؟" وبحسب ما جاء في إنجيل متى ولوقا، فإن يسوع يقدم إجابات محددة على مثل هذه الأسئلة. ولكن بحسب إنجيل توما، فإنه يقول فقط: "لا تكذب، ولا تفعل ما تكره"،[99] وهي إجابة ساخرة، لأنها تعيد الإنسان إلى موارده الخاصة. من غير الإنسان يستطيع أن يعرف متى يكذب، أو ما يكره؟ إن إنجيل فيليب أيضًا، على الرغم من أنه يعبر على ما يبدو عن تفضيله للزهد (والذي كان من الواضح أنه يهدف إلى عكس تفضيل بولس نفسه للعزوبة على الزواج المعبر عنه في 1 كورنثوس 7: 1-40)، إلا أنه يمتنع عن تقديم تعليمات محددة حول السلوك الجنسي. يبدو أن ما يهم ليس ما يفعله الشخص بقدر ما هو نوعية نيته. ومن ثم فإن إنجيل فيليب يظل غير إلزامي، ولكن مع شرطين مهمين: أولاً، يجب على المسيحي الغنوصي أن يخفف بالحب من الحرية التي ينقلها الغنوص؛ ثانياً، يجب على المؤمن أن يظل على دراية مستمرة بإمكانية ارتكابه الشر، لأن مثل هذا الوعي فقط هو الذي يمكن أن يحرر المسيحي - حتى المسيحي الغنوصي - من العبودية غير الإرادية للخطيئة.

على الرغم من أن إيرينيئوس وآخرين اتهموا المسيحيين الفالنتينيين بالثنائية، إلا أن إنجيل فيليب يشير إلى العكس. يتخلى هذا المؤلف حتى عن الثنائية المعدلة التي تميز الغالبية العظمى من التعاليم المسيحية، والتي تعتمد، كما رأينا، على الاعتقاد بأن روح الله تناضل باستمرار ضد الشيطان. بدلاً من تصور قوة الشر كقوة غريبة تهدد البشر وتغزوهم من الخارج،

يحث مؤلف فيليب كل شخص على إدراك الشر الموجود في الداخل، والقضاء عليه بوعي.

كان الأسقف إيرينيئوس مصمماً على الحد من انتشار الحركة الغنوصية داخل الكنائس، وأدرك أن الإجراءات التي اقترحها ترتليان لن توقف الفالنتينيين. يقول إيرينيئوس إنه ليس كافياً الإصرار على أن يعترف جميع المؤمنين بنفس العقيدة ويقبلوا التعليم الأخلاقي الذي يقدمه الكهنة والأساقفة، لأن "الهراطقة" الماكرين يفعلون هذه الأشياء طواعية، على الأقل في الأماكن العامة. وليس كافياً أن نصر على أن يقبل المسيحيون "سلطة" جميع الكهنة والأساقفة. يضم الفالنتينيون ضمن عددهم العديد من الكهنة الذين هم، إذا جاز التعبير، إلى جانبهم؛ يوضح إيرينيئوس، "هناك من يعتقد الكثيرون أنهم كهنة، ولكنهم ... يتصرفون بازدراء تجاه الأوامر، ... ويرتكبون أعمالاً شريرة في السر"[100] - مثل أولئك الذين بدأوا بالفعل في الغنوص. بل يعلن إيرينيئوس أن المؤمنين يجب أن يقبلوا فقط كهنة معينين - كهنة ليسوا فقط قد تم تنصيبهم بشكل صحيح ولكنهم ينكرون بوضوح التعليم السري ويرفضون المشاركة في اجتماعات خاصة غير مرخص بها من قبل الأسقف. ولذلك يخلص إيرينيئوس إلى أنه "من الضروري إطاعة الكهنة الذين في الكنيسة - أولئك الذين، إلى جانب الخلافة الرسولية، نالوا عطية الحقيقة الأكيدة". في نفس الوقت،

> "ومن الضروري أيضًا أن نشك في الكهنة الآخرين الذين ينحرفون عن الخلافة الأصلية، والذين يجتمعون في أي مكان كان، ونعتبرهم هراطقة أو منشقين أو منافقين... الذين يمزقون ويقسمون وحدة الكنيسة."[101]

ويحذر إيرينيئوس من أن هؤلاء سوف يتلقون عقابًا إلهيًا: نار من السماء ستلتهمهم.

وأخيرًا، يندد إيرينيئوس بعقيدة الفالنتينية باعتبارها النتيجة الشريرة لإلهام الشيطان نفسه. يختتم إيرينيئوس كتابه "ضد الهرطقات" المكون من خمسة مجلدات بالحديث، نيابة عن الله، عن كلمات الدينونة الإلهية:

> لذلك، فليُعاقب أولئك الذين يجدفون على الخالق، إما من خلال معارضتهم الصريحة... أو من خلال تحريفهم.

> المعنى [للكتاب المقدس]، مثل الفالنتينيين وجميع من يسمون زوراً بالغنوصيين، يجب أن يتم الاعتراف بهم كعملاء للشيطان من قبل جميع الذين يعبدون الله. ومن خلال عملهم، أصبح من الواضح أن الشيطان يتكلم ضد الله حتى الآن، وليس قبل ذلك... نفس الإله الذي أعد النار الأبدية لكل أنواع الارتداد.[102]

وكما أضل الشيطان البشر في بداية الزمان بواسطة الحية، «هكذا الآن»، كما يقول إيرينيئوس، «يُضل هؤلاء الناس، المملوءون بروح شيطانية، شعب الله». ضد "كل الهراطقة"، ساعد إيرينيئوس في بناء البنية التي دعمت المسيحية الأرثوذكسية للكنائس المسيحية منذ ذلك الحين، من خلال المطالبة بالوصول الوحيد إلى "عقيدة الرسل، ونظام الكنيسة في جميع أنحاء العالم، والمظهر المتميز لجسد المسيح {أي الكنيسة} وفقًا لخلافة الأساقفة"، إلى جانب "نظام عقائدي كامل للغاية". [103]

إن هذه الرؤية للصراع الكوني، وقوى الخير في مواجهة قوى الشر، مستمدة في الأصل من المصادر اليهودية الرؤيوية، وقد تم تطويرها، كما رأينا، من قبل جماعات طائفية مثل الإسينيين أثناء صراعهم ضد القوى التي رأوها مصطفة ضدهم. إن هذا الانقسام الكوني، الذي قام بمراجعة جذرية للتوحيد السابق، كان ينطوي في الوقت نفسه على مجتمع منقسم، منقسم بين "أبناء النور"، المتحالفين مع الملائكة، و"أبناء الظلام"،[11] المتحالفين مع قوة الشر. وقد اتبع أتباع يسوع نفس النمط. مرقس، كما رأينا، يروي قصة يسوع كصراع بين روح الله وقوة الشيطان، والذي تجلى في المعارضة التي واجهها يسوع من الأرواح الشريرة والأشخاص الأشرار على حد سواء. يستحضر كل إنجيل على طريقته الخاصة هذا السيناريو الرؤيوي لوصف الصراعات بين أتباع يسوع والمجموعات المختلفة التي اعتبرها كل مؤلف معارضة. لقد رأينا أيضًا أنه مع تزايد توجه الحركة نحو الأمم، استخدم المتحولون هذه المفردات الطائفية ضد أعداء آخرين ـ ضد قضاة الوثنيين والغوغاء المنخرطين في صراع مرير مع الحركة المسيحية المتنامية، وضد مجموعات مختلفة من المسيحيين المنشقين، الذين يُطلق عليهم اسم الزنادقة ـ أو كما قال بولس، "عبيد الشيطان".

استخدم المسيحيون في الأجيال اللاحقة أسلحة صنعوها في صراع القرن الأول ضد أعداء آخرين. ولكن هذا لا يعني أنهم ببساطة استبدلوا عدوًا بآخر. وبدلاً من ذلك، كان التقليد المسيحي يميل إلى تجميعها. على سبيل المثال، عندما استخدم الوثنيون

المتحولون مثل جوستين الشهيد مفردات تتعلق بالشيطان والشياطين ضد المضطهدين الرومان وضد الهراطقة، فإنهم غالبًا ما اعتبروا الصفات العدائية للأغلبية اليهودية التي وجدوها في الأناجيل أمرًا مسلمًا به. يشيد جوستين نفسه بمن يسميهم العبرانيين - أي الإسرائيليين القدماء، الأسلاف الموقرين لإيمانه - لكنه يعبر عن الاستخفاف بأولئك من معاصريه الذين لا يسميهم العبرانيين بل اليهود بسبب "عماهم" عن وحي الله و"سوء فهمهم" لكتبهم المقدسة. يهاجم جوستين اليهود بلغة مستمدة إلى حد كبير من جدل متى ضد الفريسيين، وغالبًا ما يكرر لجمهوره من غير اليهود عبارة لوقا في سفر أعمال الرسل بأن يسوع "صلبه اليهود". أوريجانوس أيضًا، على الرغم من انشغاله في المقام الأول بالنضال ضد الاضطهاد الروماني وضد "الهراطقة" - وعلى الرغم من محادثاته المكثفة مع المعلمين اليهود، الذين نسب إليهم تعليمه الكثير عن اللغة العبرية وتفسير الكتاب المقدس - إلا أنه طور الآراء الواردة في إنجيل متى لوصف الشعب اليهودي باعتباره محكومًا عليه من الله لرفضه مسيحه.

إن المواقف التي يعبر عنها جوستين وأوريجانوس ليست فريدة من نوعها بالنسبة

لهما. يمكن التعرف عليها بسهولة من قبل معظم المسيحيين من القرن الثاني وحتى القرن العشرين لأنها تستند إلى مصدر مألوف، وهو أناجيل العهد الجديد. لقد استخدم المسيحيون، على مر القرون، نفس المفردات الجدلية ضد مجموعة أوسع من الأعداء. على سبيل المثال، في القرن السادس عشر، ندد مارتن لوثر، مؤسس المسيحية البروتستانتية، بجميع المسيحيين الذين ظلوا موالين للكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وجميع اليهود الذين رفضوا الاعتراف بيسوع كمسيح، وجميع الذين تحدوا هيمنة الأرستقراطيين من ملاك الأراضي من خلال المشاركة في حرب الفلاحين، وجميع المسيحيين "البروتستانت" الذين لم يكونوا لوثريين، ووصفهم بأنهم "عملاء للشيطان".

أنا لا أقول أن روايات الأناجيل هي في الأساس مانوية بالمعنى العادي للكلمة، وأنها تتصور الخير والشر متكافئين ضد بعضهما البعض. يستمد التقليد المسيحي الكثير من قوته من الاعتقاد بأنه على الرغم من أن المؤمن قد يشعر بأنه محاصر من قبل قوى الشر، إلا أن المسيح قد فاز بالفعل بالنصر الحاسم. أنطونيوس، أحد رواد الزهاد

في الصحراء، وهو رجل مشهور بمصارعة الشياطين، يشرح لأتباعه:

> منذ أن سكن الرب بيننا، سقط العدو، وضعفت قوته. إنه لا يستسلم بهدوء لسقوطه ... بل يستمر في التهديد مثل الطاغية.[1]

يصف أنطونيوس كيف ظهر له ذات مرة شخصية عظيمة وشامخة، ويقول إنه سأل الدخيل: "من أنت؟" وقيل له: أنا الشيطان. وبخ أنطونيوس العدو بجرأة، مذكراً إياه بأن

> "المسيح قد جاء وجعلك عاجزًا". لقد طرحك أرضًا وجردك. وعندما سمع اسم المخلص اختفى لأنه لم يستطع تحمل حرارة اسمه... فإذا كان الشيطان نفسه يعترف بأنه عاجز، فينبغي لنا أن نحتقره هو وشياطينه...
>
> العدو بكلابه لا يملك إلا القليل من الحيل... لا ينبغي لنا أن نشعر بالإحباط، ولا أن نستسلم لجبن الروح، ولا أن نخترع الرعب لأنفسنا... ينبغي علينا أن نتحلى بالشجاعة، وأن نكون دائمًا فرحين كأشخاص تم إنقاذهم. فلنتذكر أن الرب الذي هزمه وقهره هو معنا.[2]

إن الإيمان بأن المسيح انتصر على الشيطان يؤكد للمسيحيين أن المخاطر في صراعاتهم أبدية، والنصر مؤكد. من يشارك في هذه الدراما الكونية لا يمكن أن يخسر. إن الذين يموتون شهداء ينتصرون بشكل أكثر مجدًا، وهم على يقين من أنهم سيحتفلون بالنصر مع كل شعب الله وملائكة السماء. لقد ألهمت هذه الرؤية، على مدار تاريخ المسيحية، عددًا لا يحصى من الناس لاتخاذ موقف ضد الصعاب التي لا يمكن التغلب عليها من أجل ما يعتقدون أنه صحيح والقيام بأفعال قد تبدو، بعيدًا عن الإيمان، مجرد تبجح تافه. لقد علمت هذه الرؤية المروعة حتى الناس ذوي العقلية العلمانية أن يفسروا تاريخ الثقافة الغربية باعتباره تاريخًا أخلاقيًا تتصارع فيه قوى الخير ضد قوى الشر في العالم.

لقد استنكر المسيحيون ذوو الميول الفلسفية، مثل القديس أغسطينوس، هذه اللغة الأسطورية في كثير من الأحيان، وأعلنوا أنه من الناحية الوجودية، لا وجود للشر والشيطان. وعلى هذا المستوى، لا تختلف المسيحية الأرثوذكسية عن التوحيد. ومع ذلك، فإن أغسطينوس نفسه، مثل العديد من الوعاظ ذوي الفلسفة المتطورة، غالبًا ما يتحدث عن الشيطان في عظاته وصلواته، ويعترف، عندما يتعامل مع الناس الذين يواجهون عقبات، بأن المسيحيين في هذا العالم ما زالوا يكافحون ضد الشر بطرق يختبرونها على أنها هجوم شيطاني.

إن هذه الرؤية للحرب الكونية مقنعة إلى حد أنها سيطرت على خيال الملايين من الناس لمدة ألفي عام. لقد استشهد المسيحيون منذ العصر الروماني إلى الحروب الصليبية، ومن الإصلاح البروتستانتي إلى الوقت الحاضر، بهذا المصطلح لتفسير المعارضة والاضطهاد في سياقات لا حصر لها. حتى يومنا هذا، يستحضر العديد من المسيحيين - الروم الكاثوليك والبروتستانت والإنجيليين والأرثوذكس - شخصية الشيطان ضد "الوثنيين"[1] (ومن بينهم قد يكون من بينهم أولئك المتورطون في الديانات غير المسيحية في جميع أنحاء العالم) وضد "الزنادقة" (أي ضد المسيحيين الآخرين الذين يختلفون معهم)، وكذلك ضد الملحدين وغير المؤمنين. ويستحضر ملايين المسلمين رؤى مماثلة عن نهاية العالم، ويغيرون مواقفهم، حتى أن أولئك الذين يعتقد المسيحيون أنهم شعب الله أصبحوا، بالنسبة للعديد من المسلمين، حلفاء "للشيطان الأكبر".

إن العديد من المتدينين الذين لم يعودوا يؤمنون بالشيطان، إلى جانب عدد لا يحصى من الآخرين الذين لا ينتمون إلى أي تقليد ديني، يتأثرون مع ذلك بهذا الإرث الثقافي عندما يدركون الصراع الاجتماعي والسياسي من حيث قوى الخير التي تتنافس مع قوى الشر في العالم. على الرغم من أن النسخة المتطرفة والمادية الحازمة التي طرحها كارل ماركس لهذه الرؤية الرؤيوية أصبحت الآن ميتة تقريبًا، إلا أن النسخة العلمانية منها تشكل أساس العديد من الحركات الاجتماعية والسياسية في الثقافة الغربية، سواء الدينية أو المناهضة للدين.

طالما ظلت الحركة المسيحية أقلية مضطهدة ومشتبه بها داخل المجتمعات اليهودية وداخل الإمبراطورية الرومانية، فإن أعضائها، مثل الأسينيين، لا شك أنهم وجدوا شعورًا بالأمن والتضامن في الاعتقاد بأن أعداءهم كانوا (كما يقول يسوع في إنجيل متى عن الفريسيين) "أبناء الجحيم".

في الواقع، "محكوم عليه بالجحيم". تستمد هذه الرؤية قوتها ليس فقط من الاعتقاد بأن الإنسان يقف إلى جانب الله، بل أيضًا من الاعتقاد بأن خصومه محكوم عليهم بالفشل. إن الكلمات التي وضعها متى على لسان يسوع تصف خصومه كأشخاص ملعونين، أرسلهم القاضي الإلهي بالفعل "إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته".

ومع ذلك، فإننا نجد بين المصادر المسيحية في القرن الأول أيضًا تصورات مختلفة تمامًا للمعارضين. على الرغم من أن يسوع في إنجيل متى يهاجم الفريسيين ويدينهم بشدة، ويصف يوحنا في إحدى المرات معارضي يسوع بأنهم من نسل الشيطان، فإن المصدر (Q) الذي يستخدمه متى يشير أيضًا إلى طرق مختلفة لإدراك الآخرين، في الأقوال المنسوبة إلى يسوع التي تحث على المصالحة مع المعارضين:

> "وإن كنت تقدم قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعال وقدم قربانك" (5: 23-24).

أو متى 5: 43-44:

> سمعتم أنه قيل: «أحب قريبك وأبغض عدوك». ولكن أقول لكم: أحبوا أعداءكم، وصلوا لأجل الذين يضطهدونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات.[11]

إن الصلاة من أجل أعدائك تشير إلى أنك تعتقد أنه مهما كان الأذى الذي سببوه لك، فإنهم قادرون على المصالحة مع الله ومع نفسك. إن بولس، الذي كتب قبل الإنجيليين بنحو عشرين عامًا، يتبنى تصورًا يهوديًا تقليديًا أكثر، وهو أن الشيطان يعمل كوكيل لله ليس لإفساد الناس بل لاختبارهم؛ وفي إحدى النقاط يقترح أن تقوم جماعة مسيحية "بتسليم أحد أعضائها الضالين إلى الشيطان"، ليس من أجل إرساله إلى الجحيم، ولكن على أمل أن يتوب ويتغير (1 كورنثوس 5:5) ويأمل بولس أيضًا ويتوق إلى المصالحة بين "إخوته" و"إخوته الإسرائيليين" والمؤمنين من الأمم (رومية 9 :3-8).

لقد اعتقد العديد من المسيحيين، منذ القرن الأول، مروراً بالقديس فرنسيس الأسيزي في القرن الثالث عشر ومارتن لوثر كينغ الابن في القرن العشرين، أنهم يقفون إلى جانب الله دون شيطنة خصومهم. لقد ألهمتهم رؤيتهم الدينية لمعارضة السياسات والقوى التي اعتبروها شريرة، وغالبًا ما كانوا يخاطرون برفاهيتهم وحياتهم، بينما كانوا يصلون من أجل المصالحة - وليس الإدانة - لأولئك الذين عارضوهم.

لكن في أغلب الأحيان، كان المسيحيون يعلّمون - ويتصرفون بناءً على - الاعتقاد بأن أعداءهم أشرار ولا يمكن إصلاحهم. وفي ختام هذا الكتاب، آمل أن يُلقي هذا البحث الضوء على الصراع داخل التقاليد المسيحية بين النظرة الإنسانية العميقة القائلة بأن "الاختلاف" شر وكلمات يسوع بأن المصالحة إلهية.

ملحوظات

مقدمة

1. Martin Buber, cited in discussion with Malcolm Diamond, professor of religion at Princeton University., May 1994.
2. نيل فورسيث، العدو القديم: الشيطان وأسطورة القتال (برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1987).
3. والتر وينك، كشف القوى: القوى الخفية التي تُحدد الوجود البشري (فيلادلفيا: فورتريس برس، 1986)؛ كارل يونغ،
/ب/نبتر إلى أيوب، مترجم. ر. ف. س. هال (لندن: روتليدج وكيجان بول، 19541).
4. جيفري ب. راسل، الشيطان: تصورات الشر من العصور القديمة إلى المسيحية البدائية (إيثاكا، نيويورك: مطبعة جامعة كورنيل، 1970).
5. روبرت ريدفيلد، "النظرة البدائية للعالم"، في ريدفيلد، المحرر، العالم البدائي وتحولاته (إيثاكا: مطبعة جامعة كورنيل، 1953)، 92.
6. جوناثان ز. سميث، "ما الفرق الذي يحدثه الفرق"، في كتاب جاكوب نوسنر وإرنست س. فريريشز، المحرران، رؤية أنفسنا كما يرانا الآخرون: المسيحيون واليهود. "الآخرون" في أواخر العصور القديمة (تشيكو، كاليفورنيا: سكولارز برس، *1985)*، *3-48*.
7. ويليام سكوت جرين، "الآخرية الداخلية: نحو نظرية الاختلاف في اليهودية الحاخامية"، في نوسنر وفريركس، المحرران، لنرى أنفسنا/ يرانا الآخرون، 46-69.
8. حتى أن هناك فقرة معروفة في التلمود تفترض أن المحاكم اليهودية أدانت يسوع وأعدمته. انظر ب. صحن. 107ب وحكماء المرور المتوازي، ب. تويست 47أ، ج. هاج. 2.2.، الجزء من الجمارا على سانه.

10.2. للمناقشة، انظر إي. باميل، "الأصول المسيحية في التقليد"، دراسات العهد الجديد 13 (1967): 317-35؛ انظر أيضًا ديفيد ر. كاتشبول، محاكمة يسوع: دراسة في الأناجيل والتاريخ اليهودي من عام 1770 إلى يومنا هذا (ليدن: إي. جيه. بريل، 1971)، لمناقشة شيقة ومفصلة لتاريخ الدراسات حول هذا المقطع.

9. برنابا ليندرز، اعتذاريات العهد الجديد: الأهمية العقائدية لاقتباسات العهد القديم (لندن: مطبعة إس سي إم، 1973).

10 جيمس روبنسون، مشكلة التاريخ بقلم مارك (لندن: دار نشر إس سي إم، 1957؛ أعيد طبعه في فيلادلفيا: دار نشر فورتريس، 1982).

11 .ألبرت شفايتزر، البحث عن يسوع التاريخي: دراسة نقدية لتطوره من رايماروس إلى وريد (لندن: أ. و سي. بلاك، 1926).

12. جوزيف جاكوبس، يسوع كما رآه الآخرون (نيويورك: بي جي ريتشاردز، 1925)؛
هـ. دانبي، "تأثير القانون الحاخامي على روايات المحاكمات اليهودية في الأناجيل"، مجلة الدراسات اللاهوتية 21 (1920): 26-51؛ سي. جي. مونتيفيوري، الأناجيل الإزائية الأولى، الطبعة الثانية المنقحة. (لندن: ماكميلان، 1927)؛ ريتشارد دبليو هازباند، محاكمة يسوع: تاريخها، وشرعيتها (برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1916)؛ جوزيف بلينزلر، محاكمة يسوع: الإجراءات اليهودية والرومانية ضد يسوع المسيح، مترجم. إ. و ف. ماك هيو، الطبعة الثانية المنقحة (ويستمنستر، ماريلاند: نيومان، 1959).

13. سيمون بيرنفيلد، "حول أقدم تاريخ للمسيحية"،
حوليات التاريخ والأدب اليهودي 13 (1910): 117.

14. هانز ليتزمان، ملخص الأناجيل الثلاثة الأولى، مترجم. ف. ل. كروس، الطبعة التاسعة المنقحة (أكسفورد: باسل بلاكويل، 1968)؛ مارتن ديبيليوس، تاريخ الإنجيل (تيبينجن: موهر، 1919)، ترجمة وإعادة طبع في عام 1971؛ ديبيليوس، من التقليد إلى الإنجيل (نيويورك: سكريبنر، 1965)، 178-219؛ جون ر. دوناهو، هل تون هو المسيح؟ (ميسولا، مونتانا: جمعية الأدب الكتابي، 1973).

15. بول وينتر، حول محاكمة يسوع، القرص المضغوط الثاني. (برلين: دي جرويتر، 1974)؛ انظر أيضًا: م. رادين، محاكمة يسوع الناصري (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، 1931)؛ ج. كلاوسنر، يسوع الناصري، عصره، حياته وتعاليمه، الطبعة الثانية. (برلين: دار النشر اليهودية، 1934)؛
إي. جي. هيرش، الصلب من وجهة النظر اليهودية (شيكاغو: دار بلوخ للنشر والطباعة، 1921).

16. فيرجوس ميلار، "تأملات حول محاكمة يسوع"، في كتاب ب. ر. ديفيز و
ر. وايت، المحررون، تحية إلى جيزا فيرميس: مقالات عن الأدب والتاريخ اليهودي والمسيحي (شيفيلد: مطبعة JSOT، 1990)، 355-81.

17. محاكمة يسوع؛ الإجراءات اليهودية والرومانية ضد يسوع المسيح موصوفة ومقيمة من أقدم الروايات (وستمنستر، ماريلاند: نيومان، 1959، ص 290). انظر، على سبيل المثال، أ. ن. شيروين-وايت، المجتمع الروماني والقانون الروماني في العهد الجديد (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1983)؛ ت. أ. بوركيل، "إدانة يسوع: نقد لأطروحة شيروين وايت"، نوفوم تيستامنتوم 12 (1970): 321-42؛ ر. إي. براون، موت المسيح: من جثث الموتى إلى القبر (نيويورك: دوبلداي، 1994).

18. انظر وينتر؛ ليتزمان؛ ديبيليوس؛ ج. فولكمار، الأناجيل (لايبزيغ: دار نشر فويس، 1870)، 588-91؛ ج. نوردن، "يسوع الناصري في دينونة اليهود آنذاك والآن"، المجلة الأدبية اليهودية (18 يونيو 1930): 25؛ س. غرايزل، تاريخ اليهود (فيلادلفيا: جمعية النشر اليهودية الأمريكية، 1947)، 1337؛ ج. إسحاق، يسوع في إسرائيل (باريس: أ. ميشيل، 1948)، 509؛ ج. بورنكام، يسوع الناصري (شتوتغارت: كولهامر، 1956)، 1504؛ إي. بي. ساندرز، يسوع و

(فيلادلفيا: فورتريس برس، 1985)، تنص على أن "يسوع أعدم من قبل الرومان باعتباره ملكًا محتملًا لليهود" (ص 294) وأن الصراع الداخلي بين اليهود كان "السبب الرئيسي لموت يسوع" (ص 296؛ قارن الصفحات 294-318). انظر أيضًا المقالة المهمة التي تستعرض الدراسات الحديثة التي أجراها ج. س. سلويان، "الأدبيات الحديثة حول روايات المحاكمة للأناجيل الأربعة"، في كتاب تي. جيه، ريان، ر.، التاريخ النقدي والإيمان الكتابي: وجهات نظر العهد الجديد (فيلانوفا: مطبعة جامعة فيلانوفا، 1979)، 136-176.

الفصل الأول

لمناقشة أكثر تقنية للمادة في هذا الفصل، انظر "التاريخ الاجتماعي للشيطان، الجزء الثاني: الشيطان في أناجيل العهد الجديد"، مجلة الأكاديمية الأمريكية للأديان 5 2 / 1 (فبراير 1994): 201-41.

1. يوسيفوس، الحرب اليهودية 1.1، طبعة لوب، المجلد 2، مترجم. هـ. سانت. ج. ثاكري (لندن: هاينمان، 1926). للحصول على مناقشة حديثة ممتازة لأعمال يوسيفوس، راجع شاي جي دي كوهين ، جوزيفوس في الجليل وروما: بطرس وتطوره كمؤرخ (ليدن: إي. جي. بريل، 1979).
2. يوسيفوس، حياة يوسيفوس 4، طبعة لوب، المجلد 1، مترجم. هـ. سانت. ج. ثاكري (لندن: هاينمان، 1926).
3. جوزيفوس، حرب 4.128.
4. المرجع نفسه. * *4.146*.
5. المرجع نفسه، ص 5.5.
6. المرجع نفسه، ص 5.430.
7. (المرجع نفسه) 5.19.
8. لمناقشة جرأة مرقس، انظر دينيس إي. نينهام، إنجيل مرقس (بالتيمور: بنغوين، 1963)؛ فينسنت تايلور، إنجيل القديس مرقس، الطبعة الثانية. (لندن: ماكميلان، 1966).
9. للمناقشة، انظر هـ. باجلز، الأناجيل الغنوصية (نيويورك: 1979 ،Random House)؛ للحصول على نسخة موجزة وترجمة للنصوص، انظر جيمس م. روبنسون ، محرر، مكتبة نجع حمادي باللغة الإنجليزية (نيويورك: 1977 ،Harper)؛ للنصوص القبطية والترجمة والملاحظات العلمية، انظر سلسلة من أكثر من عشرين مجلدًا نُشرت في ليدن بواسطة إي. جيه. بريل تحت عنوان دراسات نجع حمادي .
10. تاسيتوس، حوليات 15.44، طبعة لوب، ترجمة. ج. جاكسون (كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة جامعة هارفارد، 1931).
11. مقتبس من المناقشة الممتازة التي أجراها برنت د. شو، "قطاع الطرق في الإمبراطورية الرومانية"، الماضي والحاضر 165 (نوفمبر 1984): 3-52. انظر أيضاً

G. هامبرت، "Latrocimum،" في C. Davemberg وE. Saglio، eds.، Dict. ttonnaire des antiqmtes greques et romames iii، 2 (1904): 991 -92؛

ر. ماكمولين، "اللصوصية"، الملحق ب في كتاب أعداء النظام الروماني: الخيانة والاضطرابات والاغتراب في الإمبراطورية (كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة جامعة هارفارد، 1967)، 255-268. يشير إي. جيه. هوبسباوم، في كتابه "بان ديتس" (لندن: بنغوين، 1969)، إلى "اللصوصية الاجتماعية"؛ وينتقد أنطون بلوك وجهة نظره في مقاله "الفلاح واللص: إعادة النظر في اللصوصية الاجتماعية"، دراسات مقارنة في المجتمع والتاريخ، المجلد 14 (1972): 494-504. انظر ريتشارد أ. هورسلي، قطاع الطرق والأنبياء والمسيح: الحركات الشعبية في زمن يسوع (مينابوليس: وينستون برس، 1985).

12. لمناقشة مصطلح "lestes" في يوسيفوس، انظر ريتشارد أ. هورسلي، "يوسيفوس وقطاع الطرق"، مجلة دراسة اليهودية 10 (1979): 37-63.
13. أحدثها كتاب رايموند إي. براون، موت المسيح (نيويورك: دوبلداي، 1994).
14. وقد جادل تشارلز مايرز بشكل قاطع في تاريخ مبكر (68 م) في كتابه "تقييد الرجل القوي" (ماريكنول، نيويورك: أوربيس بوكس، 1981)، ص 40-42.
15. لا يزال تأريخ الأناجيل موضوعًا مثيرًا للجدل بين علماء العهد الجديد. أريد أن أتبع الإجماع، وليس أن أقدم أي حجج أصلية حول التأريخ.
16. لمناقشة ممتازة حديثة لأقوال يسوع في كتابات بولس، انظر
هـ. كوستر، الأناجيل المسيحية القديمة: تاريخها وتطورها
(لندن: مطبعة إس سي إم، وفيلادلفيا: مطبعة ترينيتي، 1990)، 52-55.
17. يوسيفوس، الآثار اليهودية 18.63 و20.200، طبعة لوب، المجلد 9، مترجم.
ل. هـ. فيلدمان (كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة جامعة هارفارد، 1965).
18. انظر أدناه، ص 30-33.
19. فيلو، السفارة إلى غايوس، 301-2، طبعة لوب، المجلد 10، مترجم. ف. هـ. كول سون (لندن: هاينمان، 1962).
20. جيمس م. روبنسون، مشكلة التاريخ في إنجيل مرقس (لندن: دار نشر إس سي إم، 1957).
21. المرجع نفسه، ص 80: «دعوة يسوع... تتلخص في إعلان الوضع الجديد (1: 15) وفي مواصلة النضال ضد الشيطان بقوة الروح».
22. ماري سمولوود، اليهود تحت الحكم الروماني من بومبي إلى دقلديانوس
(ليدن: إي جي بريل، 1981)، 164.
23. 1 مكابيين 2.
24. روبنسون، مشكلة التاريخ في مرقس، 63.
25. انظر، على سبيل المثال، ج. فيرمس، مخطوطات البحر الميت: قمران في المنظور (لندن: كولينز، 1977)، والآراء التنقيحية الحديثة لـ ل. هـ. شيفمان، المجتمع الأخروي لمخطوطات البحر الميت (أتلانتا: سكولارز برس، 1989).
26. يشير صياغة النص اليوناني لمرقس إلى أن عائلة يسوع (hoiperi autov) هي التي ذهبت للقبض عليه (3: 21) وكانت عائلته هي التي تقول إنه مجنون (3: 22). ومع ذلك، فإن العديد من المترجمين، الذين وجدوا القراءة الواضحة غير مقبولة، قاموا بصياغة ترجماتهم بطرق تتجنب نسب مثل هذه الأفعال والمعتقدات إلى عائلته. على سبيل المثال، تضيف النسخة القياسية المنقحة عدة كلمات تشير إلى أن عائلته كانت تنوي حمايته من الشكوك العدائية من الغرباء: "ولما سمع أهله ذلك، خرجوا ليمنعوه، لأن الناس كانوا يقولون: لقد فقد عقله". ”
27. إي. بيست، "دور التلاميذ في مرقس"، دراسات العهد الجديد 23 (1977): 377-401؛ تي. جيه. ويدن، مرقس: التقاليد والصراع (فيلادلفيا: فورتريس برس، 1971)؛ إليزابيث ستروثرز مالبون، "التلاميذ/الحشود/من: مرقس عن الشخصيات والقراء"، نوفوم تيستامنتوم 28، 2 (1986): 104-30.
28. انظر جورج بنترام، آلام المسيح وعبادة المسيح، FRLANT N.F. 22 (جوتنجن: فاندنهوك وروبريشت، 1922)، 55-71.

29. دينيس نينشام، في إنجيل مرقس 14: 53-72، في إنجيل القديس مرقس (بالتي مور: بنغوين، 1967)، 398: "إن الإجراءات التي كانت سبب موت يسوع... تُظهَر على أنها من عمل اليهود. "لقد لعب الرومان، متمثلين في شخص بيلاطس، دورهم أيضًا (15: 25 وما بعد التثنية)، ولكن الهدف من هذا القسم هو إظهار أن المبادرة الأساسية والمسؤولية الحقيقية تقع على عاتق اليهود، الذين رفضوا المسيح رسميًا ودمروه، من خلال ممثليهم الرسميين، وهم على وعي كامل بما كانوا يفعلونه." يناقش نينهام أسباب الشك في تاريخية رواية محاكمة مرقس في 400-412؛ انظر أيضًا رودولف بولتمان، تاريخ التقليد الإزائي، مترجم. جون مارش، المحرر المُقَرَّر (نيويورك: هاربر ورو، 1968)، 262-87؛ إيتا لينمان، دراسات في قصة الآلام، FRLANT 102 (غوتنغن: فاندنهوك وروبريشت، 1970)؛ جون ر. دوناهو، جمعية يسوع، هل أنت المسيح؟ قصة المحاكمة في إنجيل مرقس *(ميسولا، مونتانا: مطبعة إس بي إل، 1973).* ويتبنى ديفيد كاتشبول وجهة نظر معاكسة في كتابه محاكمة يسوع: دراسة في الأناجيل والتاريخ اليهودي من عام 1770 إلى يومنا هذا (ليدن: إي. جيه. بريل، 1971). يخلص كاتشبول إلى أن رواية لوقا لمحاكمة السنهدرين "تلعب دورًا حيويًا في إعادة بناء محاكمة يسوع تاريخيًا" (ص 278). انظر أيضًا رايموند إي. براون، موت المسيح، المجلد الأول، من جثسيماني إلى القبر (نيويورك: دوبلداي، 1994)، ص 516-560.

30. نحن لا نعرف على وجه التحديد ما هي الممارسات التي اتبعها السنهدرين خلال القرن الأول، حيث أن الأدلة الموجودة تأتي من وقت لاحق؛ انظر مقال ديفيد جودبلات "السنهدرين" في موسوعة الدين. وأنا ممتن أيضًا للأستاذ لويس فيلدمان على تعليقاته على هذا في رسالة (مايو 1994)، وعلى إظهاره لي نسخة من مقال غير منشور بعنوان "تعليقات على الموت الجسدي ليسوع".

31. انظر التحليل في كتاب ديفيد كاتشبول، محاكمة يسوع، وريموند إي. براون، موت المسيح، المجلد 1، ص 1516-1560.

32. فيرجوس ميلار، "تأملات حول محاكمة يسوع"، في ب. ر. ديفيز و ر. ت. وايت، محرران، تحية إلى جيزا فيرميس: مقالات عن الأدب والتاريخ اليهودي والمسيحي، ملحق مجلة الدراسات اليهودية والمسيحية. تسلسل 100 (شيفيلد: أكاديميا، 1990)، 355-81.

33. See bibliography in note 29. ومن الأمثلة النموذجية على ذلك تعليق نينهام بأن المحاكمة أمام بيلاطس "ليست بأي حال من الأحوال تقريرًا لشاهد عيان؛ بل إنها ليست تقريرًا على الإطلاق، بل هي سلسلة من التقاليد، كل منها يطرح نقطة دفاعية عن المحاكمة" (إنجيل القديس مرقس، 411).

34. بول وينتر، حول محاكمة يسوع، الطبعة الثانية. (برلين ونيويورك: والتر دي جرويتكر، 1974)، 33-34.

35. بينترام، آلام يسوع، في كل مكان؛ جون ر. دوناهو، هل أنت المسيح؟ (ميسولا، مونتانا: جمعية الأدب الكتابي، 1973)، 139-236.

36. براون، موت المسيح، 696.

37. فيلو، السفارة إلى غايوس، 301-2.

38. سمولوود، اليهود تحت الحكم الروماني، 161-62.

39. إي. ستوفر، "Zur Miinzpragung des Pontius Pilate،" The New Clio 1-2 (1949-50)، 495-514.

40. براون، موت المسيح، 700.

41. انظر سمولوود، اليهود تحت الحكم الروماني، 162، للمناقشة والمرجع crcnces.
42. يوسيفوس، الحرب *2.176-77*.
43. بي سي ماكجيني، "حكم بيلاطس البنطي: المسيح والمصادر"، وقائع الجمعية التوراتية الأيرلندية 10(1986): 64.
44. يوسيفوس، الآثار 2.169-74.
45. براون، موت المسيا. 703
46. يوسيفوس، الآثار 18.85-87.
47. الشتاء ، محاكمة يسوع، 88.
48. انظر هوارد سي كي، أنا شعب الله ؟ قادم من مطبعة جامعة ييل، نيو هافن.

الفصل الثاني

1. للحصول على معالجة علمية أكثر تفصيلاً للمادة في هذا الفصل، انظر إي. باجلز، "التاريخ الاجتماعي للشيطان، "العدو الحميم": لمحة أولية"، مجلة هارفارد اللاهوتية 84:2 (1991): 105-28.
2. انظر م. هنجل، اليهودية والهيلينية (لندن، 1974)، 209، الذي يزعم أن الكتابات المروعة هي من عمل أقلية متدينة عزلت نفسها عن الطائفة الرسمية. انظر أيضًا م. باركر، "بعض التأملات حول أسطورة أخنوخ"، مجلة دراسة العهد القديم، المجلد 15 (1980): 7-29؛ تفسر مقالتها سفر أخنوخ الأول على أنه عمل مجموعة تحتج على ممارسات عبادة القدس، وتقترح وجود رابط بين أعمال مثل أخنوخ والتطور اللاحق للتقاليد المسيحية.
3. انظر، على وجه الخصوص، المقالات الثاقبة لجوناثان ز. سميث، "ما الفرق الذي يحدثه الاختلاف"، وويليام س. غرين، "الاختلاف الداخلي: نحو نظرية للاختلاف في اليهودية الحاخامية"، في كتاب جاكوب نوسنر وإرنست س. فريريشز، المحرران، لنرى أنفسنا كما يرانا الآخرون: المسيحيون واليهود و"الآخرون" في أواخر العصور القديمة (شيكاغو، 1989). كاليفورنيا: سكولارز برس، 1985)، 3-48 و49-69.
4. انظر مورتون سميث، الأحزاب والسياسات الفلسطينية التي شكلت العهد القديم (نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، 1971)، وخاصة 62-146؛ وأيضا بول هانسون، فجر نهاية العالم (فيلادلفيا: مطبعة فورتريس، 1975).
5. جون د. ليفنسون، الخلق واستمرار الشر: الدراما اليهودية للقدرة الإلهية المطلقة (سان فرانسيسكو: هاربر آند رو؛ 1988). أنا ممتن لجون كولينز لأنه أشار لي بهذا العمل.
6. المرجع نفسه، 44.
7. وقد أبدى العديد من العلماء هذه الملاحظة؛ ففي مناقشة حديثة، انظر كتاب نيل فورسيث، العدو القديم: الشيطان وأسطورة القتال (برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1987)، ص 107: "في مجموعة الوثائق... المعروفة لدى المسيحيين باسم العهد القديم، لا تظهر كلمة [الشيطان] أبدًا... كاسم للخصم... بل عندما يظهر الشيطان في العهد القديم، يكون عضوًا في البلاط السماوي، وإن كان بمهام غير عادية". انظر أيضًا المقال حول الشيطان، في قاموس الروحانية 3 (باريس: بوشيسن، 1957)، 142-146؛
هـ. أ. كيلي، "علم الشياطين والإغراء الشيطاني"، الفكر 46 (1965): 165-70.

8. م. ديكور، "أسطورة سقوط الملائكة وحكاية العمالقة كتفسير للشر في العالم في سفر الرؤيا اليهودي: تاريخ التقاليد"، مجلة ثيستواري للأديان 190: 5-12؛ ب. داي، عدو في السماء: الشيطان في الكتاب المقدس العبري (أتلانتا، جورجيا: دار سكولارز للنشر، 1988).
9. فورسيث، العدو القديم، 113.
10. انظر المناقشة في يوم، Xw الخصم، 69-106.
11. فورسيث، العدو القديم، 114.
12. لاحظ أن سفر صموئيل الثاني 24: 1-17 يروي نسخة مختلفة من القصة، حيث أن الرب نفسه، وليس "الشيطان"، هو الذي يحرض داود على إجراء التعداد. لمناقشة هذا الموضوع، انظر: مورتون سميث، الأحزاب والسياسات الفلسطينية التي شكلت العهد القديم (نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، 1971)، ص 62-146؛ فورسيث، العدو القديم، ص 119-120.
13. باجلز، "التاريخ الاجتماعي للشيطان، العدو اللدود: لمحة أولية"، مجلة هارفارد اللاهوتية 84:2 (1991): 112-114.
14. بول د. هانسون، فجر نهاية العالم (فيلادلفيا: فورتريس برس، 1975)، 125.
15. يمكن العثور على سرد ممتاز لهذه الأحداث في كتاب فيكتور.
الحضارة الهلنستية واليهود لتشيريكوفر (نيويورك: أثينيوم، 1970).
16. 1 مكابيين، 2.
17. تشيريكوفير، الحضارة الهلنستية، 132-74.
18. المرجع نفسه، 253-65.
19. يعزو علماء مثل كنوت شافرديك، في مقاله "الشيطان في آباء ما بعد الرسالة"، s.v. uaTonw""، القاموس اللاهوتي للعهد الجديد، المجلد 7 (1971): 163-165، هذا التطور إلى المسيحيين. آخرون، بما في ذلك هارولد كون، "علم الملائكة في رؤى اليهود غير القانونية"، مجلة الأدب الكتابي 67 (1948): 217؛ كلود مونتيفيوري، محاضرات حول أصل ونمو الدين كما يتضح من ديانة العبرانيين القدماء (لندن: ويليامز ونورجيت، 1892)، 429؛ وجورج فوت مور، اليهودية في القرون الأولى من العصر المسيحي، المجلد 1، عصر التنانين (كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة جامعة هارفارد، 1927)، يحددون بشكل صحيح تطور علم الملائكة وعلم الشياطين في المصادر اليهودية ما قبل المسيحية، ويقدمون تفسيرات مختلفة لهذا، كما هو مذكور في باجيلز، "التاريخ الاجتماعي للشيطان، العدو اللدود"، 107.
20. أي الرواية هي الأقدم - تلك الموجودة في سفر التكوين 6 أو في سفر أخنوخ الأول 6-11 - تظل قضية قابلة للنقاش. انظر، على سبيل المثال، ج. ت. ميليك، كتب أخنوخ: شذرات آرامية من قمران (أكسفورد: كلارندون، 1976)؛ جورج
و. إي. نيكلسبيرج، "نهاية العالم والأسطورة في سفر أخنوخ الأول 6 - 11"، مجلة الأدب الكتابي 96 (1977): 383-405؛ مارغريت باركر، "بعض التأملات حول أسطورة أخنوخ"، مجلة الأدب الكتابي 15 (1980): 7-29؛ فيليب س. ألكسندر، "الترجوميم والتفسير المبكر لـ"أبناء الله" في سفر التكوين 6"، مجلة الدراسات اليهودية 23 (1972): 60-71.
21. للحصول على مسح لموضوع التنافس بين الملائكة والبشر، راجع العمل الرائع لبيتر شيفر Rivalitat Zwischcn Engeln und Menschen: Unter suchungen zur rabbinischen Engelvorstellung (برلين ونيويورك: de Gruyter، 1975). لمناقشة أحد فروع التراث الإسلامي

، انظر بيتر أون، مأساة الشيطان والفداء: الأنبياء في علم النفس الصوفي (ليدن: إي. جيه. بريل، 1983).

22 لاحظ النقاش العلمي المذكور في الملاحظة 20 فيما يتعلق بأولوية سفر التكوين
6. أنا أتبع هؤلاء العلماء الذين يرون أنا أخنوخ 6-11 كتوسعات من سفر التكوين. 1:6-4، بما في ذلك فيليب س. ألكسندر وبول هانسون، "التمرد في السماء، عزازل، والأبطال Euhcmenistic في أخنوخ الأول 6-11"، مجلة الأدب الكتابي 96 (1977): 195-233.

23. جورج دبليو إي نيكلسبيرغ، "نهاية العالم والأسطورة في *1* أخنوخ 6-11"
مجلة الأدب الكتابي 96 (1977): 383-405.

24. ديفيد سوتر، "الملاك الساقط، الكاهن الساقط: مشكلة طهارة الأسرة" في *1* أخنوخ 6-16/" كلية الاتحاد العبرية السنوية 50 (1979): 115-35. قارن. جورج دبليو. إي. نيكلسبيرج، "سفر أخنوخ في الأبحاث الحديثة"، مراجعة الدراسات الدينية 7 (1981): 210-217.

25. جون كولينز، الخيال المروع: مقدمة للمصفوفة اليهودية للمسيحية (نيويورك: مفترق طرق، 1984)، 127،

26. سيطر هذا السؤال على مخاوف العديد من الآخرين أيضًا ؛ للاطلاع على النقاش، انظر الكتاب القادم لهوارد سي كي، من هم شعب الله ؟

27. جورج دبليو إي نيكلسبيرغ، "كشف الحكمة كمعيار للإدماج والاستبعاد"، في Neusncr and Frerichs، eds،، *To See Ourselves As Others See Us*، 76.

28. انظر مقالة جورج دبليو إي نيكلسبيرج، "الثروات والأغنياء ودينونة الله في *1* أخنوخ 92-105 والإنجيل وفقًا لوقا"، دراسات العهد الجديد 25 (1979)، 324—49.

29. على أساس قصة المراقب في *1* أخنوخ *6-16*، يعلق فورسيث *(العدو القديم*، 167-70) على أنه ينطوي على "لاهوت مختلف جذريًا" عن تاريخ التكوين البدائي، في أنه "في أخنوخ لم نسمع شيئًا عن إنسانية شريرة. بدلاً من ذلك، يُعزى كل نجاح بشري إلى التمرد الملائكي وخطايا حضنتهم العملاقة ". ومع ذلك، عندما قرأت أدب أخنوخ، أظهر مؤلفوه وعيًا بالتوتر بين الذنب البشري والملائكي والارتباط بينهما، أو على الأقل بإمكانية التناقض. يمكن إدراج هذه الآية كتصحيح لكل من يعفي البشر من المسؤولية من خلال إلقاء اللوم على تجاوزات الملائكة. للاطلاع على مناقشة، انظر مارثا هيميلفارب، جولات الجحيم: شكل مروع للأدب اليهودي والمسيحي (فيلادلفيا: مطبعة جامعة بنسلفانيا، 1983).

30. يحدث هذا التحديد بشكل شائع في المصادر اليهودية اللاحقة، وغالبًا ما يتم تتبعه إلى الترجمة
oi t u>، to the Septuagint translation of 1 Chronicles 16:26: οἱ τῶν ἐθνῶν θεοὶ δαίμωνες ἔισιν.

31. يوسيفوس، الحياة، 10.

32. بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي، طبعة لوب، المجلد 2، 5.15، 73. لمناقشة وصف بليني للأسينيين، انظر جيه بي أوكت، "قمران وإشعار بلين سور ليه إسكنيرز"، ريفو بيبليك 68 (1961): 346-87 ؛ د.ف. غراف، "الشاهد الوثني للأسينيين"، عالم الآثار الكتابية 40 (1977): 125-29.

33. ل. هـ. شيفمان، علم الآثار والتاريخ في مخطوطات البحر الميت (شيفيلد: مطبعة JSOT، 1989).

34. ج. فيرمس، مخطوطات البحر الميت: قمران في المنظور (أتلانتا، جورجيا.: مطبعة العلماء، 1989).
35. انظر ف. ف. بروس، "الرومان من خلال عيون يهودية"، في م. سيمون، قرص مدمج، Pagamsme، Jndaisme، Chrtstianisme (باريس: إي. دي بوكارد، 1978)، 3-12؛ ج. فيرمس، Poet Biblical Jewish Studies (ليدن: إي. جيه. بريل، 1975)، 215-224.
36. س. ديفيد سبيرلينج، "بيليال"، سيصدر قريبًا في كارل فان دير تورن، قاموس الآلهة والشياطين (ليدن: إي جيه بريل).
37. انظر، على سبيل المثال، ماثيو بلاك، r Scrolls and Christian Origins/77 (نيويورك: سكريبنر، 1961)، 91-117.
38. كارول نيوسوم، أغاني تضحية السبت: طبعة نقدية (أتلانتا، جورجيا: سكولارز برس، 1985).
39. علق ييغاكل يادين، الذي حرر مخطوطة الحرب، بأن هذا النص، مثل غيره من نصوص كوينتان، "يوسع إلى حد كبير معرفتنا بعلم الأنساب اليهودي - وهو موضوع ذو أهمية قصوى في اليهودية في ذلك الوقت" (المخطوطة، 229). ولكن يادين لم يخبرنا ما الذي يشكل أهميته: إن تمييز الأرواح، والقدرة على التعرف على العلاقة المتبادلة بين القوى الخارقة للطبيعة، سواء كانت الخير أو الشر، وفهمها، أمر ضروري لإحساس الأسينيين بهويتهم الخاصة والطريقة التي يحددون بها الآخرين. بعد أن وضعوا جانباً الأشكال التقليدية للهوية اليهودية، التي ليست خاطئة بقدر ما هي غير كافية، فإن الأسينيين يوضحون، من خلال رواياتهم عن المعركة بين القوى الملائكية والشيطانية، على أي جانب من المعركة الكونية يقف كل شخص وكل مجموعة من اليهود.
40. يفترض ييغاكل يادين أن أمير النور "هو ميكائيل أمير النور

إسرائيل": مخطوطة حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1962)، 236. لكن هذا التعريف يتجاهل النزعة الطائفية التي تهيمن على نصوص قمران. وبدلاً من ذلك، كما لاحظ جون كولينز، "في QM 1 لم يعد ميكائيل مجرد أمير إسرائيل بل أصبح زعيمًا لأبناء النور. ربما كان هذا التعيين مرتبطًا في الممارسة العملية بأعضاء الجماعة، ولكن من حيث المبدأ كان مفتوحًا لتفسيرات أوسع وخاليًا من الارتباطات العرقية. بليعال أيضًا لم يعد أميرًا لأمة معينة... بل إنه يمثل الشر بشكل عام، مثل الشيطان أو ماستيما في كتاب اليوبيلات... إن اعتماد هذه المصطلحات بدلاً من الانتماءات التقليدية والوطنية والاجتماعية يفتح المجال بشكل كبير لنطاق تطبيق اللغة الآثارية. وعلى وجه التحديد، فهو يدعو إلى ربط الدراما الأخروية بالصراع الأخلاقي بين الخير والشر داخل كل فرد" (الخيال المروع، 128-131).

الفصل الثالث

1. جورج دبليو. إي. نيكلسبيرج، "الحكمة المُعلنة كمعيار للإدماج والإقصاء: من الطائفية اليهودية إلى المسيحية المبكرة"؛ في كتاب جاكوب نوسنر وإرنست س. فريريشز، المحرران، "لنرى أنفسنا كما يرانا الآخرون: المسيحيون واليهود و"الآخرون" في أواخر العصور القديمة" (تشيكو، كاليفورنيا: دار سكولارز للنشر، 1985)، 73.
2. المرجع نفسه.

3 واين أ، ميكس، "الانفصال: ثلاث صور من العهد الجديد لانفصال المسيحية عن المجتمعات اليهودية"، في نكوسنر وفريكس، أقراص مدمجة، لنرى أنفسنا، 94-115.

4. للاطلاع على منظور مختلف في نظرة بولس لليهود واليهودية، انظر جون غاجر، أصول معاداة السامية: المواقف تجاه اليهودية في العصور القديمة الوثنية والمسيحية (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1983)، 193-264؛ لويد جاستون، "بولس والتوراة"، في أ. ديفيز، المحرر، معاداة السامية وأساس المسيحية (نيويورك: مطبعة بوليست، 1979)، 48-71.

5. ك. ستيندال، مدرسة القديس متى (أوبسالا: سي. دبليو. كي. جلسروب، 1954).

6. واين أ. ميكس، المسيحيون الحضريون الأوائل: العالم الاجتماعي للرسول بولس (نيوهافن: مطبعة جامعة ييل، 1983).

7. لمناقشة هذه العملية، انظر هـ. كوستر، الأناجيل المسيحية القديمة: تاريخها وتطورها (لندن: مطبعة إس سي إم، وفيلادلفيا: مطبعة ترينيتي، 1990)، 42-162.

8. انظر ج. كلوبنبورج، تشكيل Q (فيلادلفيا: فورتريس برس، 1987)، للحصول على وجهة نظر حديثة ومراجعة لتطور مصدر Q.

9. وقد لخص جي. آر. إس. ميد، في كتابه "شظايا من الإيمان المنسي" (إعادة طبع، نيويورك: دار نشر جامعة هارفارد، 1960)، ما كان معروفًا عن مثل هذه الشظايا في مطلع القرن العشرين؛ انظر مورتون سميث، "إكليمندس الإسكندري وإنجيل مرقس السري" (كامبريدج: دار نشر جامعة هارفارد، 1973).

10. لمناقشة المقاطع المتعلقة بالنساء في المصادر الغنوصية، انظر: إيلين باجلز، الأناجيل الغنوصية (نيويورك: دار نشر راندوم هاوس، 1979)، 48-69؛ كارين كينج، محررة، صور الأنوثة في الغنوصية (تشابل هيل: مطبعة جامعة نورث كارولينا، 1986)؛ جوروان جاكوبسن باكلي، خطأ المرأة وتحقيقها في الغنوصية (تشابل هيل، مطبعة جامعة نورث كارولينا، 1986).

11. لمناقشة أكثر تفصيلاً لبعض آثار هذا الاكتشاف، انظر: باجلز، الأناجيل الغنوصية.

12. لمناقشة اللغة الأصلية، انظر بنتلي لايتون، "مقدمة لإنجيل توما، مخطوطات نجع حمادي II.2"، في ب. لايتون، محرر، مخطوطة نجع حمادي الثانية. *2-7*، مع البريطاني. مكتبة. أو، *4926 (1)* و
655 ،654 ،1 .P. Oxy (ليدن: إي جي بريل، *1989*)، المجلد. *1*، نجع حمادي
Series 20.

13. كوستر، الأناجيل المسيحية القديمة، 49-172.

14. إيريناوس، خمسة كتب ضد الهرطقات، تحرير دبليو دبليو، هارفي (كام بريدج: تايبس أكاديميكيس، 1857)، المجلد. 1، 3.11.9. يشار إليها فيما بعد باسم ضد الهرطقات.

15. المرجع نفسه، المقدمة.

16. لتقييم أصل إنجيل متى، انظر الملخص في كتاب واين أ. ميكس، "الانفصال"، 108-114؛ وآلان ف. سيغال، "صوت متى اليهودي"، في كتاب ديفيد ل. بالش، المحرر، التاريخ الاجتماعي لجماعة متى (مينابوليس: فورتريس برس، 1991)، 3-37؛ وأيضًا، في نفس المجلد: أنتوني ج. سالداريني، "إنجيل متى والصراع اليهودي المسيحي"، 38-62؛ وروبرت هـ. جندري، "تقييم متجاوب للتاريخ الاجتماعي لجماعة متى في سوريا الرومانية"، 62-67؛ وويليام ر. شوكديل، "إغناطيوس واستقبال إنجيل متى".

"إنجيل متى في أنطاكية"، 129-77؛ رودني ستارك، "أنطاكية كمكان اجتماعي لإنجيل متى"، 189-210؛ وأيضًا ج. أندرو أوفرمان، إنجيل متى واليهودية التكوينية: العالم الاجتماعي لجماعة متى (فيلادلفيا: فورتريس برس، 1990)؛ إيمي جيل ليفين، الأبعاد الاجتماعية والإثنية لتاريخ خلاص متى: "لا تذهب إلى أي مكان بين الأمم" (مارت. (10:56) (لويستون، نيويورك: إدوين ميلين، 1988).

17. ماري سمولوود، اليهود تحت الحكم الروماني من بومبي إلى دقلديانوس
(ليدن: إي جي بريل، 1981)، 349.

18. فتح عمل جاكوب نوسنر الرائد فهمًا لهذه العملية ؛ انظر، على سبيل المثال، اليهودية التكوينية: الدراسات الدينية والتاريخية والأدبية، الدراسات اليهودية البنية، رقم 91 (تشيكو، كاليفورنيا.: سكولارز برس، 1983).

19. سيك التعليقات الثاقبة لآلان ف. سيغال، "صوت متى اليهودي"، و ج. أندرو أوفرمان، إنجيل متى واليهودية التكوينية.

20. آلان سيغال، أطفال ريبيكا: اليهودية والمسيحية في العالم الروماني (كامبريدج: مطبعة جامعة هارفارد، 1986)؛ شرحه، "صوت متى اليهودي".

21. للمناقشة، رايموند إي. براون، ولادة المسيح: كتاب عن روايات الطفولة في متى ولوقا (نيويورك: دوبلداي، 1977).

22. المرجع نفسه.

23. ولكن عندما يعيد متى سرد قصة الآلام، فإنه يتخلى عن إشاراته المتكررة إلى الفريسيين. هناك، بعد مرقس، يصور رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ باعتبارهم المعارضين الرئيسيين ليسوع.

24. Gcorgc W. E. Nickelsburg, “The Genre and Function of Mark’s Passion Narrative,” Harvard Theological Review 73 (1980): 174.

25. للمناقشة، انظر، على سبيل المثال، مايكل ج. كوك، "يسوع والفريسيون - المشكلة كما هي اليوم"، مجلة الدراسات المسكونية 15 (1978): 441-460؛ د. جارلاند، نية متى 23 (ليدن: إي. جيه. بريل، 1979)؛ ج. أندرو أوفرمان، إنجيل متى واليهودية التكوينية؛ كلاوس بانتي-شيبر، "ملاحظات حول مناقشة الكنيسة واليهودية في إنجيل متى"، مجلة العلوم العهد الجديد 80 (1989)، 145-162.

26. لوك ت. جونسون، "العهد الجديد: الافتراءات المعادية لليهودية و
اتفاقيات الجدل القديم"، مجلة الأدب الكتابي 108 (1989): 419-441.

الفصل الرابع

1. ديفيد ب. غوير، المضيف، الضيف، العدو، والصديق: صور الفريسيين في إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل (نيويورك: لانغ، ١٩٩١)؛ ديفيد أ. نيل، لا أحد سوى الخطاة: الفئات الدينية في إنجيل لوقا (شيفيلد: مطبعة JSOT، ١٩٩١)؛ روبرت ل. براولي، "الفريسيون في إنجيل لوقا-أعمال الرسل: خطاب لوقا لليهود وهدفه السلمي"، أطروحة دكتوراه، معهد برينستون اللاهوتي، ١٩٧٨؛ جاك ت. ساندرز، اليهود في إنجيل لوقا-أعمال الرسل (فيلادلفيا: مطبعة فورتريس، ١٩٨٧)؛ جوزيف ر. تايسون، صور اليهودية في إنجيل لوقا-أعمال الرسل (كولومبيا: مطبعة جامعة كارولينا الجنوبية، ١٩٩٢).

2. انظر سوزان غاريت، زوال الشيطان: السحر والشيطان في كتابات لوقا (مينابوليس: فورتريس برس، 1989).
3. ديفيد ر. كاتشبول، محاكمة يسوع: دراسة في الأناجيل والتاريخ اليهودي من عام 1770 إلى يومنا هذا (ليدن: إي. جيه. بريل، 1971)؛ ريتشارد ف. ف. زوج، محاكمة يسوع: تاريخها، تاريخها، وشرعيتها (برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1916)؛ ج. س. سلويان، يسوع على الصليب: تطور روايات الآلام وتداعياتها التاريخية والمسكونية (فيلادلفيا: مطبعة فورتريس، 1973)؛ ر. إي. براون، موت المسيح: من جثسيماني إلى القبر (نيويورك: دبلداي، 1994).
4. كاتشبولك، محاكمة يسوع، 203.
5. ريتشارد أ. هورسلي، "يوسيفوس واللصوص"، مجلة دراسة اليهودية 10(1979): 37-63.
6. ألفريد ف. لويزي، الأناجيل السينوبتيكية (Ceffons pres Monrieren Der: Chez 1'Auteur، 1907-08)، 787.
7. حول إنجيل يوحنا، القسم ج. لويس مارتن، التاريخ واللاهوت في الإنجيل الرابع، الطبعة الثانية. (ناشفيل: أبينجدون، ١٩٧٨)؛ نورمان ر. بيترسن، الإنجيل الرابع (فالي فورج، بنسلفانيا: مطبعة ترينيتي، ١٩٩٣)؛
سي. إتش. دود، تفسير الإنجيل الرابع (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 1953).
8. مارتن، التاريخ واللاهوت في الإنجيل الرابع، انظر أيضًا ويليام هوربيري، "بركة المينيم والجدل اليهودي المسيحي المبكر"، مجلة الدراسات اللاهوتية 33 (1982): 19-61؛ تي سي جي ثورنتون، "الفهم المسيحي لبركة المينيم في الإمبراطورية الرومانية الشرقية"، مجلة الدراسات اللاهوتية 38 (1987)، 419-31؛ آشر فينكل، "طقوس يافني والمسيحية المبكرة"، مجلة الدراسات المسكونية 18: 2 (1981): 231-50؛ آلان إف سيجال، "حاكم هذا العالم: المواقف تجاه الشخصيات الوسيطة وأهمية علم الاجتماع للتعريف الذاتي"، في إي بي ساندرز، المحرر، التعريف الذاتي اليهودي والمسيحي. المجلد. 2 (فيلادلفيا: فورتريس برس، 1980)، 245-268.
9. واين أ. ميكس، "الرجل من السماء في طائفية يوهانينسك"، مجلة الأدب الكتابي 91 (1972): 50.
10. غوستاف هوكنيكي، "فكرة الشيطان في الأناجيل"، دراسات العهد الجديد: إلى جورج هاينريش في عيد ميلاده السبعين (لايبزيغ: ج. سي. هاينريش، 1912)، 208.
11. ريموند براون، إنجيل يوحنا، تعليق أنكور على الكتاب المقدس، المجلدان 1 و2. 29/29 أ (جاردن سيتي، نيويورك: أنكور بايبل، 1966)، 364-76.
12. المرجع السابق
13. ريموند براون، "أحداث تشكل وحدات في الأناجيل الإزائية ولكنها متفرقة في إنجيل يوحنا"، مجلة الكتاب المقدس الكاثوليكية، العدد 23 (1961).
14. رودولف بولتمان، إنجيل يوحنا (جوتنجن: فاندينهوك وروبريشت، 1941)، مترجم. ج. ر. بيزلي موراي، إنجيل يوحنا: تعليق (أكسفورد: باسل بلاكويل، 1971)، 319.
15. Zttd.,321.
16. انظر، على سبيل المثال، روبرت براخت، "اليهود في إنجيل يوحنا"، أوراق عملية لمترجم الكتاب المقدس 26/4 (1975): 365-409؛ ر. آلان كولبيبر، "إنجيل يوحنا واليهود"، مجلة إكسبوزيتوري تايمز 84 (1987): 273-88؛ سي. جيه. كومينج، "اليهود في الإنجيل الرابع"، مجلة إكسبوزيتوري تايمز.

مجلة التايمز 60 (1948-1949): 290-292؛ ريجينالد فولر، "اليهود في الإنجيل الرابع"، حوار 16 (1971): 37؛ مالكولم لو، "من هم التودايوي؟" Novum Testamentum 18/2 (1976): 101-30؛ Massey Shepherd، "اليهود في إنجيل يوحنا: مستوى آخر من المعنى"، Anglican Theological Review، السلسلة التكميلية 3 (1974): 96؛ John Townsend، "إنجيل يوحنا واليهود: قصة طلاق ديني"، في Alan Davies، cd.، معاداة السامية وأسس المسيحية (نيويورك: Paulist Press، 1979)، 72-97؛ Urban C. von Wahlde، "اليهود اليوحنّايون: دراسة نقدية"، New Testament Studies28 (1982): 33-60.

17. رودولف بولرمان، 59 عامًا.
18. هاينريش شنايدر، "الكلمة صارت جسداً: تحليل الوحي في الإنجيل الرابع"، 347-351.
19. صموئيل ساندميل، العفيف-السبنفرو في العهد الجديد (فيلادلفيا: فورتريس برس، 1978)، 115-117.
20. رودولف بولتمان، 85-94، أثناء المرور.
21. فولر، "اليهود في الإنجيل الرابع"، 20.
22. فيرجوس ميلار، "تأملات حول محاكمة يسوع"، في كتاب ب. ر. ديفيز و ر. وايت، المحررون، تحية إلى جيزا فيرميس: مقالات عن الأدب والتاريخ اليهودي والمسيحي (شيفيلد: مطبعة JSOT، 1990)، 81-355.
23. روزماري رويتر، الإيمان وقتل الأخوة: الجذور اللاهوتية لمعاداة السامية (مينابوليس: مطبعة سيبوري، 1974).
24. الزوج، محاكمة يسوع، 173-81.
25. ساندمِل، معاداة السامية في العهد الجديد، 115.
26. دينيس نينهام، إنجيل القديس مرقس (بالتيمور: دار نشر بنغوين، 1967)، ص 412.
27. دود، تفسير الإنجيل الرابع، 97.
28. انظر، على سبيل المثال، بول وينتر، حول محاكمة يسوع، الطبعة الثانية. (برلين: دي جرويتر، 1974).
29. المرجع نفسه، ص 88-89.
30. ج. أندرو أوفرمان، إنجيل متى واليهودية التكوينية (مينابوليس: فورتريس برس، 1990).

الفصل الخامس

1. انظر و. ه. س. فريند، الاستشهاد والاضطهاد في الكنيسة الأولى (أكسفورد: بلاكويل، 1965)، حول اضطهاد المسيحيين من 50 إلى 313 م.
2. تاسيتوس، حوليات 15.44.
3. روبرت ل. ويلكن، "النقد الوثني للمسيحية: الدين اليوناني والإيمان المسيحي"، في دبليو. شويدل، المحرر، الأدب المسيحي المبكر والتقاليد الفكرية الكلاسيكية (باريس: إصدارات بوشين، 1979)، 117-134. لمناقشة ممتازة، انظر كتاب ويلكن، المسيحيون كما رآهم الرومان (نيوهافن: مطبعة جامعة ييل، 1984).
4. ترتليان، الاعتذار 1.
5. جورج فيل، La Gladiature en Occident des Origines d la mar de Domt-tien (روما: Ecolc fran<faise de Rome، 1981)؛ كارلين بارون، أحزان الرومان القدماء: المصارع والوحش (برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1992).

6. تاسيتوس، أوو ج زت 15.44.
7. المادة 77؛ أعمال الشهداء المسيحيين، النسخة المنقحة والمترجمة. هـ أ. موسوريلو (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1972).
8. انظر جوستين الشهيد، حوار مع تريفو، الفصول. 1-6، لرواية جوستين الخاصة لهذه الأحداث؛ انظر أيضًا ل. برنارد، جوستين الشهيد: حياته وفكره (لندن: مطبعة جامعة كامبريدج، 1967).
9. ب. هادوت، مقتطفات روحية ونقد فلسفي (باريس: دراسات أوغسطينية، 1981)، 13-58.
10. جوستين الشهيد، الاعتذار الأول 61.
11. السكرتير رامزي ماكمولين، تنصير الإمبراطورية الرومانية: 100-400 م (نيو هافن: مطبعة جامعة ييل، 1984)، 27-31، لمناقشة تحول جوستين الشهيد إلى المسيحية. هذه العبارة تعيد صياغة وتقتبس من مناقشة ماكمولين الثاقبة.
12. جوستين الشهيد، حوار مع تريفو 7.
13. المرجع نفسه، 8.
14. "حول المعمودية في المسيحية المبكرة"، انظر بيتر كرامر، المعمودية والتغيير في العصور الوسطى المبكرة. حوالي 200-1150 (نيويورك: مطبعة جامعة كامبريدج، 1993).
15. جوستين الشهيد، الاعتذار الأول 61.
16. المرجع نفسه.
17. أ. هـ أرمسترونغ، "الـ "التقوى القديمة والمستمرة في العالم اليوناني". في أ. هـ. أرمسترونج، المجلد الأول، الروحانية المتوسطية الكلاسيكية (لندن: دار نشر إس سي إم، ١٩٨٩)، ٦٦-١٠١.
18. فيليكس بوتيريك، أساطير هومير والفكر اليوناني (باريس: دار النشر، 1956)، الفصل الخامس، ص 136-154؛ لمناقشة شيقة حول إعادة تفسير هوميروس لاحقًا، انظر روبرت لامبرتون، هوميروس اللاهوتي (بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا، 1989).
19. جوستين الشهيد، الاعتذار الأول 5، الماضي.
20. لمناقشة ممتازة عن جوستين والمدافعين الآخرين، انظر هـ. واي، وظائف الأرواح المباركة في المدافعين اليونانيين في القرن الثاني الميلادي (وينشستر: كيلر، 1957)، 3-32 (عن جوستين).
21. جوستين الشهيد، الاعتذار الأول 25.
22. f^W.,43.
23. جوستين الشهيد، حوار مع تريفو 8.
24. جوستين الشهيد، الاعتذار الأول 14.
25. المرجع نفسه.
26. المرجع نفسه، 16.
27. المرجع نفسه،الصفحة 61.
28. المرجع نفسه، *27*.
29. المرجع نفسه، 28.
30. المرجع نفسه، 12.
31. إلين باجلز، "المدافعون المسيحيون و"سقوط الملائكة": هجوم على القوة الإمبراطورية الرومانية؟"، مجلة هارفارد اللاهوتية، 78 (1985): 301-25.
32. القسم ب. دي لابريولك، رد الفعل الوثني: دراسة حول الجدل المناهض للمسيحية من القرن الخامس إلى القرن الرابع، الطبعة الثانية. (باريس، ١٩٤٨)؛ رامزي ماكمولين،

أعداء النظام الروماني (كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة جامعة هارفارد، 1966).

33. بليني، الرسالة ٩٦:١٠، لمناقشة رسالة بليني، انظر ويلكن، المسيحيون كما رآهم الرومان، ١٥-١٧؛ أ. ن. شيروين وايت، رسائل بليني: ٤^ تعليق تاريخي واجتماعي (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٦٦).
34. جوستين الشهيد، الاعتذار الأول 5.
35. المرجع نفسه، ل
36. المرجع نفسه،، 14.
37. جوستين الشهيد، الاعتذار الثاني 2.
38. جوستين الشهيد، الاعتذار الثاني 1.
39. موسونلو، أعمال الشهداء المسيحيين، الفصل. 5، "استشهاد جوستين وصحبه".
40. فيرجوس ميلار، الإمبراطور في العالم الروماني، *31* قبل الميلاد - *337* م (إيثاكا: مطبعة جامعة كورنيل، 1977).
41. PA . برانت، "ماركوس أوريليوس والمسيحيون". انظر أيضًا برانت، "ماركوس أوريليوس وتأملاته"، مجلة الدراسات الرومانية 64 (1974): 1-20، وويلكين، المسيحيون كما رآهم الرومان، 48-67.
42. ماركوس أوريليوس، التأملات 1.17.5؛ حول ماركوس أوريليوس بشكل عام، راجع السيرة الذاتية التي كتبها أ. بيرلسي، ماركوس أوريليوس (بوسطن: ليتل، براون، 1966).
43. انظر الملاحظة رقم 18.
44. أندريه جان فويلكي، فكرة الإرادة في الفلسفة الرواقية (باريس: المطابع الجامعية الفرنسية، 1973)، 109-112.
45. ماركوس أوريليوس، التأملات 4.5.
46. المرجع نفسه،، 4.44.
47. المرجع نفسه، 3.2.
48. Z^d.,2.16.
49. المرجع نفسه، 12.14.
50. 1 1. 2., ^ Z .
51. المرجع نفسه، 3.16.
52. المرجع نفسه، 8.49.
53. *()* المرجع نفسه، 9.40.
54. /^W.,9.34.
55. المرجع نفسه، 4.15.
56. /49. 4., W .
57. المرجع نفسه، 10.5 ؛ انظر أيضًا 5.1.
58. المرجع نفسه، *7.9*.
59. هانز ديتر بيتز، البرديات السحرية اليونانية (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٨٦)؛ جون جي. جاجر، ألواح اللعنة والتعاويذ الملزمة (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٩٢).
60. ماركوس أوريليوس، تأملات 11.15.
61. واين ميكس، العالم الأخلاقي للمسيحيين الأوائل (فيلادلفيا: مطبعة وستمنستر، 1986).
62. تاتيان، خطاب إلى اليونانيين 4.
63. المرجع نفسه.
64. المرجع نفسه، *7*.

65. المرجع نفسه، 16.
66. المرجع نفسه ، 15.
67. المرجع نفسه.
68. المرجع نفسه، ص 6.
69. المرجع نفسه، 8.
70. المرجع نفسه، 9.
71. المرجع نفسه، 11.
72. لمناقشة التصورات المتغيرة للهيلينية في الإمبراطورية الشرقية، انظر: جلين دبليو. باورزوك، الهيلينية في أواخر العصور القديمة (آن أربور: مطبعة جامعة ميشيغان، 1990).
73. تاتيان، خطاب إلى اليونانيين 23 -
74. جورج فيليس، المصارع في الغرب: مصارع الموتى، 395-397؛ آلان كاميرون، فصائل السيرك: البلوز والخضر في روما وبيزنطة (أكسفورد: دار نشر كلارندون، 1976)؛ كارلين بارتون، أحزان الرومان القدماء: المصارع والوحش.
75. تاتيان، خطاب إلى اليونانيين 28.
76. انظر هنري كروزل، أوريجانوس: حياة وفكر اللاهوتي الكبير الأول، مترجم. أ. س. وورال (سان فرانسيسكو: هاربر ورو، 1989)؛ انظر أيضًا مناقشة أوريجانوس في كتاب بيتر براون، الجسد والمجتمع: الرجال والتخلي الجنسي في المسيحية المبكرة (نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، 1988)، 160-177.
77. مقتبس من يوسابيوس، تاريخ الكنيسة 6.26، ربما من رسالة. للمناقشة حسب هنري كروزل، أوريجانوس، 6.
78. أوريجانوس، الحث على الاستشهاد.
79. انظر أوريجانوس، ضد سيلسوس.
80. المرجع نفسه، 8.68.
81. المرجع نفسه، 1أ.
82. المرجع نفسه، 1.31.
83. المرجع نفسه، 1.27.
84. المرجع نفسه، 1.29.
85. المرجع نفسه، 4.22.
86. المرجع نفسه، 7.68.
87. المرجع نفسه ؛ انظر أيضًا 8.31-32.
88. المرجع نفسه، 7.68.
89. رامزي ماكمولكن ، تنصير الإمبراطورية الرومانية، 21.
90. ماركوس أوريليوس، التأملات 6.44.
91. تاسيتس، التاريخ 5.5.
92. اوريجانوس، كونترا سيلسوم 6.42.
93. المرجع نفسه، 7.2.
94. المرجع نفسه، 8.28.
95. المرجع نفسه، 8.33.
96. المرجع نفسه، 8.39.
97. () المرجع نفسه، 1.43.
98. () المرجع نفسه، 1.44.
99. المرجع نفسه، 8.44.
100. يوسابيوس، تاريخ الكنيسة 6.34.
101. اوريجانوس، كونترا سيلسوم 8.65.
102. المرجع نفسه، 8.73.

103. nW//.
104. ترتليان ، الاعتذار 42.
105. المرجع نفسه^ 24، انظر أيضًا الاعتذار 2 ٪ والكتف 2.
106. اوريجانوس، كونترا سيلسوم 1،1.

الفصل السادس

1. ترتليان ، اعتذار، الفصل 37.
2. المرجع نفسه، الفصل 3.
3. ديفيد ل. بالش، فليخضع الرجال: القانون المنزلي في رسالة بطرس الأولى (تشيكو، كاليفورنيا: دار سكولارز للنشر، 1981). انظر أيضًا جون هـ، إليوت، X دار للمشردين: تفسير اجتماعي لرسالة بطرس الأولى، وضعها واستراتيجيتها (فيلادلفيا: فورتريس برس، 1981). لمناقشة شيقة للتصويرات المختلفة لبولس، انظر دينيس رونالد ماكدونالد، الأسطورة والرسول: معركة بولس في القصة والشريعة.
{فيلادلفيا: مطبعة وستمنستر، 1983).
4. للمناقشة، انظر كارلمان بيسيشلاغ، كليمنس الروماني والمسيحية المسيحية (توبينغن: موهر، 1966)؛ حول كليمنت الثاني، كارل بول دونفريكد، وضع كليمنت الثاني في المسيحية المبكرة (ليدن: إي. جيه. بريل، 1974).
5. 1 إكليمندس، الفصل 1.
6. المرجع نفسه.
7. المرجع نفسه، الفصل 40.
8. المرجع نفسه) الفصل 37.
9. تعليم الرسل الاثني عشر 1.2.
10. المرجع نفسه، 1.6.
11. المرجع نفسه، 2-2.
12. رسالة برنابا، الفصل 18.
13. المرجع نفسه) الفصل 1.22-2 ؛ 19.
14. المرجع نفسه، 18.2 ؛ قارن 2.1 ؛ 4.9.
15. المرجع نفسه، الفصل 2.
16. المرجع نفسه.
17. المرجع نفسه، الفصل 9.9.
18. المرجع نفسه، الفصل 18.
19. إيريناوس، /١/ف«البدع، ج. دبليو دبليو هارفي (كامبريدج: Typis Aca - dcmicis، 1857)، المجلد. 1، مقدمة.
20. المرجع نفسه.
21. المرجع نفسه، 1.27.4.
22. المرجع نفسه، 1.6.3.
23. للمناقشة، سيك إيلين باجلز، الأناجيل الغنوصية (نيويورك: رانوم هاوس، 1979).
24. شهادة الحقيقة) 3.29.6 (*NHC* IX، 3.
25. المرجع نفسه، 29*9-10.
26. المرجع نفسه، 30.2-4.
27. المرجع نفسه، 30.18-19.
28. المرجع نفسه، 44 30-45.4.
29. () المرجع نفسه، 41-4-7.
30. المرجع نفسه، 43.29^44.16.
31. جوستين، الاعتذار الأول 29.

32. شهادة الحقيقة (NHC IX، 3) 29.15-17.
33. ZW., 41.3-4.
34. () المرجع نفسه، 41-28-42-14.
35. المرجع نفسه، 47.5-6.
36. المرجع نفسه، 47.14-30.
37. المرجع نفسه، أ.
38. أقنوم الأركونات (NHC 11,4) 86.26-27.
39. المرجع نفسه، 86.27-31.
40. المرجع نفسه، 86.31-87.4 ؛ 94.22-95.13.
41. المرجع نفسه، 91.7-11.
42. المرجع نفسه، 96.17-27.
43. حول "الجيل غير المسيطر"، انظر مايكل ويليامز، العرق الثابت: تسمية غنوصية وموضوع الاستقرار في أواخر العصور القديمة (ليدن: إي. جيه. بريل، 1985).
44. سفر يوحنا المنحول (NHC II، 1) 24.15-27.
45. المرجع نفسه، 28.11-14.
46. المرجع نفسه، 28.21-29.
47. المرجع نفسه، 29.17-20.
48. المرجع نفسه، 29.32-30.7.
49. ترتليان، وصفة طبية ضد الزنادقة، الفصل. 5.
50. المرجع نفسه، الفصل 6.
51. ترتليان ، ضد الفالنتينيين، الفصل 4.
52. ترتليان، وصفة طبية، الفصل. 7.
53. المرجع نفسه، الفصل 8.
54. المرجع نفسه، الفصل 11.
55. المرجع نفسه، الفصل 16.
56. ZW.3الفصل 18.
57. المرجع نفسه، الفصل 37.
58. المرجع نفسه، الفصل 40.
59. المرجع نفسه، الفصل 18.
60. المرجع نفسه، الفصل 39.
61. ترتليان ، ضد الفالنتينيين، الفصل 4.
62. المرجع نفسه.
63. فالتر فولكر، محرر، مصادر تاريخ المعرفة المسيحية (توبنغن: ج. سي. بي. موهر، 1932)، "شذرات فالنتين"، شذر 7، ص 59.
64. هيبوليتوس، دحض كل الهرطقات 8.15.1-2.
65. ثيودوتوس، الذي استشهد به إكليمندس الإسكندري، مقتطفات من ثيودوتوس *78.2*.
66. إنجيل فيليب (NHC II، 3) 79.22-31.
67. للمناقشة، انظر باجلز، إنجيل يوحنا في التفسير الغنوصي (ناشفيل، تينيسي: مطبعة أبينجدون، 1993)، 83-97.
68. إيريناوس، ضد الهرطقات 1.6.2.
69. ترتليان، الوصفة، الفصل 3.
70. إيريناوس، ضد الهرطقات 3.15.2.
71. المرجع نفسه، 1.11.1 ؛ 1.21.3.
72. المرجع نفسه، 4.33.7.
73. () المرجع نفسه، 1-6-2-3.

74. المرجع نفسه، 1.13.7,1.13.5.
75. المرجع نفسه، 1.13.3.
76. المرجع نفسه، 1.13.3.
77. انظر، على سبيل المثال، إرميا 2 :1-3 :5 ؛ هوشع 1:2-4: 19 ؛ إشعياء 60:1.
78. فولكر ، كولين، الجزء 2، ص 58.
79. إنجيل الحقيقة (NHC I، 3)32.35-33.21.
80. للحصول على مناقشة أشمل، انظر باجلز، "سر الزواج في إنجيل فيليب، أعيد النظر فيه"، في بيرجر أ. بيرسون، القرص المضغوط، مستقبل المسيحية المبكرة: مقالات تكريمًا لهيلموت كوستر (مينابوليس: فورتريس برس، 1991).
81. للحصول على مناقشة ممتازة، راجع كلاوس كوشوركي، ""الأسماء" في إنجيل فيليب: ملاحظات حول النزاع بين الغنوصية والمسيحية الكنسية،" Zeitschrift für Neutestamentliche Wissenschafti 64 (1973): 307-22.
82. إنجيل فيليب (NHC II، 3) 74.5-12.
83. () المرجع نفسه، 80-23-81-14.
84. المرجع نفسه، 66.5 5-7.
85. المرجع نفسه، 78.24-79.14.
86. المرجع نفسه، 79.34-35.
87. () المرجع نفسه، 80.10.
88. () المرجع نفسه، 73.33-74.2.
89. المرجع نفسه., 83.13-30.
90. المرجع نفسه، 84.1-6.
91. المرجع نفسه., 84.11-14.
92. المرجع نفسه، 55.23-26.
93. المرجع نفسه، 55.26-30.
94. 7 ^ 52.21-25.
95. المرجع نفسه، 64.22-24.
96. المرجع نفسه، 64.29-30.
97. المرجع نفسه، *77.2-3*.
98. المرجع نفسه، 67.26.
99. إنجيل توما (NHC II، 2) 33.19-20.
100. إيريناوس، ضد الهرطقات 4.26.3.
101. المرجع نفسه، 4.26.2.
102. المرجع نفسه، 5.26.2.
103. المرجع نفسه، 4.33.8.

الخاتمة

1. أثناسيوس ، حياة أتوني 28.
2. المرجع نفسه، 41.

اكتشفت كتاب جون دومينيك كروسان الثاقب "من قتل يسوع؟" لم أتمكن من نشر كتاب "كشف جذور معاداة السامية في قصة إنجيل موت يسوع" *(سان فرانسيسكو: هاربر كولينز، 1995)* إلا بعد أن انتهيت من عملي على هذا الكتاب، وبالتالي لم أتمكن من الإشارة إليه في النص.

RELIGION

"Pagels is a wonderful writer. . . . She has a gift for bringi
ancient texts alive. . . . Fascinating." —*San Francisco Chronicle*

In the Old Testament he is merely the Adversary, a forbidding mem
ber of God's retinue. How then did Satan become the Gospe
prince of darkness, who brings about the crucifixion of Jesus as pa
of a cosmic struggle between good and evil? And why did Jesus' fo
lowers increasingly identify Satan with their human antagonists—
first Jews, then pagans, and then heretics of their own faith?

In this groundbreaking work of religious and social history, t
author of *The Gnostic Gospels* traces the relationship between t
embattled members of a breakaway Jewish sect and the myth th
invoked to explain their persecution. *The Origin of Satan* is at once
masterpiece of erudition and a book resonant with contempora
implications. For in its pages we come to understand how the gosp
of love could coexist with hatreds that have haunted Christians an
non-Christians alike for two thousand years.

"Lively reading. . . a book that makes familiar concep
disturbingly fresh and provocative." —*The New York Time*

disturbingly fresh and provocative." — *The New York Times*